محمود سامي البارودي

دراسة تاريخية

تأليف
أحمد خالد

محمود سامي

البارودي

(دراسة تاريخية)

الطبعة الأولى

١٤٣٦/٢٠١٥

تأليف

أحمد خالد عبد المنعم

محمود سامي البارودي ..

اسم الكتاب : محمود سامي البارودي

المؤلف : أحمد خالد عبد المنعم

سنة النشر : ١٤٣٦/٢٠١٥

دراسة تاريخية أكاديمية

حقوق النشر محفوظة للمؤلف ، ولا يجوز

إعادة نشر هذا الكتاب ، أو مقتطفات منه

أو الاقتباس دون ذكر المصدر ، إلا بموافقة كتابية

من المؤلف ، ومن يخالف ذلك

يعرض نفسه للمساءلة القانونية ...

للتواصل مع الكاتب

.....

https://www.facebook.com/Ahmed.Khaled33319

الإهداء

إليكِ يا أختي فأنتِ مَن حمسني على كتابة هذا الكتاب ، لما وجدتي شغفي بحب التاريخ والتأريخ في كتابي السابق في نفس الميدان "حمورابي"

أختي الغالية ، حفظها الله لي ، وبارك فيها ، أهديكِ هذا الكتاب أيضاً

يا غاليتي ...

إليكَ أنت أيها القارئ ، سواء كنت تعرفني شخصياً ، أو ليس لكِ بي سابق معرفة ، أهديكَ هذا الكتاب ، وأرجو أن ينال إعجاب كل باحث علمٍ .

إلى كلية الآداب جامعة المنصورة ...

إلى كلية الألسن جامعة عين شمس ...

أحمد خالد

مقدمة

لما وجدتُ نفسي مُغرماً بالتاريخ والتأريخ ، والكتابة عن الأمجاد ، ما وجدت شخصيةً أفضل من تلك الشخصية ، لكي أكتب عنها وأسجل أمجادها بين دفتي هذا الكتاب ، عَلّي بذلك أكون قد قدمت له جانباً من جوانب المدح والثناء عما قدمه هذا الشخص لأمتنا ، فسلامٌ عليكَ أستاذي ، دُمتَ شاعراً ومحارباً ، إليكَ تلك الكلمات ، شاعري شاعر السيف والقلم "محمود سامي البارودي" ولهذا قمتُ بتجميع أكثر ما كُتب موثقاً عن هذه الشخصية العظيمة وقد أوردت المراجع عن كل ما جمعته في بحثي ؛ حتى يعود إليها القارئ والباحث إذا أراد ذلك .

أحمد خالد

نشأته:

ولد في٢٧ رجب ١٢٥٥ هـ ٦أكتوبر ١٨٣٩م في دمنهورالبحيرة لأبوين من أصل شركسي من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي (أخيبرسباي) .

وكان أجداده ملتزمي إقطاعية إيتاي البارود بمحافظة البحيرة ويجمع الضرائب من أهلها .

يعتبر البارودي رائد الشعر العربي الحديث الذي جدَّد في القصيدة العربية شكلاً ومضموناً.

نشأ البارودي في أسرة على شيء من الثراء والسلطان، وكان أبوه حسن حسين بك البارودي من أمراء المدفعية ثم صار مديرا لـ (بربر) و (دنقلة) في عهد "محمد علي باشا" والي مصر ومات هناك وكان محمود سامي

حينئذ في السابعة من عمره ، وكان جده لأبيه عبد الله بك الشرسكي كشافاً في عهد محمد علي مأموراً وكان أحد أجداد الشاعر

مراد بن يوسف شاويش ملتزما في العصر العثماني لبلدة (آيتاي البا رود) إحدى بلاد محافظة البحيرة ، ومن ثم لقب البا رودي نسبة إليها وحمل أبناؤه هذا اللقب وكان أجداده يرقون بنسبهم إلى المماليك حكام مصر وكان الشاعر شديد الاعتزاز بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله ، الذي كان له فيه أثر قوي في جميع أدوار حياته وفي المصير الذي انتهى إليه .

دراسته:

تلقى البا رودي دروسه الأولى فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ النحو والصرف، ودرس شيئًا من الفقه والتاريخ والحساب، حتى أتم دراسته الإبتدائية عام ١٢٦٧ هـ/١٨٥١ م حيث

في هذة المرحلة ، لم يكن سوى مدرسة واحدة لتدريس المرحلة الابتدائية وهى مدرسة "المبتديان" وكانت خاصة بالأسر المرموقة وأولاد الأكابر ومع أنه كان من أسرة مرموقة فإن والدته قد جلبت له المعلمين لتعليمه في البيت .

ثم انضم وهو في الثانية عشرة من عمره بالمدرسة الحربية سنة ١٨٥٢م ، فالتحق بالمرحلة التجهيزية من المدرسة الحربية المفروزة وانتظم فيها يدرس فنون الحرب كما درس علوم الدين واللغة والحساب والجبر، بدأ يظهر شغفًا بالشعر العربي وشعرائه الفحول، حتى تخرج من المدرسة المفروزة عام ١٨٥٥ م برتبة "باشجاويش" ولم يستطع استكمال دراستها العليا ، والتحق بالجيش السلطاني .

****

حياته العملية :

العمل بالخارجية :

عمل بعد ذلك بوزارة الخارجية وسافر إلى الأستانة عام ١٨٥٧م، وتمكن في أثناء إقامته هناك من إتقان التركية والفارسية ومطالعة آدابهما، وحفظ كثيرًا من أشعارهما، وأعانته إجادته للغة التركية والفارسية على الالتحاق بقلم كتابة السر بنظارة الخارجية التركية وظل هناك نحو سبع سنوات ١٨٥٧– ١٨٦٣ .

ولما سافر الخديوي إسماعيل إلى العاصمة العثمانية بعد تولية العرش ليقدم آيات الشكر للخلافة، ألحق البارودي بحاشيته، فعاد إلى مصر في فبراير ١٨٦٣م، عينه الخديوي إسماعيل معيناً لأحمد خيري باشا على إدارة المكاتبات بين مصر والأستانة.

العودة للعسكرية :

ضاق البارودي برتابة العمل الديواني وحنّ إلى حياة الجندية، فنجح في يوليو عام ١٨٦٣م بالانتقال من معية الخديوي حيث انتقل إلى الجيش برتبة بكباشي ، وأُلحقَ بآلاي الحرس الخديوي وعين قائد الكتيبتين من فرسانه، وأثبت كفاءة عالية في عمله.

في أثناء ذلك اشترك في الحملة العسكرية التي خرجت سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م لمساندة الجيش العثماني في إخماد الفتنة التي نشبت في جزيرة كريت، واستمر في تلك المهمة لمدة عامين أبلى البارودي بلاء حسنًا.

بعد عودة البا رودي من حرب كريت تم نقله إلى

المعية الخديوية ياور خاصًا للخديوي إسماعيل، وقد ظل في هذا

المنصب ثمانية أعوام، ثم تم تعيينه كبيرًا لياوران ولي العهد

" توفيق بن إسماعيل" في يونيو ١٨٧٣ ومكث في منصبه سنتين ونصف

السنة، عاد بعدها إلى معية الخديوي إسماعيل كاتبًا لسره (سكرتيرًا)، ثم

ترك منصبه في القصر وعاد إلى الجيش .

ولما استنجدت الدولة العثمانية بمصر في حربها ضد روسيا ورومانيا

وبلغاريا والصرب، كان البا رودي ضمن قواد الحملة الضخمة التي بعثتها

مصر، ونزلت الحملة في "وارنة" أحد ثغور البحر الأسود، وحاربت

في أوكرانيا ببسالة وشجاعة، غير أن الهزيمة لحقت بالعثمانيين، وألجأتهم

إلى عقد معاهدة "سان استفانوا" وعادت الحملة إلى مصر، وكان الإنعام

على البارودي برتبة" اللواء "والوسام المجيدي من الدرجة الثالثة، ونيشان الشرف؛ لِمَا قدمه من ضروب الشجاعة وألوان البطولة.

تم كشف مؤامرة قام بها بعض الضباط الشراكسة لإغتيال البارودي وعرابي، وتم تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة المتهمين، فقضت بتجريدهم من رتبهم ونفيهم إلى أقاصي السودان، ولمّا رفع "البارودي" الحكم إلى الخديوي توفيق للتصديق عليه، رفض بتحريض من قنصلي إنجلترا وفرنسا، فغضب البارودي، وعرض الأمر على مجلس النُظار، فقرر أنه ليس من حق الخديوي أن يرفض قرار المحكمة العسكرية العليا وفقًا للدستور.

كان أحد أبطال ثورة عام ١٨٨١م الشهيرة ضد الخديوي توفيق بالاشتراك مع أحمد عرابي، وقد أسندت إليه رئاسة الوزارة الوطنية في ٤ فبراير ١٨٨٢ حتى ٢٦ مايو ١٨٨٢ بعد سلسلة من أعمال الكفاح والنضال ضد

فساد الحكم وضد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢ قررت السلطات الحاكمة نفيه مع زعماء الثورة العرابية في ٣ ديسمبر عام ١٨٨٢ إلى جزيرة سرنديب (سريلانكا)

****

حياته في المنفى:

ظل في المنفى بمدينة كولومبو أكثر من سبعة عشر عاماً يعاني الوحدة والمرض والغربة عن وطنه، فسجّل كل ذلك في شعره النابع من ألمه وحنينه.

وفي المنفى شغل البا رودي نفسه بتعلم الإنجليزية حتى أتقنها، وانصرف إلى تعليم أهل الجزيرة اللغة العربية ليعرفوا لغة دينهم الحنيف، وإلى اعتلاء المنابر في مساجد المدينة ليُفقّه أهلها شعائر الإسلام. وطوال هذه الفترة قال قصائدها الخالدة، التي يسكب فيها آلامه وحنينه إلى الوطن، ويرثي من مات من أهله وأحبابه وأصدقائه، ويتذكر أيام شبابه ولهوه وما آل إليه حاله، ومضت به أيامه في المنفى ثقيلة واجتمعت عليه علل الأمراض، وفقدان الأهل والأحباب، فساءت صحته، بعد أن بلغ الستين من عمره اشتدت

عليه وطأة المرض وضعف بصره فقرر عودته إلى وطنه مصر للعلاج، فعاد إلى مصر يوم ١٢ سبتمبر ١٨٩٩ م وكانت فرحته غامرة بعودته إلى الوطن وأنشد أنشودة العودة التي قال في مستهلها :

أبابلُ رأي العين أم هذه مصرُ

فإني أرى فيها عيوناً هي السحرُ

وفاته:

بعد عودته إلى القاهرة ترك العمل السياسي، وفتح بيته للأدباء والشعراء، يستمع إليهم، ويسمعون منه، وكان على رأسهم شوقي وحافظ ومطران، وإسماعيل صبري، وقد تأثروا به ونسجوا على منواله ، فخطوا بالشعر خطوات واسعة، وأُطلق عليهم "مدرسة النهضة" أو "مدرسة الأحياء .

توفي البارودي في ١٢ ديسمبر ١٩٠٤م بعد سلسلة من الكفاح والنضال من أجل استقلال مصر وحريتها وعزتها .

****

وقد رثاه الشاعر حافظ إبراهيم عند موته قائلاً :-

رُدّوا عَلَيَّ بَياني بَعدَ مَحمودِ
إِنّي عَييتُ وَأَعيا الشِعرُ مَجهودي

ما لِلبَلاغَةِ غَضبى لا تُطاوِعُني
وَما لِحَبلِ القَوافي غَيرَ مَمدودِ

ظَنَّت سُكوتِيَ صَفحاً عَن مَوَدَّتِهِ
فَأَسلَمَتني إِلى هَمٍّ وَتَسهيدِ

وَلَو دَرَت أَنَّ هَذا الخَطبَ أَفحَمَني

لَأَطلَقَت مِن لِساني كُلَّ مَعقودِ

لَبَّيكَ يا مُؤنِسَ المَوتى وَموحِشَنا

يا فارِسَ الشِعرِ وَالهَيجاءِ وَالجودِ

مُلكُ القُلوبِ وَأَنتَ المُستَقِلُّ بِهِ

أَبقى عَلى الدَهرِ مِن مُلكِ اِبنِ داوودِ

لَقَد نَزَحتَ عَنِ الدُنيا كَما نَزَحَت

عَنها لَياليكَ مِن بيضٍ وَمِن سودِ

أَغمَضتَ عَينَيكَ عَنها وَاِزدَرَيتَ بِها

قَبلَ المَماتِ وَلَم تَحفِل بِمَوجودِ

لَبَّيكَ يا شاعِراً ضَنَّ الزَمانُ بِهِ

عَلى النُهى وَالقَوافي وَالأَناشيدِ

تَجري السَلاسَةُ في أَثناءِ مَنطِقِهِ

تَحتَ الفَصاحَةِ جَريَ الماءِ في العودِ

في كُلِّ بَيتٍ لَهُ ماءٌ يَرِفُّ بِهِ

يَغارُ مِن ذِكرِهِ ماءُ العَناقيدِ

لَو حَنَّطوكَ بِشِعرٍ أَنتَ قائِلُهُ

غَنيتَ عَن نَفَحاتِ المِسكِ وَالعودِ

حَلَّيتَهُ بَعدَ أَن هَذَّبتَهُ بِسَنا

عِقدٍ بِمَدحِ رَسولِ اللَهِ مَنضودِ

كَفاكَ زاداً وَزَيناً أَن تَسيرَ إِلى

يَومِ الحِسابِ وَذاكَ العِقدُ في الجيدِ

لَبَّيكَ يا خَيرَ مَن هَزَّ اليَراعَ وَمَن

هَزَّ الحُسامَ وَمَن لَبّى وَمَن نودي

إِن هُدَّ رُكنُكَ مَنكوباً فَقَد رَفَعَت

لَكَ الفَضيلَةُ رُكناً غَيرَ مَهدودِ

إِنَّ المَناصِبَ في عَزلٍ وَتَولِيَةٍ

غَيرُ المَواهِبِ في ذِكرٍ وَتَخليدِ

أَكرِم بِها زَلَّةً في العُمرِ واحِدَةً

إِن صَحَّ أَنَّكَ فيها غَيرُ مَحمودِ

سَلوا الحِجا هَل قَضَت أَربابُهُ وَطَراً

دونَ المَقاديرِ أَو فازَت بِمَقصودِ

كُنتَ الوَزيرَ وَكُنتَ المُستَعانَ بِهِ

وَكانَ هَمُّكَ هَمَّ القادَةِ الصيدِ

كَم وَقفَةٍ لَكَ وَالأَبطالُ طائِرَةٌ

وَالحَربُ تَضرِبُ صِنديداً بِصِنديدِ

تَقولُ لِلنَفسِ إِن جاشَت إِلَيكَ بِها

هَذا مَجالُكِ سودي فيهِ أَو بيدي

تَسَخَت يَومَ كَريدٍ كُلَّ ما نَقَلوا

في يَومِ ذي قارَ عَن هاني بنِ مَسعودِ

نَظَمتَ أَعداكَ في سِلكِ الفَناءِ بِهِ

عَلى رَوِيٍّ وَلَكِن غَيرُ مَعهودِ

كَأَنَّهُم كَلِمٌ وَالمَوتُ قافِيَةٌ

يَرمي بِهِ عَرَبِيٌّ غَيرُ رِعديدِ

أَودى المَعرّي تَقِيُّ الشِعرِ مُؤمِنُهُ

فَكادَ صَرحُ المَعالي بَعدَهُ يودي

وَأَوحَشَ الشَرقُ مِن فَضلٍ وَمِن أَدَبٍ

وَأَقفَرَ الرَوضُ مِن شَدوٍ وَتَغريدِ

وَأَصبَحَ الشِعرُ وَالأَسماعُ تَنبِذُهُ

كَأَنَّهُ دَسَمٌ في جَوفِ مَعمودِ

أَلوى بِهِ الضَعفُ وَاِستَرخَت أَعِنَّتُهُ

فَراحَ يَعثُرُ في حَشوٍ وَتَعقيدِ

وَأَنكَرَت سَمَاتُ الشَوقِ مَربَعَهُ

تُثيرُها خَطَراتُ الخُرَّدِ الخودِ

لَو أَنصَفوا أَودَعوهُ جَوفَ لُؤلُؤَةٍ

مِن كَنزِ حِكمَتِهِ لا جَوفَ أُخدودِ

وَكَفَّنوهُ بِدَرجٍ مِن صَحائِفِهِ

أَو واضِحٍ مِن قَميصِ الصُبحِ مَقدودِ

وَأَنزَلوهُ بِأُفقٍ مِن مَطالِعِهِ

فَوقَ الكَواكِبِ لا تَحتَ الجَلاميدِ

وَناشَدوا الشَمسَ أَن تَنعي مَحاسِنَهُ

لِلشَرقِ وَالغَربِ وَالأَمصارِ وَاليَدِ

أَقولُ لِلمَلَإِ الغادي بِمَوكِبِهِ

وَالناسُ ما بَينَ مَكبودٍ وَمَفؤودِ

غُضّوا العُيونَ فَإِنَّ الروحَ يَصحَبُكُم

مَعَ المَلائِكِ تَكريماً لِمَحمودِ

يا وَيحَ لِلقَبرِ قَد أَخفى سَنا قَمَرٍ

مُقَسَّمِ الوَجهِ مَحسودِ التَجاليدِ

يا وَيحَهُ حَلَّ فيهِ ذو قَريحَتُهُ

لَها بِخِدرِ المَعالي أَلفُ مَولودِ

فَرائِدٌ خُرَّدٌ لَو شاءَ أَودَعَها

مُحصي الجَديدِ سِجِلّاتِ المَواليدِ

كَأَنَّها وَهيَ بِالأَلفاظِ كاسِيَةٌ

وَحُسنُها بَينَ مَشهودٍ وَمَحسودِ

لَآلِئٌ خَلفَ بَلّورٍ قَدِ اِتَّسَقَت

في بَيتِ دُهقانَ تَستَهوي نُهى الغيدِ

مَحمودُ إِنّي لَأَستَحييكَ في كَلِمي

حَيّاً وَمَيتاً وَإِن أَبدَعتُ تَقصيدي

فَاِعذِر قَريضِيَ وَاِعذِر فيكَ قائِلَهُ

كِلاهُما بَينَ مَضعوفٍ وَمَحدودِ

من آثاره:

- ديوان شعر في جزئين
- له ٣٢١ قصيدة فصحى كما ذُكر في موقع أدب وويكيديا
- مجموعات شعرية سُميّت مختارات البارودي، جمع فيها مقتطفات لثلاثين شاعراً من الشعر العبّاسي،
- مختارات من النثر تُسمّى قيد الأوابد.
- نظم البارودي مطولة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، تقع في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا، وقد جارى فيها قصيدة البوصيري البردة، قافية ووزنا وسماها، كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة.

مؤلفات عن محمود سامي البارودي ، يمكن للباحث العودة إليها أيضاً :

- نفوسة زكريا - البارودي حياته وشعره- القاهرة ١٩٩٢.
- السماح عبدالله – مختارات من شعر محمود سامي البارودي – مكتبة الأسرة – القاهرة، ٢٠٠٥.
- علي الحديدي - محمود سامي البارودي شاعر النهضة- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٦٩.
- شوقي ضيف – البارودي رائد الشعر الحديث – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٨م.
- شعراء النهضة العربية تأليف السيد فالح الحجية\ الشاعر محمود سامي البارودي
- إسماعيل مزهر – بناء الجملة في شعر البارودي – رسالة ماجستير، ٢٠١٠م.

البارودي بدا سامقاً في رائعاته السياسية، وفي شعر الطبيعة والحنين، إذ فيها تطابق بين صدق معاناته، وصدق تعبيره .

ويميل الى اعتناق رأي هيكل بأن محاكاته الاقدمين، ومعارضته إياهم، كانت جديدة.

ظهر محمود سامي البارودي في زمن كانت اللغة العربية تحاول جاهدة اثبات ذاتها ، واستعادة ألقها ، وتخليص وجهها مما علق به من غبار الوهن والركاكة، تلك التي فرضتها قرون من الضعف والتردي وتسلط الأجنبي .

ظهر البارودي في مصر التي كانت التركية لغتها الرسمية، وكان التعليم الحديث قد بدأ يخطو خطواته الأولى، ودراسة الأدب واللغة قاصرة على الأزهر بمناهجه وأساليبه البالية التي لا تعين على تكوين ذوق أدبي، ولا صقل موهبة شعرية يقال أنه بدأ نظم الشعر وهو طالب في المدرسة الحربية، في الوقت الذي كان فيه أبناء زمانه من المصريين يتحدثون بالعامية لأنهم لا يحسنون الحديث باللغة العربية.

ظهر البارودي في زمن كان فيه جلّ الشعر المصري يرفل في ثياب الصنعة والمحسنات، ويخوض بحر التزلف والنفاق، أدواته المبالغة والتزييف والكذب، ولغته ضعيفة، وأساليبه متهالكة، ومعانيه وصوره سقيمة ومبتذلة.

في هذا الجو ظهر البارودي وتكوّنت شخصيته، ويذكر أن له خالاً اسمه إبراهيم علي آغا البارودي، وكان أديباً وشاعراً، راوية لدواوين الشعر العربي والتركي، وحينما وافته المنية وهو في الخامسة والعشرين من عمره، أمرت أخته فاطمة، والدة الشاعر، بكتابة شعره في ألواح زيّنت بها غرف الطابق العلوي من بيتها، وأقبل محمود سامي في صباه على هذه الألواح فقرأها ورواها، وانتفع بمكتبة خاله، فكان ذلك فاتحة نبوغه في الشعر، وكانت هذه المادة الشعرية هي نقطة البداية لمسيرته الشعرية وفي ذلك

يقول:

أنا في الشعر عريق لم أرثه عن كلالة

كان إبراهيم خالي فيه مشهور المقالة

ومع أن البارودي لم يدرس اللغة العربية في كتبها المتخصصة، بل أخذها من مصادرها الأصلية، كما كان يفعل الشعراء القدامى عندما كانوا يخرجون الى البادية لأخذ اللغة من أفواه الأعراب.

ولم يكتفِ بذلك، بل قد مدّ يده الى مخطوطات دواوين الشعراء الكبار، والشعراء الفرسان في العصور العباسية والأموية والجاهلية، يقرأ فيها بنهم وشغف، ليجد نفسه في عالم أدبي ولغوي وشعري، يختلف عن العالم الذي يعيشه الشعر في مصر آنذاك. . في ذلك الجو تشكّلت شخصيته الأدبية، وتكاملت أدواته الشعرية، فإذا بشعره مختلف كل الإختلاف عن شعر

عصره، روحاً ولغة وأسلوباً ومعاني وصوراً وأنساقاً بلاغية . . فإذاً نحن أمام شاعر يعيدنا إلى العصور الذهبية للشعر العربي، ويذكّرنا بفحول الشعراء العرب من المعري إلى المتنبي إلى الشريف الرضي إلى أبي تمام إلى البحتري إلى أبي نواس إلى مسلم بن الوليد إلى بشار بن برد . . فهو يعارضهم ويروض القول على منوالهم، ويتمثل قصائدهم وتجاربهم، ويعيد لنا معاجمهم الشعرية، وأساليبهم، ومعانيهم، وصورهم، وقوافيهم، وأوزانهم، وكأنه واحد منهم، ينتمي إلى القرن الخامس او الرابع الهجري، وليس للقرن التاسع عشر، وكأنه يعيش في صحراء نجد أو جنوبي العراق، وليس في القاهرة ذات الماء والخضرة.

بدأ البارودي ظاهرة جديدة في عصره حيّرت النقاد والباحثين، في زمنه وبعد زمنه، وما يزال شاغل الناس حتى يومنا هذا: أهو باعث أم مجدد ؟ تقليدي أم حديث، كلاسيكي أم رومانسي ؟ وجداني أم واقعي ؟ وما

يزال الدارسون يبحثون عن إجابات حول موقعه في مسيرة الشعر العربي، وحول قيمته الفنية في زمنه، وفي وقتنا الحاضر.

إذا تمحصنا ديوان البارودي فسنجد أن كل بيت من شعره يعبر عن حياته وهذه هي آية الشاعرية الأولى، لأن الشعر تعبير، والشاعر هو الذي يعبر عن النفوس الإنسانية، فإذا كان القائل لا يصف حياته وطبيعته في قوله، فهو بالعجز عن وصف حياة الآخرين أولى ، فقيمة الشعر وأهميته في قدرته على تصوير حياة صاحبه وأحواله وظروفه.

ألوان الشعر عند البارودي :-

- الوصف :
- يعد الوصف جديداً لدى البارودي ، وذلك لما بعث فيه من لمسات تعبر عن سعة ثقافته واستقلال منهجه حيث أفرد ، للوصف قصائد مستقلة ، ولم يأت به -أي الوصف- عرضاً في ثنايا القصائد ، لأن

شاعريته وحواسه المرهفة وتذوقه للجمال كانت تدفعه إلى قول الشعر ووصف مشاهداته لا كما هي في الطبيعة ، ولكنه يخرجها ملونة بلباس جديد لتمثل شخصيته وشعوره وأفكاره .

وموضوعات الوصف التي عالجها البارودي في شعره عديدة ومتنوعة منها :

- أ- وصف الطبيعة.
- ب- وصف الأشخاص.
- ت- وصف الأشياء الأخرى كالسجن والقطار والخمر.
- ث- مجد آبائه المماليك الذين حكموا مصر ، يستحضر هذا المجد في مجد وطنه مصر وما كشفه علم الآثار من أمجاد المصريين القدماء.
- ج- وصف المخترعات الحديثة.

• الشعر السياسي:

من الأغراض القديمة التي خلع عليها البارودي لباس الجدة ولامستها

بوادر التجديد ، وظهرت فيها شخصية واضحة جلية تعبر عن نفسه الأبية المتمردة على الظلم و الاستبداد ، يدعو شاعرنا إلى حب العدالة والشورى والمساواة بين الناس في شعره السياسي مما دفعه إلى أن يحتل مركز الصدارة بين أبناء شعبه وأمته وأصبح زعيما وطنيا محبوبا لذلك زج به في غياهب السجون ، وأُبعد عن وطنه ولكنه لم يكفْ عن هذا الشعر الوطني والسياسي على الرغم مما لقيه من نفي وتشريد ومرض ، وظل هذا الشعر يحرق الطغاة المتجبرين ، لذلك طالت مدة نفيه عن ديا ره ولم يسمح له الحكام بالعودة إلى وطنه إلا أن دب إلى جسمه دبيب الفناء وأصا به الضعف والهزال وفقد بصره.

حقق شاعرنا في قصائده السياسية والوطنية حين انتقل بها من عالم الفردية الذاتية التي يعيش فيها إلى عالم أرحب و أوسع هو خدمة الوطن ، وتحوّل من معالجة محور الحياة الخاصة الذي يدور فيه إلى مجال النضال الوطني الكبير ، ثورة يريدها أن تمتد من نفسه إلى أبناء شعبه

فتساعدهم ليستأصلوا أسباب ذلهم وعلة ظلمهم.

الهجاء:

الهجاء نوعان: شخصي وهو ما تعارف عليه شعراء العربية، واجتماعي يراد به التهكم الذي يصور عيبا من عيوب المجتمع وذلك لغرض الإصلاح وقد يتمثل هذا العيب الاجتماعي في شخص من الأشخاص، والدارس لشعر البارودي يجد نوعين من الهجاء: الشخصي والاجتماعي، وأكثر من الهجاء الاجتماعي لعله يسهم في إصلاح مجتمعه، نجده يشكو الناس ونفاقهم وظلمهم وغدرهم ويصور قومه ويعدد عيوبهم، كما يذم زمانه وينعى على معاصريه تلونهم وعدم وفائهم في صداقاتهم لاسيما وأنهم خذلوه وآذوه لذا تميز هجاء البارودي بأنه هجاء لاذع وساخر إذ يصب هجاؤه على جماعة أو أفراد يضعهم في لوحة بارعة الأبعاد كثيرة الجزئيات تتفاعل فيما بينها لتنمو في إطار اللوحة العامة وهي أشد ما تكون قسوة وامتهاناً.

الرثاء:

امتازت مراثي البارودي بصدق الإحساس ورقة العاطفة لذا فإنه لم يرث صديقا أو قريبا إلا كان رثاؤه صادقا بعيدا عن شعر المناسبات.

الفخر :

أما فخر البارودي فلم يتناوله لغرض تقليد الآخرين ، بل لدواعٍ تتعلق بشخصيته الطموحة ، فلو أمعنا النظر في أية قصيدة من قصائده في الفخر لوجدنا فيها معاني الإباء والشمم ، والاعتزاز بالنسب ، والتغني بالشجاعة والإشادة بالمواقف الصعبة التي تمثل طموحاته وتجاربه الحياتية.

مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي بدأت تتكون بشائر حركات وإتجاهات في الشعر العربي الحديث ومن أوائل هذه الحركات وأهمها مدرسة الإحياء أو البعث الكلاسيكي وذلك حفاظاً على اللغة العربية والتراث الشعري العربي من الاندثار والضياع بعد استيلاء التتار على بغداد ودمشق مما أدى إلى رمي كثير من كتب التراث في نهر دجلة وإحراق المكتبات العامة ودور

العلم، وزاد الضعف بعد استيلاء المماليك وتلاه بعد ذلك استيلاء العثمانين على مصر والشام ونتج عن ذلك انتشار الجهل وازدياد الفقر وفرض اللغة التركية اللغة الرسمية بدلاً من اللغة العربية ، قامت مدرسة الإحياء لحماية الشعر واللغة العربية من الاندثار ، وكان رائد هذه المدرسة الشاعر محمود سامي البارودي وانضم إليه عدد كبير من الشعراء منهم حافظ إبراهيم، أحمد شوقي، علي الجندي، أحمد محرم، محمود غنيم ، عزيز أباظة ، شفيق جبري ، بشارة الخوري ، أحمد السقاف ، إسماعيل صبري ، محمد عبد المطلب، جميل الزهاوي، معروف الرصافي، إلا إن هذه المدرسة لم تتجه إلى التجديد الحقيقي في الشعر العربي وإنما كان جل إهتمامها وشغلها الشاغل منكباً على إحياء التراث الشعري وخاصة الشعر في العصر العباسي إذ نرى في قصائد رواد هذه المدرسة ملامح ومحاكاة وأصداء لشعر المتنبي، والشريف الرضي وأبو تمام والبحتري وغيرهم من رواد شعراء ذلك العصر . إلا أن رواد هذه المدرسة أثروا

المكتبة الأدبية بعطاءات شعرية إبداعية عظيمة بما لديهم من ثقافات شعرية وأدبية ولغوية واسعة .

وكان من أهم مميزات شعراء هذه المدرسة المحافظة على عدم الخروج على وحدة الوزن والقافية في القصيدة ، والإلتزام بالتراث القديم وخاصة شعراء العصر العباسي حيث يسود التقليد معظم أشعارهم من ناحية الوزن والموسيقى والرؤية الشعرية والقافية، وقوة الأسلوب الشعري وبتجنب الأخطاء اللغوية والإبتعاد عن الركاكة في بنية القصيدة، وإعتماد الشعر صناعة لفظية تكتسب بالحفظ والممارسة والثقافة وإعتماد القصيدة على ثقافة الشاعر اللغوية والأدبية والثقافة العامة .

ومن أهم علامات نجاح هذه المدرسة أنه كان لها الحظ الأوفر في إحياء شامل في بعث وإحياء الأدب والثقافة والفكر ومما ساعد على ذلك بداية المطابع في إخراج أمهات الكتب العربية مثل : مجلدات الأغاني للأصفهاني

و دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القادر الجرجاني ومقامات الحريري وبديع الزمان الهمداني وإصدار الصحف ، يقول أحمد شوقي في ذلك :

لكل زمان مضى آية

وآية هذا الزمان الصحف .

وأخيراً

فإن البارودي من أول المجددين في الشعر العربي الحديث ، وهو تجديد يقوم على نقطتين : بعث الأسلوب القديم في الشعر بحيث تعود إليه جزالته ورصانته وتصوير الشاعر لنفسه وقومه وبيئته وعصره تصويراً مخلصاً صادقاً .

كما حاول البارودي التجديد في الأوزان فنظم قصيدة على وزن جديد هو مجزوء المتدارك ، ولم يسبق للعرب أن نظموا فيه ، وإنما ورد المتدارك عندهم كاملاً أو مشطوراً .

وأغلب الظن أن الظروف التي ساعدت على أن يكون البارودي رائداً

للشعر العربي الحديث تتمثل في :

. حفظ واستظهر البا رودي النماذج الرائعة من الشعر العربي القديم .

. الثقافة الواسعة التي تتوزع بين العربية والتركية والفارسية .

. الجنس التركي الذي ظهر طابعه في شعره الذي يقوم على الاعتداد بالنفس والفخر بالنسب والسعي نحو الطموح ومنه الطموح الأدبي ليعيد مجد آبائه وأجداده .

. البيئة المصرية وهي العنصر الأساس الذي أمده بمادة تجاربه وصوره الواقعية الناضجة .

وتأسيساً على ما تقدم تبين لنا أن البا رودي يُعَد حامل لواء الشعر العربي الحديث ، فقد خلصه من أساليبه الركيكة المبتذلة ، وقيوده البديعية وأغراضه الضيقة التي كانت تقتصر على الزلفى والتملق ، ونفخ فيه من روحه وروح قومه وعصره وبيئته ما بعث في شعرنا الحديث الحياة كما نفخ فيه روح العروبة ، فإذا الحاضر يتصل بالماضي اتصالاً خصباً حيّاً وإذا

الماضي ينبعث من جديد بعثا تبرز فيه الشخصية العربية وانبعثت في ظل شعره مدرسة البعث أو الإحياء أو النهضة ومن ابرز أعلامها : إسماعيل صبري ، حافظ إبراهيم ، احمد شوقي ، وخليل مطران ، بل استظلت بظله جميع المدارس التجديدية التي تلته في القرن العشرين.

كما أسردت لكم في سياق الموضوع أن للشاعر ٣٢١ قصيدة قصائد باللغة العربية الفصحى و بشتى المواضيع المختلفة ، سأحاول سرد بعضاً من قصائده هنا مع المناسبات التي قيلت بها.

لقد ترك محمود سامي البارودي من إرث شعري ، ملحمته الدينية ورائعته الأدبية التي قالها في مدح الرسول الكريم كشف الغمة في مدح سيد الأمة. وقبل أن ندخل في تفاصيلها لابدّ من القول إن المدائح النبوية، ظلت تتطور طيلة سبعة قرون إلى أن أصبحت فنا مستقلا، قائما بذاته. ففي القرن السابع للهجرة توافرت لها تقاليد ناضجة تجاوز لامية كعب ابن زهير، ودالية الأعشى ومدائح حسان بن ثابت .

وهذا الفّن مدين لأبي عبدالله محمد البوصيري الذي توّجهُ بميميته الشهيرة البردة. وفيما بعد، عارض شعراء كثيرون بردة البوصيري واستخدموا في معارضاتهم فنا جديدا آنذاك هو فن البديع .

وظلت بردة البوصيري ومعارضاتها، مصدر تحد لكل من كتب في المدائح النبويّة في العصر الحديث .

وإذا كان البوصيري قد خلّص بردته من قيود وعصر الانحطاط، فإن البارودي قد خلّص الشعر العربي كلّه مما كان فيه من وهن وضعف وبديع متكلّف .

نظم البوصيري قصيدته، استشفاعا عند الله تعالى ورسوله الكريم كي يشفيه من فالج (شلل) أودى بنصفه. ونظم البارودي ملحمته ذريعة أمت بها يوم المعاد، وسلّما إلى النجاة من هول المحشر .

ويشترك الشاعران في الفخر بمشاركة النبي العربي، اسمه الكريم

إذ يقول البوصيري :

فإنّ لي ذمةً بتسميتي محمدا

وهو أوفى الخلق بالذمم

ويقول البا رودي :

أم كيف تخذلني من بعد تسميتي

باسمٍ له في سماء العرش محترم

لكن ملحمة البا رودي تمتاز عن بردة البوصيري في محاكاتها أسلوب القدماء .

من ذلك مثلا: الاستطراد . ففيما يكتفي البوصيري بالإشارة إلى قصة الغار الذي لجأ إليه النبيُّ في المدينة، نجد شاعرنا ، يفصّلُ في وصف الحمامتين والعنكبوت وعملهما ، ويستغرق في ذلك، مبتعداً عن موضوعه الأصليّ وهو المديح، كما كان يفعل القدماء تماما؛ إذ يستغرقهم وصف

الناقة فيما هم يمدحون أو يرثون، أو غير ذلك .

يبدأ البارودي ملحمته بالنسيب في مجاراة لبداية بردة البوصيري لكنه يجنح بها إلى الحكمة التي تخلو منها البردة، وكأنه يرغب في المقارنة بين معاناة النبي الكريم في قومه ومعاناة الشاعر في قومه ! يبدو ذلك جلياً في الأبيات من ٩٦ إلى ١١٦ والتي يذكر فيها نزول الوحي واضطلاع الرسول الكريم بأعباء الرسالة في سن الأربعين .

ومن اللافت في ملحمة البارودي عنايته بالوصف عموماً وبوصف جيش النبي وغزواته خصوصا .

ويبدو أن تجربة الشاعر كجندي ومقاتل، فارس، وما تثيره ذكرى الوقائع في نفسه قد جعلته يخوض قصيدته، فارساً لا ناظما ... !

يقول في وصف أصحابه من معاركه:

إذا نحن سرنا، صرّح الشر باسمه

صاح القنا بالموت واستقتل الجندُ

ويقول في صحابة الرسول الكريم:

بيض أساورة، غُلْبُ قساورة

شكْسٌ لدى الحرب مطعامون في الأُزمِ

كما سيتضح فيما بعد أن القصيدة تستند أساسا إلى سيرة النبي صلى الله

عليه وسلم وذلك يعني أن معظمها تاريخ منظوم ولكنه في الوقت نفسه يكشف عن مدى حب الشاعر للرسول عليه الصلاة والسلام، حيث لم يكتف بالمدح، بل أراد أن يواكب حياة الرسول الباهرة، وأن يمضي معها من البداية إلى النهاية يتنسم عطرها الإلهي ويهتدي بنورها في شباب الحياة ويستمد منها القوة في مواجهة عاديات الزمن، وهو لا يرجو من ذلك إلا أن تكون قصيدته وسيلته إلى النجاة يوم القيامة.

عدد أبيات هذه القصيدة ٤٤٧، سأوردها في ٩ أجزاء لطولها..

كشف الغمة في مدح سيد الأمة / الجزء الأول

يا رَائِدَ البَرقِ يَمّمِ دارَةَ العَلَمِ

وَاحدُ الغَمامَ إِلى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ

وَإِن مَرَرتَ عَلى الرَّوحاءِ فَامرِلَها

أَخلافَ سارِيَةٍ هَتّانَةِ الدِيَمِ

مِنَ الغِزارِ اللَّواتي في حَوالِيها

رِيُّ النَّواهِلِ مِن زَرعٍ وَمِن نَعَمِ

إِذا اِستَهَلَّت بِأَرضٍ تَمنَمَت يَدُها

بُرداً مِنَ النَّورِ يَكسُو عارِيَ الأَكَمِ

تَرى النَّباتَ بِها خُضراً سَنابِلُهُ

يَختالُ في حُلَّةٍ مَوشِيَّةِ العَلَمِ

أَدعُو إِلى الدّارِ بِالسُّقيا وَبي ظَمَأٌ

حَقٌّ بِالريِّ لَكِنّي أَخو كَرَمِ

مَنازِلٌ لِهَواها بَينَ جانِحَتي

وَدِيعَةٌ سِرُّها لَم يَتَّصِل بِفَمي

إِذا تَنَسَّمتُ مِنها نَفحَةً لَعِبَت

بِيَ الصَبابَةُ لَعبَ الرِيحِ بِالعَلَمِ

أَدِر عَلى السَمعِ ذِكراها فَإِنَّ لَها

في القَلبِ مَنزِلَةً مَرعِيَّةَ الذِمَمِ

عَهدٌ تَوَلّى وَأَبقى في الفُؤادِ لَهُ

شَوقاً يَفُلُّ شَباةَ الرَأيِ وَالهِمَمِ

إِذا تَذَكَّرتُهُ لاحَت مَخايِلُهُ

لِلعَينِ حَتّى كَأَنّي مِنهُ في حُلُمِ

فَما عَلى الدَهرِ لَو رَقَّت شَمائِلُهُ

فَعادَ بِالوَصلِ أَو أَلقى يَدَ السَلَمِ

تَكاءَدَتني خُطوبٌ لَو رَمَيتُ بِها

مَناكِبَ الأَرضِ لَم تَثبُت عَلى قَدَمِ

في بَلدَةٍ مِثلِ جَوفِ العَيرِ لَست أَرى

فيها سِوى أُمَمٍ تَحنُو عَلى صَنَمِ

لا أَستَقِرُّ بِها إِلّا عَلى قَلَقٍ

وَلا أَلَذُّ بِها إِلّا عَلى أَلَمِ

إِذا تَلَفَّتُّ حَولي لَم أَجِد أَثَراً

إِلا خَيالي وَلَم أَسمَع سِوى كَلِمي

فَمَن يَرُدُّ عَلى نَفسي لُبانَتَها

أَو مَن يُجيرُ فُؤادِي مِن يَدِ السَّقَمِ

لَيتَ القَطا حِينَ سارَت غُدوَةً حَمَلَت

عَنّي رَسائِلَ أَشواقي إِلى إِضَمِ

مَرَّت عَلَينا خِماصاً وَهيَ قارِبَةٌ

مَرَّ العَواصِفِ لا تَلوي عَلى إِرَمِ

لا تُدرِكُ العَينُ مِنها حينَ تَلمَحُها

إِلا مِثالاً كَلَمعِ البَرقِ في الظُّلَمِ

كَأَنَّها أَحرُفٌ بَرقِيَّةٌ نَبَضَت

بِالسِّلكِ فَانتَشَرَت فِي السَّهلِ وَالعَلَمِ

لا شَيءَ يَسبِقُها إلّا إذا اِعتَقَلَت

بَنائِتي في مَديحِ المُصطَفى قَلَمِي

مُحَمَّدٌ خاتَمُ الرُسلِ الَّذي خَضَعَت

لَهُ البَرِيَّةُ مِن عُربٍ وَمِن عَجَمِ

سَميرُ وَحيٍ وَمَجنى حِكمَةٍ وَنَدى

سَماحَةٍ وَقِرى عافٍ وَرِيُّ ظَمِ

قَد أَبلَغَ الوَحيُ عَنهُ قَبلَ بِعثَتِهِ

مَسامِعَ الرُسلِ قَولاً غَيرَ مُنكَتِمِ

فَذاكَ دَعوَةُ إِبراهيمَ خالِقَهُ

وَسِرُّ ما قالَهُ عِيسى مِنَ القِدَمِ

أَكرِم بِهِ وَبِآباءٍ مُحَجَّلَةٍ

جاءَت بِهِ غُرَّةً في الأَعصُرِ الدُّهُمِ

قَد كانَ في مَلَكوتِ اللَهِ مُدَّخَر

لِلدَعوَةِ كانَ فيها صاحِبَ العَلَمِ

نُورٌ تَنَقَّلَ في الأَكوانِ ساطِعُهُ

تَنَقُّلَ البَدرِ مِن صُلبٍ إِلى رَحِمِ

حَتّى اِستَقَرَّ بِعَبدِ اللَهِ فَاِنبَلَجَت

أَنوارُ غُرَّتِهِ كَالبَدرِ في البُهُمِ

وَاِختارَ آمِنَةَ العَذراءَ صاحِبَةً

لِفَضلِها بَينَ أَهلِ الحِلِّ وَالحَرَمِ

كِلاهُما فِي العُلا كُفءٌ لِصاحِبِه

وَالكُفءُ فِي المَجدِ لا يُستامُ بِالقِيَمِ

فَأَصبَحَت عِندَهُ فِي بَيتِ مَكرُمَةٍ

شِيدَت دَعائِمُهُ فِي مَنصِبٍ سِنِمِ

وَحِينما حَمَلَت بِالمُصطَفى وَضَعَ

تَيدُ المَشِيئَةِ عَنها كُلفَةَ الوَجَمِ

وَلاحَ مِن جِسمِها نُورٌ أَضاءَ لَها

قُصُورَ بُصرى بِأَرضِ الشّامِ مِن أُمَمِ

وَمُذ أَنى الوَضعُ وَهوَ الرَّفعُ مَنزِلَةً

جاءَت بِرُوحٍ بِنُورِ اللَهِ مُسَّسِمِ

ضاءَت بِهِ غُرَّةُ الإِثنَينِ وَابتَسَمَت

عَن حُسنِهِ في رَبيعٍ رَوضَةُ الحَرَمِ

وَأَرضَعَتهُ وَلَم تَيأَس حَليمَةُ مِنقولِ

المَراضِعِ إِنَّ البُؤسَ في اليَتَمِ

فَفاضَ بِالدِرِّ ثَديَاها وَقَد غَنِيَت

لَيالِياً وَهيَ لَم تَطعَم وَلَم تَنَمِ

وَانهَلَّ بَعدَ اِنقِطاعٍ رِسلُ شارِفِها

حَتّى غَدَت مِن رَفيهِ العَيشِ في طُعَمِ

فَيَمَّمَت أَهلَها مَملُؤَةً فَرَحاً

بِما أُتيحَ لَها مِن أَوفَرِ النِعَمِ

وَقَلَّصَ الجَدبُ عَنها فَهيَ طاعِمَةٌ

مِن خَيرِ ما رَفَدَتها ثَلَّةُ الغَنَمِ

وَكَيفَ تَمحَلُ أَرضٌ حَلَّ ساحَتَها

مُحَمَّدٌ وَهوَ غَيثُ الجُودِ وَالكَرَمِ

فَلَم يَزَل عِندَها يَنمُو وَتَكلَؤُهُ

رِعايَةُ اللَهِ مِن سُوءٍ وَمِن وَصَمِ

حَتّى إِذا تَمَّ مِيقاتُ الرَّضاعِ لَهُ

حَولَينِ أَصبَحَ ذا أَيدٍ عَلَى الفُطُمِ

وَجاءَ كَالغُصنِ مَجدُولاً تَرِفُّ عَلى

جَبينِهِ لَمحاتُ المَجدِ وَالفَهَمِ

فَبَينَما هُوَيَرعى البَهمَ طافَ بِهِ

شَخصانِ مِن مَلَكوتِ اللَهِ ذي العِظَمِ

فَأَضجَعاهُ وَشَقّا صَدرَهُ بِيَدٍ

رَفيقَةٍ لَم يَبِت مِنها عَلى أَلَمِ

وَبَعدَ ما قَضَيا مِن قَلبِهِ وَطَراً

تَوَلَّيا غَسلَهُ بِالسَّلسَلِ الشَّبِمِ

ما عالَجا قَلبَهُ إِلّا لِيَخلُصَ مِن

شَوبِ الهَوى وَيَعي قُدسِيَّةَ الحِكَمِ

فَيا لَها نِعمَةً لِلّهِ خَصَّ بِها

حَبيبَهُ وَهوَ طِفلٌ غَيرُ مُحتَلِمِ

وَقالَ عَنهُ بُحَيرا حِينَ أَبصَرَهُ

بِأَرضِ بُصرى مَقالاً غَيرَ مُتَّهَمِ

إِذ ظَلَّلَتهُ الغَمامُ الغُرُّ وَانهَصَرَت

عَطفاً عَلَيهِ فُروعُ الضّالِ وَالسَّلَمِ

بِأَنَّهُ خاتَمُ الرُّسلِ الكِرامِ وَمَن

بِهِ تَزُولُ صُرُوفُ البُؤسِ وَالنِّقَمِ

هَذا وَكَم آيَةٍ سارَت لَهُ فَمَحَت

بِنُورِها ظُلمَةَ الأَهوالِ وَالقُحَمِ

ما مَرَّ يَومٌ لَهُ إِلّا وَقَلَّدَهُ

صَنائِعاً لَم تَزَل فِي الدَّهرِ كَالعَلَمِ

حَتّى اِستَتَمَّ وَلا نُقصانَ يَلحَقُهُ

خَمساً وَعِشرِينَ سِنُّ البارِعِ الفَهِمِ

وَلَقَّبَتهُ قُرَيشٌ بِالأَمينِ عَلى

صِدقِ الأَمانَةِ وَالإِيفاءِ بِالذِّمَمِ

وَدَّت خَديجَةُ أَن يَرعى تِجارَتَها

وِدادَ مُنتَهِزٍ لِلخَيرِ مُغتَنِمِ

فَشَدَّ عَزمَتَها مِنهُ بِمُقتَدِرٍ

ماضِي الجِنانِ إِذا ما هَمَّ لَم يَخِمِ

وَسارَ مُعتَزِماً لِلشَأمِ يَصحَبُهُ

في السَيرِ مَيسُرَةُ المَرضِيُّ في الحَشَمِ

وَكَيفَ يَخسَرُ مَن لَولاهُ ما رَبِحَت

تِجارَةُ الدِّينِ في سَهلٍ وَفي عَلَمِ

فَقَصَّ مَيسُرَةُ المَأمونُ قِصَّتَهُ

عَلَى خَدِيجَةَ سَرداً غَيرَ مُنعَجِمِ

وَما رَواهُ لَهُ كَهلٌ بِصَومَعَةٍ

مِنَ الرَّهابِينِ عَن أَسلافِهِ القُدُمِ

في دَوحَةٍ عاجَ خَيرُ المُرسَلِينَ بِها

مِن قَبلِ بِعثَتِهِ لِلعُربِ وَالعَجَمِ

هَذا نَبِيٌّ وَلَم يَنزِل بِساحَتِها

إِلّا نَبِيٌّ كَرِيمُ النَّفسِ وَالشِّيَمِ

وَسِيرَةَ المَلِكَينِ الحائِمَينِ عَلى

جَبِينِهِ لِيُظِلّاهُ مِنَ التّهَمِ

فَكانَ ما قَصَّهُ أَصلاً لِما وَصَلَت

بِهِ إِلى الخَيرِ مِن قَصدٍ وَمُعتَزَمِ

أَحسِن بِها وَصلَةً في اللَّهِ قَد أَخَذَت

بِها عَلى الدَّهرِ عَقداً غَيرَ مُنفَصِمِ

فَأَصبَحا في صَفاءٍ غَيرِ مُنقَطِعٍ

عَلى الزَّمانِ وَوِدٍّ غَيرِ مُنصَرِمِ

وَحِينَما أَجمَعَت أَمراً قُرَيشُ عَلى

بِنايَةِ البَيتِ ذي الحُجّابِ وَالخَدَمِ

تَجَمَّعَت فِرَقُ الأَحلافِ وَاقتَسَمَت

بِناءَهُ عَن تَراضٍ خَيرَ مُقتَسَمِ

حَتّى إِذا بَلَغَ البُنيانُ غايَتَهُ

مِن مَوضِعِ الرُّكنِ بَعدَ الكَدِّ وَالجشَمِ

تَسابَقوا طَلَباً لِلأَجرِ وَاختَصَمُوا فِي

مَن يَشُدُّ بِناهُ كُلَّ مُختَصَمِ

وَأَقسَمَ القَومُ أَن لا صُلحَ يَعصِمُهُم

مِن اقتِحامِ المَنايا أَيَّما قَسَمِ

وَأَدخَلوا حينَ جَدَّ الأَمرُ أَيدِيَهُم

لِلشَرِّ فِي جَفنَةٍ مَملُوءَةٍ بِدَمِ

فَقالَ ذُو رَأيِهِم لا تَعجَلُوا وَخُذُوا

بِالحَزمِ فَهوَ الَّذي يَشفِي مِنَ الحَزَمِ

لِيَرضَ كُلُّ امرِئٍ مِنّا بِأَوَّلِ مَن

يَأتي فَيَقسِطُ فِينا قِسطَ مُحتَكِمِ

فَكانَ أَوَّلَ آتٍ بَعدَما اِتَّفَقُوا

مُحَمَّدٌ وَهوَ في الخَيراتِ ذُو قَدَمِ

فَقالَ كُلٌّ رَضينا بِالأَمينِ عَلَى

عِلمٍ فَأَكرِم بِهِ مِن عادِلٍ حَكَمِ

فَأَعلَمُوهُ بِما قَد كانَ وَاِحتَكَمُوا

إِلَيهِ في حَلِّ هَذا المُشكِلِ العَمَمِ

فَمَدَّ ثَوباً وَحَطَّ الرُّكنَ في وَسَطِ

مِنهُ وَقالَ اِرفَعُوهُ جانِبَ الرَّضَمِ

فَنالَ كُلُّ امرِئٍ حَظّاً بِما حَمَلَت

يَداهُ مِنهُ وَلَم يَعتِب عَلى القِسَمِ

حَتّى إِذا اِقتَرَبوا تِلقاءَ مَوضِعِهِ

مِن جانِبِ البَيتِ ذي الأَركانِ وَالدِّعَمِ

مَدَّ الرَّسُولُ يَداً مِنهُ مُبارَكَةً

بَنَتهُ في صَدَفٍ مِن باذِخٍ سَنَمِ

فَلِيَزدَدِ الرُّكنُ تيهاً حَيثُ نالَ بِهِ

فَخراً أَقامَ لَهُ الدُّنيا عَلى قَدَمِ

لَولَم تَكُن يَدُهُ مَسَّتهُ حِينَ بَنَى

ما كانَ أَصبَحَ مَلثُوماً بِكُلِّ فَمِ

يا لَيتَنِي وَالأَمانِي رُبَّما صَدَقَت

أَحظَى بِمُعتَنَقٍ مِنهُ وَمُلتَزَمِ

يا حَبَّذا صِبغَةٌ مِن حُسنِهِ أَخَذَت

مِنها الشَّبِيبَةُ لَونَ العُذرِ وَاللَمَمِ

كَالخالِ في وَجنَةٍ زِيدَت مَحاسِنُها

بِنُقطَةٍ مِنهُ أَضعافاً مِنَ القِيَمِ

وَكَيفَ لا يَفخَرُ البَيتُ العَتيقُ بِهِ

وَقَد بَنَتهُ يَدٌ فَيّاضَةُ النِعَمِ

أَكرِم بِهِ وازِعاً لَولا هِدايَتُهُ

لَم يَظهَرِ العَدلُ في أَرضٍ وَلَم يَقُمِ

هَذا الَّذي عَصَمَ اللَّهُ الأَنامَ بِهِ

مِن كُلِّ هَولٍ مِنَ الأَهوالِ مُحتَرِمِ

وَحِينَ أَدرَكَ سِنَّ الأَربَعينَ وَما

مِن قَبلِهِ مَبلَغٌ لِلعِلمِ وَالحِكَمِ

حَباهُ ذُو العَرشِ بُرهانًا أَراهُ بِهِ

آياتِ حِكمَتِهِ في عالَمِ الحُلُمِ

فَكانَ يَمضي لِيَرعى أُنسَ وَحشَتِهِ

في شاسِعٍ ما بِهِ لِلخَلقِ مِن أَرَمِ

فَما يُمرُّ عَلى صَخرٍ وَلا شَجَرٍ

إِلّا وَحَيّاهُ بِالتَّسليمِ مِن أَمَمِ

حَتّى إِذا حانَ أَمرُ الغَيبِ وَانحَسَرَت

أَستارُهُ عَن ضَميرِ اللَوحِ وَالقَلَمِ

كشف الغمة في مدح سيد الأمة / الجزء الثالث :

نادى بِدَعوَتِهِ جَهراً فَأَسمَعَها

في كُلِّ ناحِيَةٍ مَن كانَ ذا صَمَمِ

فَكانَ أَوَّلُ مَن في الدّينِ تابَعَهُ

خَدِيجَةٌ وَعَلِيٌّ ثابِتُ القَدَمِ

ثُمَّ اِستَجابَت رِجالٌ دُونَ أُسرَتِهِ

وَفي الأَباعِدِ ما يُغني عَنِ الرَّحِمِ

وَمَن أَرادَ بِهِ الرَّحمنُ مَكرُمَةً

هَداهُ لِلرُّشدِ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

ثُمَّ اِستَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ مُعتَزِماً

يَدعُو إِلى رَبِّهِ في كُلِّ مُلتَأَمِ

وَالنّاسُ مِنهُم رَشيدٌ يَستَجيبُ لَهُ

طَوعاً وَمِنهُم غَوِيٌّ غَيرُ مُحتَشِمِ

حَتّى اِستَرابَت قُرَيشٌ وَاِستَبَدَّ بِها

جَهلٌ تَرَدَّت بِهِ في مارِجٍ ضَرِمِ

وَعَذَّبوا أَهلَ دِينِ اللَّهِ وَانتَهَكوا

مَحارِماً أَعقَبَتهُم لَهفَةَ النَّدَمِ

وَقامَ يَدعُو أَبو جَهلٍ عَشِيرَتَهُ

إِلى الضَّلالِ وَلَم يَجنَح إِلى سَلَمِ

يُبدِي خِداعاً وَيُخفِي ما تَضَمَّنَهُ

ضَمِيرُهُ مِن غَراةِ الحِقد وَالسَّدَمِ

لا يَسلَمُ القَلبُ مِن غِلٍّ أَلَمَّ بِهِ

يَنقى الأَدِيمُ وَيَبقى مَوضِعُ الحَلَمِ

وَالحِقدُ كَالنّارِ إِن أَخفَيتَهُ ظَهَرَت

مِنهُ عَلائِمُ فَوقَ الوَجهِ كَالحُمَمِ

لا يُبصِرُ الحَقَّ مَن جَهلٌ أَحاطَ بِهِ

وَكَيفَ يُبصِرُ نُورَ الحَقِّ وَهوَ عَمِ

كُلُّ امرِئٍ وَاحِدٌ ما قَدَّمَت يَدُهُ

إِذا اِستَوى قائِماً مِن هُوَّةِ الأَدَمِ

وَالخَيرُ وَالشَّرُّ في الدُّنيا مُكافَأَةٌ

وَالنَّفسُ مَسؤولَةٌ عَن كُلِّ مُجتَرَمِ

فَلا يَنَم ظالِمٌ عَمّا جَنَت يَدُهُ

عَلى العِبادِ فَعَينُ اللَّهِ لَم تَنَمِ

وَلَم يَزَل أَهلُ دِينِ اللَّهِ في نَصَبٍ

مِمّا يُلاقُونَ مِن كَربٍ وَمِن زَأَمِ

حَتّى إِذا لَم يَعُد في الأَمرِ مَنزَعَةٌ

وَأَصبَحَ الشَرُّ جَهراً غَيرَ مُنكَتِمِ

سارُوا إِلى الهِجرَةِ الأُولى وَما قَصَدوا

غَيرَ النَجاشِيِّ مَلكاً صادِقَ الذِمَمِ

فَأَصبَحُوا عِندَهُ في ظِلِّ مَملَكَةٍ

حَصِينَةٍ وَذِمامٍ غَيرِ مُنجَذِمِ

مَن أَنكَرَ الضَيمَ لَم يَأنَس بِصُحبَتِهِ

وَمَن أَحاطَت بِهِ الأَهوالُ لَم يُقِمِ

وَمُذ رَأى المُشرِكونَ الدينَ قَد وَضَحَت

سَماؤُهُ وَاِنجَلَت عَن صِمَّةِ الصِمَمِ

تَأَلَّبُوا رَغبَةً فِي الشَّرِّ وَائتَمَرُوا

عَلى الصَّحيفَةِ مِن غَيظٍ وَمِن وَغَمِ

صَحِيفَةٌ وَسَمَت بِالغَدرِ أَوجُهَهُم

وَالغَدرُ يُعلَقُ بِالأَعراضِ كَالدَّسَمِ

فَكَشَّفَ اللَّهُ مِنها غُمَّةً نَزَلَت

بِالمُؤمِنينَ وَرَبّي كاشِفُ الغُمَمِ

مَن أَضمَرَ السُّوءَ جازاهُ الإِلَهُ بِهِ

وَمَن رَعى البَغيَ لَم يَسلَم مِنَ النِقَمِ

كَفى الطُّفَيلَ بنَ عَمروٍ لُمعَةٌ ظَهَرَت

فِي سَوطِهِ فَأَنارَت سُدفَةَ القَتَمِ

هَدى بِها اللَّهُ دَوساً مِن ضَلالَتِها

فَتابَعَت أَمرَ داعِيها وَلَم تَهِمِ

وَفي الإِراشِيِّ لِلأَقوامِ مُعتَبَرٌ

إِذ جاءَ مَكَّةَ فِي ذَودٍ مِنَ النَعَمِ

فَباعَها مِن أَبي جَهلٍ فَماطَلَهُ

بِحَقِّهِ وَتَمادى غَيرَ مُحتَشِمِ

فَجاءَ مُنتَصِراً يَشكُو ظُلامَتَهُ

إِلى النَبِيِّ وَنِعمَ العَونُ فِي الإِزَمِ

فَقامَ مُبتَدِراً يَسعى لِنُصرَتِهِ

وَنُصرَةُ الحَقِّ شَأنُ المَرءِ ذِي الهِمَمِ

فَدَقَّ بابَ أَبي جَهلٍ فَجاءَ لَهُ

طَوعاً يَجُرُّ عِنانَ الخائِفِ الزَّرِمِ

فَحِينَ لاقى رَسُولَ اللَّهِ لاحَ لَهُ

فَحلٌ يَحُدُّ إِلَيهِ النابَ مِن أَطَمِ

فَهالَهُ ما رَأى فَارتَدَّ مُنزَعِجاً

وَعادَ بِالنَّقدِ بَعدَ المَطلِ عَن رَغَمِ

أَتِلكَ أَم حِينَ نادى سَرحَةً فَأَتَت

إِلَيهِ مَنشُورَةَ الأَغصانِ كَالجُمَمِ

حَنَت عَلَيهِ حُنُوَّ الأُمِّ مِن شَفَقٍ

وَرَفرَفَت فَوقَ ذاكَ الحُسنِ مِن رَخَمِ

جاءَتهُ طَوعاً وَعادَت حينَ قالَ لَها

عُودِي ولَو خُلِّيتِ لِلشَّوقِ لَم تَرِمِ

وَحَبَّذا لَيلَةُ الإِسراءِ حِينَ سَرى

لَيلاً إِلى المَسجِدِ الأَقصى بِلا أَثَمِ

رَأَى بِهِ مِن كِرامِ الرُّسلِ طائِفَةً

فَأَمَّهُم ثُمَّ صَلَّى خاشِعاً بِهِمِ

بَل حَبَّذا نَهضَةُ المِعراجِ حينَ سَما

بِهِ إِلى مَشهَدٍ في العِزِّ لَم يُرَمِ

سَما إِلى الفَلَكِ الأَعلى فَنالَ بِهِ

قَدراً يَجِلُّ عَنِ التَشبيهِ في العِظَمِ

وَسارَ في سُبُحاتِ النُورِ مُرتَقِياً

إِلى مَدارِجَ أَعيَت كُلَّ مُعتَزِمِ

وَفازَ بِالجَوهَرِ المَكنونِ مِن كَلِمٍ

لَيسَت إِذا قُرِنَت بِالوَصفِ كَالكَلِمِ

سِرٌّ تَحارُ بِهِ الأَلبابُ قاصِرَةً

وَنِعمَةٌ لَم تَكُن في الدَهرِ كَالنِعَمِ

هَيهاتَ يَبلُغُ فَهمٌ كُنهَ ما بَلَغَت

قُرباهُ مِنهُ وَقَد ناجاهُ مِن أَمَمِ

فَيا لَها وصلَةً نالَ الحَبيبُ بِها

ما لَم يَنَلهُ مِنَ التّكريمِ ذُو سَمَمِ

فاقَت جَميعَ اللّيالي فَهيَ زاهِرَةٌ

بِحُسنِها كَزُهُورِ النّارِ في العَلَمِ

هَذا وَقَد فَرَضَ اللّهُ الصّلاةَ عَلى

عِبادِهِ وَهَداهُم واضِحَ اللّقَمِ

فَسارَعُوا نَحوَ دِينِ اللّهِ وَانتَصَبُوا

إِلى العِبادَةِ لا يَأْلُونَ مِن سَأَمِ

كشف الغمة في مدح سيد الأمة / الجزء الرابع :

وَلَم يَزَل سَيِّدُ الكَونَينِ مُنتَصِباً

لِدَعوَةِ الدِّينِ لَم يَفتر وَلَم يَحِمِ

يَستَقبِلُ النّاسَ في بَدوٍ وَفي حَضَرٍ

وَيَنشُرُ الدِّينَ في سَهلٍ وَفي عَلَمِ

حَتّى اِستَجابَت لَهُ الأَنصارُ وَاِعتَصَمُوا

بِحَبلِهِ عَن تَراضٍ خَيرَ مُعتَصِمِ

فَاِستَكمَلَت بِهِمُ الدُنيا نَضارَتَها

وَأَصبَحَ الدينُ في جَمعٍ بِهِم تَمَمِ

قَومٌ أَقَرُّوا عِمادَ الحَقِّ وَاصطَلَمُوا

يِيَأسِهِم كُلَّ جَبّارٍ وَمُصطَلِمِ

فَكَم بِهِم أَشرَقَت أَستارُ داجِيَةٍ

وَكَم بِهِم خَمَدَت أَنفاسُ مُختَصِمِ

فَحينَ وافى قُرَيشاً ذِكرُ بَيعَتِهِم

ثارُوا إِلى الشَّرِّ فِعلَ الجاهِلِ العَرِمِ

وَبادَهُوا أَهلَ دِينِ اللَهِ وَاهتَضَمُوا

حُقُوقَهُم بِالتَمادِي شَرَّ مُهتَضَمِ

فَكَم تَرى مِن أَسيرٍ لا حِراكَ بِهِ

وَشارِدٍ سارَ مِن فَجٍّ إِلى أَكَمِ

فَهاجَرَ الصَّحبُ إِذ قالَ الرَّسُولُ لَهُم

سيرُوا إِلى طَيبَةَ المَرعِيَّةِ الحُرَمِ

وَظَلَّ في مَكَّةَ المُختارُ مُنتَظِراً

إِذناً مِنَ اللَهِ في سَيرٍ وَمُعتَزَمِ

فَأَوجَسَت خيفَةً مِنهُ قُرَيشُ وَلَمت

قَبلَ نَصيحاً وَلَم تَرجع إِلى فَهَمِ

فَاِستَجمَعَت عُصَباً في دارِ نَدوَتِها

تَبغي بِهِ الشَّرَّ مِن حِقدٍ وَمِن أَضَمِ

وَلَو دَرَت أَنَّها فِيما تُحاوِلُهُ

مَخذولَةٌ لَم تَسُم في مَرتَعٍ وَخِمِ

أَولى لَها ثُمَ أَولى أَن يَحيقَ بِها

ما أَضمَرَتهُ مِنَ البَأساءِ وَالشَجَمِ

إِنّي لَأَعجَبُ مِن قَومٍ أُولي فِطَنٍ

باعُوا النُهى بِالعَمى وَالسَمعَ بِالصَمَمِ

يَعصُونَ خالِقَهُم جَهلاً بِقُدرَتِه

وَيَعكُفُونَ عَلى الطاغُوتِ وَالصَنَمِ

فَأَجمَعُوا أَمرَهُم أَن يَبغَتُوهُ إِذا

جَنَّ الظَلامُ وَخَفَّت وَطأَةُ القَدَمِ

وَأَقبَلُوا مَوهِناً في عُصبَةٍ غُدُرٍ

مِنَ القَبائِلِ باعُوا النَفسَ بِالزَعَمِ

فَجاءَ جِبريلُ للهادِي فَأَنبأَهُ

بِما أَسَرُّوهُ بَعدَ العَهدِ وَالقَسَمِ

فَمُذ رَآهُم قِياماً حَولَ مَأمَنِهِ

يَبغُونَ ساحَتَهُ بِالشَّرِّ وَالفَقَمِ

نادى عَلِيّاً فَأَوصاهُ وَقالَ لَهُ

لا تَخشَ وَالبَس رِدائي آمِناً وَنَمِ

وَمَرَّ بِالقَومِ يَتلُو وَهوَ مُنصَرِفٌ

يَس وَهيَ شِفاءُ النَّفسِ مِن وَصَمِ

فَلَم يَرَوهُ وَزاغَت عَنهُ أَعيُنُهُم

وَهَل تَرى الشَّمسَ جَهراً أَعيُنُ الحَنَمِ

وَجاءَهُ الوَحيُ إيذاناً بِهِجرَتِهِ

فَيَمَّمَ الغارَ بالصِّدّيقِ في الغَسَمِ

فَما اِستَقَرَّ بِهِ حَتّى تَبَوَّأَهُ

مِنَ الحَمائِمِ زَوجٌ بارِعُ الرَّتَمِ

بَنى بِهِ عُشَّهُ وَاِحتَلَّهُ سَكَناً

يَأوي إِلَيهِ غَداةَ الرّيحِ وَالرَّهَمِ

إِلفانِ ما جَمَعَ المِقدارُ بَينَهُما

إِلّا لِسِرٍّ بِصَدرِ الغارِ مُكتَتَمِ

كِلاهُما دَيدَبانٌ فَوقَ مَربَأَةٍ

يَرعَى المَسالِكَ مِن بُعدٍ وَلَم يَنَمِ

إِن حَنَّ هَذا غَراماً أَو دَعا طَرَباً

بِاسمِ الهَديلِ أَجابَت تِلكَ بِالنَّغَمِ

يَخالُها مَن يَراها وَهيَ جاثِمَةٌ

في وَكرِها كُرَةً مَلساءَ مِن أَدَمِ

إِن رَفرَفَت سَكَنَت ظِلّاً وَإِن هَبَطَت

رَوَت غَليلَ الصَدى مِن حائِرٍ شَبِمِ

مَرقُومَةُ الجِيدِ مِن مِسكٍ وَغالِيَةٍ

مَخضُوبَةُ الساقِ وَالكَفَّينِ بِالعَنَمِ

كَأَنَّما شَرَعَت في قانِيءِ سَرَبٍ

مِن أَدمُعي فَغَدَت مُحمَرَّةَ القَدَمِ

وَسَجفَ العَنكَبُوتُ الغارَ مُحتَفِياً

بِخَيمَةٍ حاكَها مِن أَبدَعِ الخِيَمِ

قَد شَدَّ أَطنابَها فَاِستَحكَمَت وَرَسَت

بِالأَرضِ لَكِنَّها قامَت بِلا دِعَمِ

كَأَنَّها سابِرِيٌّ حاكَهُ لَبِقٌ

أَرضِ سابُورَ في بُحبُوحَةِ العَجَمِ

وَارَت فَمَ الغارِ عَن عَينٍ تُلِمُّ بِهِ

فَصارَ يَحكي خَفاءً وَجهَ مُلتَثِمِ

فَيا لَهُ مِن سِتارٍ دُونَهُ قَمَرٌ

يَجلُو البَصائِرَ مِن ظُلمٍ وَمِن ظُلَمِ

فَظَلَّ فيهِ رَسولُ اللَّهِ مُعتَكِفاً

كَالدُرِّ في البَحرِ أَو كَالشَمسِ في الغُسَمِ

حَتّى إِذا سَكَنَ الإِرجافُ وَاحتَرَقَت

أَكبادُ قَومٍ بِنارِ اليَأسِ وَالوَغَمِ

أَوحى الرَسولُ بِإِعدادِ الرَحيلِ إِلى

مَن عِندَهُ السِرُّ مِن خِلٍّ وَمِن حَشَمِ

وَسارَ بَعدَ ثَلاثٍ مِن مَباءَتِهِ

يَؤُمُّ طَيبَةَ مَأوى كُلِّ مُعتَصِمِ

فَحينَ وافى قُدَيداً حَلَّ مَوكِبُهُ

بِأُمِّ مَعبَدَ ذاتِ الشَاءِ وَالغَنَمِ

فَلَم تَجِد لِقِراهُ غَيرَ ضائِنَةٍ

قَدِ اقشَعَرَّت مَراعِيها فَلَم تَسُمِ

فَما أَمَرَّ عَلَيها داعِياً يَدَهُ

حَتّى اِستَهَلَّت بِذِي شَخينِ كَالدِّيَمِ

ثُمَّ اِستَقَلَّ وَأَبقى في الزَّمانِ لَها

ذِكراً يَسيرُ عَلَى الآفاقِ كَالنَّسَمِ

فَبَينَما هُوَ يَطوي البِيدَ أَدرَكَهُ

رَكضاً سُراقَةُ مِثلَ القَشعَمِ الضَّرِمِ

حَتّى إِذا ما دَنا ساخَ الجَوادُ بِهِ

في بُرقَةٍ فَهَوى لِلسّاقِ وَالقَدَمِ

فَصاحَ مُبتَهِلاً يَرجُو الأَمانَ وَلَو

مَضى عَلى عَزمِهِ لانها رَفي رَجَمِ

وَكَيفَ يَبلُغُ أَمراً دُونَهُ وَزَرٌ

مِنَ العِنايَةِ لَم يَبلُغهُ ذُو وَسَمِ

فَكَفَّ عَنهُ رَسولُ اللَّهِ وَهوَ بِهِ

أَدرى وَكَم نِقَمٍ تفتَرُّ عَن نِعَمِ

وَلَم يَزَل سائِراً حَتّى أَنافَ عَلى

أَعلامِ طَيبَةَ ذاتِ المَنظَرِ العَمَمِ

أَعظِم بِمَقدَمِهِ فَخراً وَمَنقبَةً

لِمَعشَرِ الأَوسِ وَالأَحياءِ مِن جُشَمِ

فَخرٌ يَدُومُ لَهُم فَضلٌ بِذِكرَتِهِ

ما سارَتِ العِيسُ بِالزُّوّارِ لِلحَرَمِ

يَومٌ بِهِ أَرَّخَ الإِسلامُ غُرَّتَهُ

وَأَدرَكَ الدِّينُ فيهِ ذِروَةَ النُّجُمِ

ثُمَّ ابتَنى سَيِّدُ الكَونَينِ مَسجِدَهُ

بُنيانَ عِزٍّ فَأَضحى قائِمَ الدِّعَمِ

وَاختَصَّ فيهِ بِلالاً بِالأَذانِ وَما

يُلفى نَظيرٌ لَهُ في بَبرَةِ النَّغَمِ

حَتّى إِذا تَمَّ أَمرُ اللَّهِ وَاجتَمَعَت

لَهُ القَبائِلُ مِن بُعدٍ وَمِن زَمَمِ

قامَ النَبِيُّ خَطيباً فيهِمُ فَأَرى

نَهجَ الهُدى وَنَهى عَن كُلِّ مُجتَرَمِ

وَعَمَّهُم بِكِتابٍ حَضَّ فيهِ عَلى

مَحاسِنِ الفَضلِ وَالآدابِ وَالشِيَمِ

فَأَصبَحُوا في إِخاءٍ غَيرِ مُنصَدِعٍ

عَلى الزَمانِ وَعِزٍّ غَيرِ مُنهَدِمِ

وَحِينَ آخى رَسُولُ اللَّهِ بَينَهُمُ

آخى عَلِيّاً وَنِعمَ العَونُ في القُحَمِ

هُوَ الَّذي هَزَمَ اللَّهُ الطُغاةَ بِهِ

في كُلِّ مُعتَرَكٍ بِالبيضِ مُحتَدِمِ

فَاِستَحكَمَ الدّينُ وَاِشتَدَّت دَعائِمُهُ

حَتّى غَدا واضِحَ العِرنينِ ذا شَمَمِ

وَأَصبَحَ الناسُ إِخواناً وَعَمَّهُمُ

فَضلٌ مِنَ اللَّهِ أَحياهُم مِنَ العَدَمِ

هَذا وَقَد فَرَضَ اللَّهُ الجِهادَ عَلى

رَسُولِهِ لِيَبُثَّ الدّينَ في الأُمَمِ

فَكانَ أَوَّلُ غَزوٍ سارَ فيهِ إِلى

وَدّانَ ثُمَّ أَتى مِن غَيرِ مُصطَدَمِ

ثُمَّ اِستَمَرَّت سَرايا الدِّينِ سابِحَةً

بِالخَيلِ جامِحَةً تَستَنُّ بِاللُّجُمِ

سَرِيَّةٌ كانَ يَرعاها عُبَيدَةُ فيصَوبٍ

وَحَمزَةُ في أُخرى إِلى التَّهَمِ

وَغَزوَةٌ سارَ فيها المُصطَفى قُدُماً

إِلى بُواطٍ بِجَمعٍ ساطِعِ القَتَمِ

وَمِثلَها يَمَّمَت ذاتَ العُشيرَةِ في

جَيشٍ لُهامٍ كَموجِ البَحرِ مُلتَطِمِ

وَسارَ سَعدٌ إِلى الخَرّارِ يَقدُمُهُ

سَعدٌ وَلَم يَلقَ في مَسراهُ مِن بَشَمِ

وَيَمَّمَت سَفَوان الخَيلُ سابِحَةً

بِكُلِّ مُعتَزِمٍ لِلقَرنِ مُلتَزِمِ

وَتابَعَ السَّيرَ عَبدُ اللَّهِ مُتَّجِهاً

تِلقاءَ نَخلَةَ مَصحُوباً بِكُلِّ كَمِي

وَحُوِّلَت قِبلَةُ الإِسلامِ وَقتَئِذٍ

عَن وِجهَةِ القُدسِ نَحوَ البَيتِ ذي العِظَمِ

وَيَمَّمَ المُصطَفى بَدراً فَلاحَ لَهُ

بَدرٌ مِنَ النَّصرِ جَلَّى ظُلمَةَ الوَخَمِ

يَومٌ تَبَسَّمَ فيهِ الدِّينُ وَانهَمَلَت

عَلَى الضَّلالِ عُيونُ الشِّركِ بِالسَّجَمِ

أَبلَى عَلِيٌّ بِهِ خَيرَ البَلاءِ بِما

حَباهُ ذُو العَرشِ مِن بَأسٍ وَمِن هِمَمِ

وَجالَ حَمزَةُ بِالصَّمصامِ يَكسوُهُ

مَكسًا يُفَرِّقُ مِنهُم كُلَّ مُزدَحَمِ

وَغادَرَ الصَّحبُ وَالأَنصارُ جَمعَهُمُ

وَلَيسَ فيهِ كَمِيٌّ غَيرُ مُنهَزِمِ

تَقَسَّمَتهُم يَدُ الهَيجاءِ عادِلَةً

فَالهامُ لِلبيضِ وَالأَبدانُ لِلرَّخَمِ

كَأَنَّما البيضُ بِالأَيدي صَوالِجَةٌ

يَلعَبنَ في ساحَةِ الهَيجاءِ بِالقِمَمِ

لَم يَبقَ مِنهُم كَمِيٌّ غَيرُ مُنجَدِلِ

عَلى الرِّغامِ وَعُضوٌ غَيرُ مُنحَطِمِ

فَما مَضَت ساعَةٌ وَالحَربُ مُسعَرَةٌ

حَتّى غَدا جَمعُهُم نَهباً لِمُقتَسِمِ

قَد أَمطَرَتهُم سَماءُ الحَربِ صائِبَةً

بِالمَشرَفِيَّةِ وَالمُرّانِ كَالرُّجُمِ

فَأَينَ ما كانَ مِن زَهوٍ وَمِن صَلَفٍ

وَأَينَ ما كانَ مِن فَخرٍ وَمِن شَمَمِ

جاؤُا وِلِلشَّرِّ وَسمٌ في مَعاطِسِهِم

فَأُرغِمُوا وَالرَّدى في هَذِهِ السِّيَمِ

مَن عارَضَ الحَقَّ لَم تَسلَم مَقاتِلُهُ

وَمَن تَعَرَّضَ لِلأَخطارِ لَم يَنَمِ

فَما اِنقَضى يَومُ بَدرٍ بِالَّتي عَظُمَت

حَتّى مَضى غازِياً بِالخَيلِ في الشُّكُمِ

فَيَمَّمَ الكُدرَ بِالأَبطالِ مُنتَحِياً

بَني سُلَيمٍ فَوَلَّت عَنهُ بِالرَّغَمِ

وَسارَ في غَزوَةٍ تُدعى السَّويقَ بِما

أَلقاهُ أَعداؤُهُ مِن عُظمِ زادِهِمِ

ثُمَّ اِنتَحى بِوُجوهِ الخَيلِ ذا

أَمرٍ فَفَرَّ ساكِنُهُ رُعباً إِلى الرَّقَمِ

وَأَمَّ فرعاً فَلَم يَثقَف بِهِ أَحَداً

وَمَن يُقيمُ أَمامَ العارِضِ الهَزِمِ

وَلَفَّ بِالجَيشِ حَيَّي قَينُقاعَ بِما

جَنَوا فَتعساً لَهُم مِن مَعشَرٍ قَزَمِ

وَسارَ زَيدٌ بِجَمعٍ نَحوَ قَردَةَ مِن

مِياهِ نَجدٍ فَلَم يَثقَف سِوى النَّعَمِ

ثُمَّ اِستَدارَت رَحا الهَيجاءِ في أُحُد

بِكُلِّ مُفتَرِسٍ لِلقِرنِ مُلتَهِمِ

يَومٌ تَبَيَّنَ فيهِ الحِدُّ وَاتَّضَحَت

جَلِيَّةُ الأَمرِ بَعدَ الجَهدِ وَالسَّأَمِ

قَد كانَ خُبراً وتَمحيصاً ومَغفِرَةً

لِلمُؤمِنينَ وَهَل بُرءٌ بِلا سَقَمِ

مَضى عَلِيٌّ بِهِ قُدماً فَزَلزَلَهُم

بِحَملَةٍ أَوردَتهُم مَوردَ الشَّجَمِ

وَأَظهَرَ الصَّحبُ وَالأَنصارُ بَأسَهُم

وَالبَأسُ في الفِعلِ غَيرُ البَأسِ في الكَلِمِ

خاضُوا المَنايا فَنالُوا عِيشَةً رَغَداً

وَلَذَّةُ النَّفسِ لا تَأتي بِلا أَلَمِ

مَن يَلزَمِ الصَّبرَ يَستَحسِن عَواقِبَهُ

وَالماءُ يَحسُنُ وَقعاً عِندَ كُلِّ ظَمِ

لَولَم يَكُن فِي اِحتِمالِ الصَّبرِ مَنقَبَةٌ

لَم يَظهَرِ الفَرقُ بَينَ اللُّؤمِ وَالكَرَمِ

فَكانَ يَوماً عَتِيدَ البَأسِ نالَ بِهِ

كِلا الفَرِيقَينِ جَهداً وَارِيَ الحَدَمِ

أَودى بِهِ حَمزَةُ الصِّنديدُ فِي نَفَرٍ

نالوا الشَّهادَةَ تَحتَ العارِضِ الرَّزِمِ

أَحسِن بِها مَيتَةً أَحيَوا بِها شَرَفاً

وَالمَوتُ فِي الحَربِ فَخرُ السّادَةِ القُدُمِ

لا عارَ بالقومِ مِن موتٍ ومِن سَلَبِ

وَهَل رأَيتَ حُساماً غيرَ مُنثَلِمِ

فَكانَ يَومَ جَزاءٍ بَعدَ مُختَبَرٍ

لِمَن وَفا وَجَفا بِالعِزِّ وَالرَّغَمِ

قامَ النَّبِيُّ بِهِ في مَأزِقٍ حَرِجٍ

تَرعى المَناصِلُ فيهِ مَنبِتَ الجُمَمِ

فَلَم يَزَل صابِراً في الحَربِ يَفثَؤُها

بِالبيضِ حَتّى اِكتَسَت ثَوباً مِنَ العَنَمِ

وَرَدَّ عَينَ اِبنِ نُعمانَ قَتادَةَ إِذ

سالَت فَعادَت كَما كانَت بِلا لَتَمِ

وَقَد أَتى بَعدَ ذا يَومُ الرَّجيعِ بِما

فِيهِ مِنَ الغَدرِ بَعدَ العَهدِ وَالقَسَمِ

وَثارَ نَقعُ المَنايا في مَعُونَةَ مِن

بَني سُلَيمٍ بِأَهلِ الفَضلِ وَالحِكَمِ

ثُمَّ اِشرَأَبَّت لِخَفرِ العَهدِ مِن سَفَهٍ

بَنُو النَّضيرِ فَأَجلاهُم عَنِ الأُطُمِ

وَسارَ مُنتَحِياً ذاتَ الرِّقاعِ فَلَم

تَلقَ الكَتائِبُ فيها كَيدَ مُصطَدَمِ

وَحَلَّ مِن بَعدِها بَدراً لِوَعدِ أَبي

سُفيانَ لَكِنَّهُ وَلّى وَلَم يَحُمِ

وَأَمَّ دَومَةَ في جَمعٍ وَعادَ إِلى

مَكانِهِ وَسَماءُ النَقعِ لَم تَغِمِ

ثُمَّ اِستَثارَت قُرَيشٌ وَهيَ ظالِمَةٌ

أَحلافَها وَأَتَت في جَحفَلٍ لَهِمِ

تَستَمرِئُ البَغيَ مِن جَهلٍ وَما عَلِمَت

أَنَّ الجَهالَةَ مَدعاةٌ إِلى النَدَمِ

وَقامَ فيهِم أَبو سُفيانَ مِن حَنَقٍ

يَدعُو إِلى الشَرِّ مِثلَ الفَحلِ ذِي القَطَمِ

فَخَندَقَ المُؤمِنُونَ الدارَ وَاِنتَصَبُوا

لِحَربِهِم كَضَواري الأُسدِ في الأَجَمِ

فَما اِستَطاعَت قُرَيشٌ نَيلَ ما طَلَبَت

وَهَل تَنالُ الثُرَيّا كَفُّ مُستَلِمِ

رامَت بِجَهلِها أَمراً وَلَو عَلِمَت

ماذا أُعِدَّ لَها في الغَيبِ لَم تَرُمِ

فَخَيَّبَ اللَّهُ مَسعاها وَغادَرَها

نَهبَ الرَدى وَالصَدى وَالرِيحِ وَالطَسَمِ

فَقَوَّضَت عُمُدَ التَرحالِ وَاِنصَرَفَت

لَيلاً إِلى حَيثُ لَم تَسرَح وَلَم تَسُمِ

وَكَيفَ تَحمَدُ عُقبى ما جَنَت يَدُها

بَغياً وَقَد سَرَحَت في مَرتَعٍ وَخِمِ

قَد أَقبَلَت وَهيَ فَخرٍ وَفي جَذَلِ وَ

أَدبَرَت وَهيَ في خِزيٍ وَفي سَدَمِ

مَن يَركَبِ الغَيَّ لا يَحمَد عَواقِبَهُ

وَمَن يُطِع قَلبُهُ أَمرَ الهَوى يَهِمِ

ثُمَّ اِنتَحى بِوُجُوهِ الخَيلِ ساهِمَةً

بَني قُرَيظَةَ في رَجراجَةٍ حُطَمِ

خانُوا الرَّسُولَ فَجازاهُم بِما كَسَبُوا

وَفي الخِيانَةِ مَدعاةٌ إِلى النِّقَمِ

وَسارَ يَنحُو بَني لِحيانَ فَاِعتَصَمُوا

خَوفَ الرَّدى بِالعَوالي كُلَّ مُعتَصَمِ

وَفي الحُدَيبِيَةِ الصُّلحُ اِستَبَّ إِلى

عَشرٍ وَلَم يَجرِ فيها مِن دَمٍ هَدَمِ

وَجاءَ خَيبَرَ في جَأواءَ كَالِحَةٍ

بِالخَيلِ كَالسَّيلِ وَالأَسيافِ كَالضَّرَمِ

حَتّى إِذا اِمتَنَعَت شُمُّ الحُصونِ عَلى

مَن رامَها بَعدَ إِيغالٍ وَمُقتَحَمِ

قالَ النَبِيُّ سَأُعطِي رايَتي رَجُلاً

يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ اللَهَ ذا الكَرَمِ

ذا مرَّةٍ يَفتَحُ اللَهُ الحُصونَ عَلى

يَدَيهِ لَيسَ بِفَرّارٍ وَلا بَرِمِ

فَما بَدا الفَجرُ إِلّا وَالزَّعيمُ عَلى

جَيشِ القِتالِ عَلِيٌّ رافِعُ العَلَمِ

وَكانَ ذا رَمَدٍ فَارتَدَّ ذا بَصَرٍ

بِنَفثَةٍ أَبرَأَت عَينَيهِ مِن وَرَمِ

فَسارَ مُعتَزِماً حَتّى أَنافَ عَلى

حُصُونِ خَيبَرَ بِالمَسلُولَةِ الخُذُمِ

يَمضِي بِمُنصُلِهِ قُدماً فَيَلحَمُهُ

مَجرى الوَرِيدِ مِنَ الأَعناقِ وَاللِّمَمِ

حَتّى إِذا طاحَ مِنهُ التُّرسُ تاحَ لَهُ

بابٌ فَكانَ لَهُ تُرساً إِلى العَتَمِ

بابٌ أَبَت قَلبَهُ جَهداً ثَمانِيَةٌ

مِنَ الصَّحابَةِ أَهلِ الجِدِّ وَالعَزَمِ

فَلَم يَزَل صائِلاً في الحَربِ مُقتَحِماً

غَيابَةَ النَّقعِ مِثلَ الحَيدَرِ القَرِمِ

حَتّى تَبَلَّجَ فَجرُ النَّصرِ وَانتَشَرَت

بِهِ البَشائِرُ بَينَ السَّهلِ وَالعَلَمِ

أَبشِر بِهِ يَومَ فَتحٍ قَد أَضاءَ بِهِ

وَجهُ الزَّمانِ فَأَبدى بِشرَ مُبتَسِمِ

أَتى بِهِ جَعفَرُ الطَّيّارُ فَابتَهَجَت

بِعَودِهِ أَنفُسُ الأَصحابِ وَالعُزَمِ

فَكانَ يَوماً حَوى عِيدَينِ في نَسَقٍ

فَتحاً وَعَودَ كَريمٍ طاهِرِ الشِّيَمِ

وَعادَ بِالنَّصرِ مَولى الدِّينِ مُنصَرِفاً

يَؤُمُّ طَيبَةَ فِي عِزٍّ وَفي نِعَمِ

ثُمَّ اِستَقامَ لِبَيتِ اللَّهِ مُعتَمِراً

لِنَيلِ ما فاتَهُ بِالهَدي لِلحَرَمِ

وَسارَ زَيدٌ أَميراً نَحوَ مُؤتَةَ فَيبَعثٍ

فَلاقى بِها الأَعداءَ مِن كَثَمِ

فَعَبَّأَ المُسلِمُونَ الجُندَ وَاِقتَتَلُوا

قِتالَ مُنتَصِرٍ لِلحَقِّ مُنتَقِمِ

فَطاحَ زَيدٌ وَأَودى جَعفَرٌ وَقَضى

تَحتَ العَجاجَةِ عَبدُ اللَّهِ في قُدُمِ

لا عارَ بِالمَوتِ فَالشَّهمُ الجَرِيءُ يَرى

أَنَّ الرَّدى في المَعالي خَيرُ مُغتَنَمِ

وَحِينَ خاسَت قُرَيشٌ بِالعُهُودِ وَلَم

تُنصِف وَسارَت مِنَ الأَهواءِ في نَقَمِ

وَظاهَرَت مِن بَني بَكرٍ حَليفَتَها

عَلى خُزاعَةَ أَهلِ الصِّدقِ في الذِّمَمِ

قامَ النَّبِيُّ لِنَصرِ الحَقِّ مُعتَزِماً

بِجَحفَلٍ لِجُمُوعِ الشِّركِ مُختَرِمِ

تَبدُو بِهِ البِيضُ وَالقَسطالُ مُنتَشِرٌ

كَالشُّهبِ فِي اللَّيلِ أَو كَالنَّارِ فِي

الفَحَمِ

لَمعُ السُّيُوفِ وَتَصهالُ الخُيولِ بِهِ

كَالبَرقِ وَالرَّعدِ فِي مُغدَوِدِقٍ هَزِمِ

عَرمرَمٌ يَنسِفُ الأَرضَ الفَضاءَ إِذا

سَرَى بِها وَيَدُكُّ الهَضبَ مِن خِيَمِ

فِيهِ الكُماةُ الَّتي ذَلَّت لِعِزَّتِها

مَعاطِسٌ لَم تُذَلَّل قَبلُ بِالخُطُمِ

مِن كُلِّ مُعتَزِمٍ بِالصَّبرِ مُحتَزِمٍ

لِلقِرنِ مُلتَزِمٍ في البَأسِ مُهتَزِمِ

طالَت بِهِم هِمَمٌ نالُوا السِّماكَ بِها

عَن قُدرَةٍ وَعُلُوُّ النَّفسِ بِالهِمَمِ

بِيضٌ أَساوِرَةٌ غُلبٌ قَساوِرَةٌ

شُكسٌ

لَدى الحَربِ مِطعامونَ في الأُزُمِ

طابَت نُفُوسُهُمُ بالمَوتِ إذ عَلِمُوا

أَنَّ الحَياةَ الَّتي يَبغُونَ في العَدَمِ

ساسُوا الجِيادَ فَظَلَّت في أَعِنَّتِها

طَوعَ البَنانَةِ في كَرٍّ وَمُقتَحَمِ

تَكادُ تَفقَهُ لَحنَ القَولِ مِن أَدَبٍ

وَتَسبِقُ الوَحيَ وَالإِيماءَ مِن فَهَمِ

كَأَنَّ أَذنابَها في الكَرِّ أَلوِيَةٌ

عَلى سَفِينٍ لِأَمرِ الرِّيحِ مُرتَسِمِ

مِن كُلِّ مُنجَرِدٍ يَهوي بِصاحِبِهِ

بَينَ العَجاجِ هَوِيَّ الأَجدَلِ اللَّحِمِ

وَالبِيضُ تَرجُفُ في الأَغمادِ مِن ظَمَأٍ

وَالسُّمرُ تَرعدُ في الأَيمانِ مِن قَرَمِ

مِن كُلِّ مُطَّرِدٍ لَولا عَلائِقُهُ

لَسابَقَ المَوتَ نَحوَ القِرنِ مِن ضَرَمِ

كَأَنَّهُ أَرقَمٌ في رَأسِهِ حُمَةٌ

يَستَلُّ كَيدَ الأَعادي بِابنَةِ الرَّقَمِ

فَلَم يَزَل سائِراً حَتّى أَنافَ عَلى

أَرباضِ مَكّةَ بِالفُرسانِ وَالبُهَمِ

وَلَفَّهُم بِخَمِيسٍ لَو يَشُدُّ عَلى

أَركانِ رَضوى لَأَضحى مائِلَ الدِّعَمِ

فَأَقبَلوا يَسأَلُونَ الصَّفحَ حِينَ رَأَوا

أَنَّ اللَّجاجَةَ مَدعاةٌ إِلى النَّدَمِ

رِيعُوا فَذَلُّوا وَلَو طاشُوا لَوَقَّرَهُم

ضَربٌ يُفَرِّقُ مِنهُم مَجمَعَ اللِّمَمِ

ذاقُوا الرَّدى جُرَعاً فَاستَسلَمُوا جَزَعاً

لِلصُّلحِ وَالحَربُ مَرقاةٌ إِلى السَّلَمِ

وَأَقبَلَ النَّصرُ يَتلُو وَهوَ مُبتَسِمٌ

المَجدُ لِلسَّيفِ لَيسَ المَجدُ لِلقَلَمِ

يا حائِرَ اللُّبِّ هَذا الحَقُّ فَامضِ لَهُ

تَسلَم وَهَذا سَبِيلُ الرُّشدِ فَاستَقِمِ

لا يَصرَعَنَّكَ وَهمٌ بِتَّ تَرقُبُهُ

إِنَّ التَّوَهُّمَ حَتفُ العاجِزِ الوَخِمِ

هَذا النَّبيُّ وَذاكَ الجَيشُ مُنتَشِرٌ

مِلءَ الفَضا فَاِستَبِق لِلخَيرِ تَغتَنِمِ

فَالزَم حِماهُ تَجِد ما شِئتَ مِن أَرَبٍ

وَشِم نَداهُ إِذا ما البَرقُ لَم يُشَمِ

وَاحلُل رِحالَكَ وَانزِل نَحوَ سُدَّتِهِ

فَإِنَّها عِصمَةٌ مِن أَوثَقِ العِصَمِ

أَحيا بِهِ اللَّهُ أَمواتَ القُلوبِ كَما

أَحيا النَّباتَ بِفَيضِ الوابِلِ الرَّذِمِ

حَتّى إِذا تَمَّ أَمرُ الصُلحِ وَانتَظَمَت

بِهِ عُقودُ الأَماني أَيَّ مُنتَظَمِ

قامَ النَبِيُّ بِشُكرِ اللَهِ مُنتَصِباً

وَالشُكرُ فِي كُلِّ حالٍ كافِلُ النِعَمِ

وَطافَ بِالبَيتِ سبعاً فَوقَ راحِلَةٍ

قَوداءَ ناجِيَةٍ أَمضى مِنَ النَسَمِ

فَما أَشارَ إِلى بُدٍّ بِمِحجَنِهِ

إِلّا هَوى لِيَدٍ مَغلولَةٍ وَفَمِ

وَفي حُنَينٍ إِذ اِرتَدَّت هَوازِنُ عَن

قَصدِ السَّبيلِ وَلَم تَرجِع إِلى الحَكَمِ

سَرى إِلَيها بِبَحرٍ مِن مُلَملَمَةٍ

طامي السَّراةِ بِمَوجِ البيضِ مُلتَطِمِ

حَتّى اِستَذَلَّت وَعادَت بَعدَ نَخوَتِها

تُلقي إِلى كُلِّ مَن تَلقاهُ بِالسَّلَمِ

وَيَمَّمَ الطّائِفَ الغَنّاءَ ثُمَّ مَضى

عَنها إِلى أَجَلٍ في الغَيبِ مُكتَتَمِ

وَحِينَ أَوفى عَلى وادِي تَبُوكَ سَعى

إِلَيهِ ساكِنُها طَوعاً بِلا رَغَمِ

فَصالَحُوهُ وَأَدّوا جِزيَةً وَرَضُوا

بِحُكمِهِ وَتَبيعُ الرُشد لَم يَهِمِ

أَلفى بِها عَينَ ماءٍ لا تَبِضُّ فَمُذ

دَعا لَها اِنفَجَرَت عَن سائِغٍ سَنِمِ

وَراوَدَ الغَيثَ فَانهَلَّت بَوادِرُهُ

بَعدَ الجُمودِ بِمُنهَلٍّ وَمُنسَجِمِ

وَأَمَّ طَيبَةَ مَسروراً بِعَودَتِهِ

يَطوي المَنازِلَ بِالوَخّادَةِ الرُّسُمِ

ثُمَّ اِستَهَلَّت وُفُودُ الناسِ قاطِبَةً

إِلى حِماهُ فَلاقَت وافِرَ الكَرَمِ

فَكانَ عامَ وُفودٍ كُلَّما اِنصَرَفَت

عِصابَةٌ أَقبَلَت أُخرى عَلى قَدَمِ

وَأَرسَلَ الرُّسلَ تَترى لِلمُلوكِ بِما

فِيهِ بَلاغٌ لأَهلِ الذِّكرِ وَالفَهَمِ

وَأَمَّ غالِبُ أَكنافَ الكَديدِ إِلى

بَني المُلَوَّحِ فَاستَولى عَلى النَّعَمِ

وَحِينَ خانَت جُذامٌ فَلَّ شَوكَتَها

زَيدٌ بِجَمعٍ لِرَهطِ الشِّركِ مُقتَشِمِ

وَسارَ مُنتَحِياً وادي القُرى فَمَحا

بَني فَزارَةَ أَصلَ اللُّؤمِ وَالقَزَمِ

وَأَمَّ خَيبَرَ عَبدُ اللَّهِ في نَفَرٍ

إِلى اليَسِيرِ فَأَرداهُ بِلا أَتَمِ

وَيَمَّمَ اِبنُ أُنَيسٍ عُرضَ نَخلَةَ إِذ

طَغا اِبنُ ثَورٍ فَاصماهُ وَلَم يَخِمِ

ثُمَّ اِستَقَلَّ اِبنُ حِصنٍ فَاِحتَوَت يَدُهُ

عَلى بَنِي العَنبَرِ الطُّرّارِ وَالشُّجُمِ

وَسارَ عَمرو إِلى ذاتِ السَّلاسِلِ في

جَمعٍ لُهامٍ لِجَيشِ الشِّركِ مُصطَلِمِ

وَغَزوَتانِ لِعَبدِ اللَّهِ واحِدَةٌ

إِلى رِفاعَةَ وَالأُخرى إِلى إِضَمِ

وَسارَ جَمعُ اِبنِ عَوفٍ نَحوَ دَومَةَ كَي

يَفُلَّ سَورَةَ أَهلِ الزُّورِ وَالتُّهَمِ

وَأَمَّ بِالخَيلِ سيفَ البَحرِ مُعتَزِماً

أَبو عُبَيدَةَ في صُيّابَةٍ حُشُمِ

وَسارَ عَمرو إِلى أُمِّ القُرى لِأَبي

سُفيانَ لَكِن عَدَتهُ مُهلَةُ القِسَمِ

وَأَمَّ مَدينَ زَيدٌ فَاستَوَت يَدُهُ

عَلى العَدُوِّ وَساقَ السَّبيَ كَالغَنَمِ

وَقامَ سالِمُ بِالعَضبِ الجُرازِ إِلى

أَبي عُفَيكٍ فَأَرداهُ وَلَم يَحِمِ

وَانقَضَّ لَيلاً عُمَيرٌ بِالحُسامِ عَلى

عَصماءَ حَتّى سَقاها عَلقَمَ العَدَمِ

وَسارَ بَعثٌ فَلَم يُخطِئ ثُمامَةَ إِذ

رَآهُ فَاحتازَهُ غُنماً وَلَم يُلَمِ

ذاكَ الهُمامُ الَّذي لَبّى بِمَكَّةَ إِذ

أَتى بِها مُعلِناً في الأَشهُرِ الحُرُمِ

وَبَعثُ عَلقَمَةَ اِستَقرى العَدُوَّ ضُحىً

فَلَم يَجِد في خِلالِ الحَيِّ مِن أَرَمِ

وَرَدَّ كُرزٌ إِلى العَذراءِ مَن غَدَرُوا

يَسارَ حَتّى لَقَوا بَرحاً مِنَ الشَّجَمِ

وَسارَ بَعثُ اِبنِ زَيدٍ لِلشَّآمِ فَلَم

يَلبَث أَن اِنقَضَّ كَالبازي عَلى اليَمَمِ

فَهَذِهِ الغَزَواتُ الغُرُّ شامِلَةً

جَمعَ البُعُوثِ كَدُرٍّ لاحَ فِي نُظُمِ

نَظَمتُها راجِياً نَيلَ الشَّفاعَةِ مِن

خَيرِ البَرايا وَمَولى العُربِ وَالعَجَمِ

هُوَ النَّبِيُّ الَّذي لَولاهُ ما قُبِلَت

رَجاةُ آدَمَ لَمّا زَلَّ فِي القِدَمِ

حَسبِي بِطَلعَتِهِ الغَرّاءِ مَفخَرَةً

لَمّا اِلتَقَيتُ بِهِ فِي عالَمِ الحُلُمِ

وَقَد حَباني عَصاهُ فَاِعتَصَمتُ بِها

في كُلِّ هَولٍ فَلم أَفزَع وَلَم أَهِمِ

فَهيَ الَّتي كانَ يَحبُو مِثلَها كَرَماً

لِمَن يَوَدُّ وَحَسبِي نسبَةً بِهِمِ

كَفى بِها نِعمَةً تَعلُو بِقيمَتِها

نَفسِي وَإِن كُنتُ مَسلوباً مِنَ القِيَمِ

وَما أُبَرِّئُ نَفسي وَهيَ آمِرَةٌ

بِالسُوءِ ما لَم تَعُقها خيفَةُ النَّدَمِ

فَيا نَدامَةَ نَفسي في المَعادِ إِذا

تَعَوَّذَ المَرءُ خَوفَ النُطقِ بِالبَكَمِ

لَكِنَّني واثِقٌ بِالعَفوِ مِن مَلِكي

عفُوٍ بِرَحمَتِهِ عَن كُلِّ مُجتَرِمِ

وَسَوفَ أَبلُغُ آمالي وَإِن عَظُمَت

جَرائِمي يَومَ أَلقى صاحِبَ العَلَمِ

هُوَ الَّذي يَنعَشُ المَكرُوبَ إِذ عَلِقَت

بِهِ الرَّزايا وَيُغني كُلَّ ذي عَدَمِ

هَيهاتَ يَخذُلُ مَولاهُ وَشاعِرَهُ

في الحَشرِ وَهوَ كَريمُ النَّفسِ وَالشِّيَمِ

فَمَدحُهُ رَأسُ مالي يَومَ مُفتَقَرِي

وَحُبُّهُ عِزُّ نَفسي عِندَ مُهتَضَمِي

وَهَبتُ نَفسِي لَهُ حُبّا وَتَكرِمَةً

فَهَل تَراني بَلَغتُ السُّؤلَ مِن سَلَمي

إِنّي وَإِن مالَ بي دَهري وَبَرَّحَ بي

ضَيمٌ أَشاطَ عَلى جَمرِ النَّوى أَدَمي

لثابِتُ العَهدِ لَم يَحلُل قُوى أَمَلِي

يَأسٌ وَلَم تَخطُ بِي في سَلوَةٍ قَدَمي

لَم يَترُكِ الدَّهرُ لي ما أَستَعِينُ بِهِ

عَلى التَّجَمُّلِ إِلّا ساعِدي وَفَمِي

هَذا يُحَبِّرُ مَدحي في الرَّسولِ وَذا

يَتلُو عَلى الناسِ ما أُوحيهِ مِن كَلِمي

يا سَيِّدَ الكَونِ عَفواً إِن أَثِمتُ فَلي

بِحُبِّكُم صِلَةٌ تُغنِي عَنِ الرَّحِمِ

كَفى بِسَلمانَ لي فَخراً إِذا انتَسَبَت

نَفسي لَكُم مِثلَهُ في زُمرَةِ الحَشَمِ

وَحسنُ ظَنّي بِكُم إِن مُتُّ يَكلَؤُني

مِن هَولِ ما أَتَّقي فِي ظُلمَةِ الرَّجَمِ

تَاللَّهِ ما عاقَني عَن حَيِّكُم شَجَنٌ

لَكِنَّني مُوثَقٌ في رِبقَةِ السَّلَمِ

فَهَل إِلى زَورَةٍ يَحيا الفُؤادُ بِها

ذَرِيعَةً أَبتَغيها قَبلَ مُختَرَمي

شَكَوتُ بَثّي إِلى رَبّي لِيُنصِفَني

مِن كُلِّ باغٍ عَتِيدِ الجَورِ أَوهكَمِ

وَكَيفَ أَرهَبُ حَيفا وَهوَ مُنتَقِمٌ

هابُهُ كُلُّ جَبّارٍ وَمُنتَقِمِ

لا غَروَ إِن نِلتُ ما أَمَّلتُ مِنهُ

فَقَد أَنزَلتُ مُعظَمَ آمالي بِذي كَرَمِ

يا مالِكَ المُلكِ هَب لِي مِنكَ مَغفِرَةً

تَمحُو ذُنوبي غَداةَ الخَوفِ وَالنَّدَمِ

وَامنُن عَلَيَّ بِلُطفٍ مِنكَ يَعصِمُني

زَيغَ النُّهى يَومَ أَخذِ المَوتِ بِالكَظَمِ

لَم أَدعُ غَيرَكَ فِيما نابَني فَقِني

شَرَّ العَواقِبِ وَاحفَظنِي مِنَ التُّهَمِ

حاشا لِراجيكَ أَن يَخشى العِثارَ وَما

بَعدَ الرَّجاءِ سِوى التَّوفيقِ لِلسَّلَمِ

وَكَيفَ أَخشى ضَلالاً بَعدَما سَلَكَت

نَفسِي بِنُورِ الهُدى في مَسلَكٍ قِيَمِ

وَلِي بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ مَنزِلَةٌ أَرجُو

بِها الصَّفحَ يَومَ الدِّينِ عَن جُرمِي

لا أَدَّعي عِصمَةً لَكِن يَدِي عَلِقَت

بِسَيِّدٍ مَن يَرِد مَرعاتُهُ يَسُمِ

خَدَمتُهُ بِمَديحي فَاِعتَلَوتُ عَلى

هامِ السِّماكِ وَصارَ السَّعدُ مِن خَدَمِي

وَكَيفَ أَرهَبُ ضَيماً بَعدَ خِدمَتِهِ

وَخادِمُ السَّادَةِ الأَجوادِ لَم يُضَمِ

أَم كَيفَ يَخذُلُني مِن بَعدِ تَسمِيَتي

بِاسمٍ لَهُ في سَماءِ العَرشِ مُحتَرَمِ

أَبكانِيَ الدَّهرُ حَتّى إِذ لَجِئتُ بِهِ

حَنا عَلَيَّ وَأَبدى ثَغرَ مُبتَسِمِ

فَهوَ الَّذي يَمنَحُ العافِينَ ما سَأَلُوا

فَضلاً وَيَشفَعُ يَومَ الدّينِ في الأُمَمِ

نُورٌ لِمُقتَبِسٍ ذُخرٌ لِمُلتَمِسٍ

حِرزٌ لِمُبتَئِسٍ كَهفٌ لِمُعتَصِمِ

بَثَّ الرَّدى وَالنَّدى شَطرَينِ فَانبَعَثا فِي

مَن غَوى وَهَدى بِالبُؤسِ وَالنِّعَمِ

فَالكُفرُ مِن بَأسِهِ المَشهورِ في حَرَبٍ

وَالدّينُ مِن عَدلِهِ المَأثورِ في حَرَمِ

هَذا ثَنائِي وَإِن قَصَّرتُ فيهِ فَلي عُذرٌ

وَأَينَ السُّها مِن كَفِّ مُستَلِمِ

هَيهاتَ أَبلُغُ بِالأَشعارِ مِدحَتَهُ

وَإِن سَلَكتُ سَبيلَ القالَةِ القُدُمِ

ماذا عَسى أَن يَقُولَ المادِحُونَ وَقَد

أَثنى عَلَيهِ بِفَضلٍ مُنزلُ الكَلِمِ

فَهاكَها يا رَسُولَ اللَّهِ زاهِرَةً

تُهدِي إِلى النَّفسِ رِيّا الآسِ وَالبَرَمِ

وَسَمتُها بِاسمِكَ العالي فَأَلبَسَنها

ثَوباً مِنَ الفَخرِ لا يَبلى عَلى القِدَمِ

غَرِيبَةٌ في إِسارِ البَينِ لَو أَنِسَت

بِنَظرَةٍ مِنكَ لاستَغنَت عَنِ النَّسَمِ

لَم أَلتَزِم نَظمَ حَبّاتِ البَديعِ بِها إِذ
كانَ صَوغُ المَعانِي الغُرِّ مُلتَزِمي

وَإِنَّما هِيَ أَبياتٌ رَجَوتُ بِها
نَيلَ المُنى يَومَ تَحيا بَذَّةُ الرِّمَمِ

نَثَرتُ فِيها فَرِيدَ المَدحِ فَانتَظَمَت
أَحسِن بِمُنتَثِرٍ مِنها وَمُنتَظِمِ

صَدَّرتُها بِنَسِيبٍ شَفَّ باطِنُهُ
عَن عِفَّةٍ لَم يَشِنها قَولُ مُتَّهَمِ

لَم أَتَّخِذهُ جُزافاً بَل سَلَكتُ بِهِ

فِي القَولِ مَسلَكَ أَقوامٍ ذَوي قَدَمِ

تابَعتُ كَعباً وَحَسّاناً وَلِي بِهِ

ما في القَولِ أُسوَةُ بَرٍّ غَيرِ مُتَّهَمِ

وَالشِّعرُ مَعرَضُ أَلبابٍ يُروجُ بِهِ

ما نَمَّقَتهُ يَدُ الآدابِ وَالحِكَمِ

فَلا يَلُمنِي عَلى التَّشبِيبِ ذُو عَنَفٍ

بُلبُلُ الرَّوضِ مَطبُوعٌ عَلَى النَّغَمِ

وَلَيسَ لِي رَوضَةٌ أَهْوِي بِزَهرَتِها

فِي مَعرَضِ القَولِ إِلّا رَوضَةُ الحَرَمِ

فَهِيَ الَّتِي تَيَّمَت قَلبِي وَهِمتُ بِها

وَجداً وَإِن كُنتُ عَفَّ النَّفسِ لَم أَهِمِ

مَعاهِدٌ نَقَشَت فِي وَجنَتَيَّ لَها

أَيدِي الهَوى أَسطُراً مِن عَبرَتِي بِدَمِ

يا حادِيَ العِيسِ إِن بَلَّغتَنِي أَمَلِي

مِن قَصدِهِ فَاقتَرِح ما شِئتَ وَاحتَكِمِ

سِرِ بالمَطايا ولَا تَرفَق فَلَيسَ فَتىً

أَولى بِهَذا السُّرى مِن سائِقٍ حُطَمِ

وَلا تَخَف ضَلَّةً وَانظُر فَسَوفَ تَرى

نُوراً يُريكَ مَدَبَّ الذَّرِ فِي الأَكَمِ

وَكَيفَ يَخشى ضَلالاً مَن يَؤُمُّ حِمى

مُحَمَّدٍ وَهوَ مِشكاةٌ عَلى عَلَمِ

هَذِي مُنايَ وَحَسبي أَن أَفوزَ بِها

بِنِعمَةِ اللَهِ قَبلَ الشَّيبِ وَالهَرَمِ

وَمَن يَكُن راجِياً مَولاهُ نالَ بِهِ

ما لَم يَنَلهُ بِفَضلِ الجِدِّ وَالهِمَمِ

فاسجُد لَهُ وَاقتَرِب تَبلُغ بِطاعَتِهِما

شِئتَ في الدَّهرِ مِن جاهٍ وَمِن عِظَمِ

هَوَ المَليكُ الَّذي ذَلَّت لِعِزَّتِهِ

هلُ المَصانِعِ مِن عادٍ وَمِن إِرَمِ

يُحيي البَرايا إِذا حانَ المَعادُ كَما

يُحيي النَّباتَ بِشُؤبوبٍ مِنَ الدِّيَمِ

يا غافِرَ الذَّنبِ وَالأَلبابُ حائِرَةٌ

في الحَشرِ وَالنارُ تَرمي الجَوَّ بِالضَّرَمِ

حاشا لِفَضلِكَ وَهوَ المُستَعاذُ بِهِ

أَن لا تَمُنَّ عَلى ذِي خَلَّةٍ عَدِمِ

إِنّي لَمُستَشفِعٌ بِالمُصطَفى وَكَفى

بِهِ شَفيعاً لَدى الأَهوالِ وَالقُحَمِ

فَاقبَل رَجائِي فَمالي مَن أَلوذُ بِهِ

سِواكَ في كُلِّ ما أَخشاهُ مِن فَقَمِ

وَصَلِّ رَبِّ عَلى المُختارِ ما طَلَعَت

شَمسُ النَّهارِ وَلاحَت أَنجُمُ الظُّلَمِ

وَالآلِ وَالصَّحبِ وَالأَنصارِ مَن تَبِعُوا

هُداهُ وَاعتَرَفوا بِالعَهدِ وَالذِّمَمِ

وَامنُن عَلى عَبدِكَ العانِي بِمَغفِرَةٍ

تَمحُو خَطاياهُ في بَدءٍ وَمُختَتَمِ

من أبرز الذين رثوا زوجاتهم في العصر الحديث محمود سامي البارودي، الذي رثى زوجته بقصيدة تعد أطول قصيدة رثيت بها امرأة في الأدب، فقد بلغت أبياتها سبعة وستين بيتاً، وهي لا تمتاز بطولها عن غيرها

فحسب بل تمتاز بتعبيرها عن أحزان البارودي ونفسه المحطمة أصدق تعبير.

وقد قال قصيدته بعد أن بلغه وهو في سيلان (سرنديب) نبأ وفاة زوجته(عديلة بنت أحمد يَكَن باشا) في مصر بعد سنة من نفي السلطات الإنجليزية له الى جزيرة سردنديب مع أحمد عرابي وأربعة من قادة الثورة العرابية بعد إخفاقها في شهر صفر من عام ألفٍ وثلاث مائة من الهجرة ١٨٨٢م.

حزن البارودي عليها حزناً كبيراً فقد كانت زوجته زهرة حديقته التي كان يفوح شذاها في روضته فيئن لفراقها ويبكي وينوح، ولأنه كان يظن أنها ستكون أول من يلقاه في وطنه بعد طول غيبته وأول من يضمه إلى صدره ويدفنه بحرارة شوقه، فكانت الفجيعة وحرقة الحزن التي اشتعلت في قلبه دافعا وراء مرثيته .

تعد مرثية محمودساميالبا رودي الدالية في زوجته

من عيون الشعر العربي الحديث فقد لاقت استحساناً في أوساط الشعراء

والنقاد وصادفت شهرةً في الأوساط الأدبية لأنها تدفقت من شعور

صادق وعبر بها الشاعر عن معاناةٍ مؤلمة صهرت شعوره وعاطفته.

المرثية الدالية.

أيدَ المُنونِ قدَحتِ أىَّ زِنادِ

وأطرتِ أىَّ شعلةٍ بفؤادى

أوهَنتِ عزمى وهو حَملةُ فيلقٍ

وحَطَمتِ عودى وهو رُمحُ طِرادِ

لم أدرِ هَلْ خَطبٌ أَلَمَّ بِساحتي

فَأَنَاخَ، أَمْ سَهْمٌ أَصابَ سَوَادِي ؟

أَقْذَى الْعُيُونَ فَأَسْبَلَتْ بِمَدَامِعٍ

تجرى على الخدَّينِ كالفِرصادِ

ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُراعُ لِحَادِثٍ

حتَّى مُنيتُ بِهِ فأَوهَنَ آدى

أَبلتنى الحسراتُ حتَّى لم يكد

جِسْمِي يَلُوحُ لأَعْيُنِ الْعُوَّادِ

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَراتِ وَهْيَ لَوافِحٌ

وَأُسَفِّهُ الْعَبَرَاتِ وَهْيَ بَوَادِي

لا لوعتى تدعُ الفؤادَ ، ولا يدى

تقوَى على ردِّ الحبيبِ الغادى

يا دَهْرُ، فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيْلَةٍ ؟

كانَتْ خَلاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِها

أفلا رحِمتَ منَ الأسى أولادى ؟

أَفْرَدْتُهُنَّ فَلَمْ يَنَمْنَ تَوَجُّعاً

قرحَى العيونِ رواجِفَ الأكباد

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ، وَصُغْنَ مِنْ

دُرِّ الدُّموعِ قلائدَ الأجيادِ

يبكينَ من ولهٍ فراقَ حَفِيَّةٍ

كانتْ لَهُنَّ كثيرةَ الإسعادِ

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٌ

وقُلُوبُهُنَّ منَ الهمومِ صوادى

أسليلةَ القمرينِ ! أىُّ فجيعةٍ

حَلَّتْ لِفَقْدِكِ بَيْنَ هَذَا النَّادِي ؟

أعزز علىَّ بأن أراكِ رهينةً

في جَوْفِ أَغْبَرَ قاتِمِ الأَسْدَادِ !

أَوْ أَنْ تَبِيني عَنْ قَرَارَةِ مَنْزِلٍ

كُنْتِ الضِيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادِ

لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً

بِالنَّفْسِ عَنْكِ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَادِي

أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِنْ فَاتِكٍ

لَفَعَلْتُ فِعْلَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادِ

لَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعٍ

فِيهَا سِوَى التَّسْلِيمِ وَالْإِخْلَادِ

فَبِأَيِّ مَقْدِرَةٍ أَرُدُّ يَدَ الْأَسَى

عَنِّي وَقَدْ مَلَكَتْ عِنَانَ رَشَادِي

أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهْوَ قَسَاوَةٌ

أَمْ أَصْحَبُ السُّلْوَانَ وَهْوَ تَعَادِي

جَزَعُ الْفَتَى سِمَةُ الْوَفَاءِ وصَبْرُهُ

غَدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الأَحْقَادِ

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى

رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي

أَسَفاً لِبُعْدِكِ أَوْ يَلِينَ مِهَادِي

وَلَهِي عَلَيكِ مُصاحِبٌ لِمَسِيرَتِي

وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلازِمٌ لِوِسَادِي

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي

وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِي الأَسَى

فِي يَوْمِ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَحِدَادِ

مُتَخَشِّعًا أَمْشِي الضَّرَّاءَ كَأَنَّنِي

أَخْشَى الْفُجَاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَادِي

مَا بَيْنَ حُزْنٍ بَاطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا

لِهَيِبِ سَوْرَتِهِ وَسُقْمٍ بَادِي

وَرَدَ الْبَرِيدُ بِغَيْرِ ما أَمَّلْتُهُ

تَعِسَ الْبَرِيدُ وشَاهَ وَجْهُ الْحَادِي

فَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ كَأَنَّمَا

نَهَشَتْ صَمِيمَ الْقَلْبِ حَيَّةُ وَادِي

وَيُلُمِّهِ رُزءًا أَطَارَ نَعِيُّهُ

بِالْقَلْبِ شُعْلَةَ مَارِجٍ وَقَّادِ

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ كَأَنَّما

كَحَلَ الْبُكَاءُ جُفُونَها بِقَتَّادِ

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا

عَظُمَتْ لَدَيَّ شَمَاتَةُ الْحُسَّادِ

لاَمُوا عَلَى جَزَعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا

أَنَّ الْمَلامَةَ لا تَرُدُّ قِيَادِي

فَلَئِنْ لَبِيدُ قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ

فِي الْحُزْنِ فَهْوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادِ

لَبِسَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ صُرُوفِهِ

دُولاً وَفَلَّ عَرَائِكَ الآبَادِ

كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّى عُمْرَهُ

حِقَباً وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيلادِ

هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ وَتِلْكَ لَمْ

تَبْلُغْ شَبِيبَةَ عُمْرِهَا الْمُعْتَادِ

فَعَلامَ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ وَحُكْمُهُ

لا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الأَضْدَادِ

سِرْ يَا نَسِيمُ فَبَلِّغِ الْقَبْرَ الَّذِي

بِحِمَى الإِمَامِ تَحِيَّتِي وَوِدَادِي

أَخْبِرْهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِي مَعْشَرٍ

يَسْتَجْلِبُونَ صَلاحَهُمْ بِفَسَادِي

طُبِعُوا عَلى حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمُ

مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصِحَّةَ الأَجْسَادِ

وَلَوَ انَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ مَا طَوَى

لَهُمُ الرَّدَى لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ

كُلُّ امْرِئٍ يَوْماً مُلاقٍ رَبَّهُ

وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادِ

وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِراً

لِلْغَافِلِينَ لَوِ اكْتَفُوا بِعَوَادِي

فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِلٍ

لِمَصَارِعِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ

عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ

فِي الأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنِجَادِ

دَهْرٌ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سِلْمِهِ

فِي حَرِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَجِلَادِ

أَفْنَى الْجَبَابِرَ مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ

وَأُولِي الزَّعَامَةِ مِنْ ثَمُودَ وَعَادِ

وَرَمَى قُضَاعَةَ فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا

بِالسُّخْطِ مِنْ سَابُورَ ذِي الأَجْنَادِ

وَأَصَابَ عَنْ عُرْضِ إِيَادَ فَأَصْبَحَتْ

مَنْكُوسَةَ الأَعْلامِ فِي سِنْدَادِ

فَسَلِ الْمَدَائِنَ فَهْيَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ

عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي

كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدَعْ

إِلَّا بَقَايَا أَرْسُمٍ وَعِمَادِ

وَاعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْأَلْ عَنْهُمَا

بَلْهِيبَ فَهْوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِي

تُنْبِئُكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى

فِي الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِيْجَادِ

أُمَمٌ خَلَتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا

حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةَ الإِسْنَادِ

فَعَلامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ

أَوَلَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادِ

تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا دَرَى

أَنَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ بِالْمِرْصَادِ

فَاسْتَهْدِ يَا مَحْمُودُ رَبَّكَ وَالْتَمِسْ

مِنْهُ الْمَعُونَةَ فَهْوَ نِعْمَ الْهَادِي

وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى

بِالأَمْسِ فَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِي

هِيَ مُهْجَةٌ وَدَّعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا

نَفْسِي وَعِشْتُ بِحَسْرَةٍ وَبِعَادِ

تَاللهِ ما جَفَّتْ دُمُوعي بَعْدَمَا

ذَهَبَ الرَّدَى بِكِ يَا بْنَةَ الأَمْجَادِ

لا تَحْسَبِينِي مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الْهَوَى

هَيْهَاتَ مَا تَرْكُ الْوَفَاءِ بِعَادِي

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي حَسْرَةً لَوْلَمْ أَكُنْ

مُتَوَقِّعًا لُقْيَاكِ يَوْمَ مَعَادِي

فَعَلَيْكِ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الأَعْوَادِ

فزعت إلى الدموع . . مرثية البارودي في ابنته ستيرة :

في سنة ١٨٨٥م توفيت بمصر زوجة محمود سامي البارودي "عديلة يكن" عن سبعة وثلاثين عاما ، ونعيت إليه في منفاه، فرثاها بقصيدة دالية من عيون شعره في ستة وسبعين بيتاً .

وبعدها بقليل نعيت إليه ابنته " ستيرة" فلم يزد في رثاها على هذين البيتين من غلبة الحزن عليه

فيقول:

فَزَّعَتْ إِلَى الدُّموعِ فَلَمْ تَجْبُنَّي وَفَقْدُ الدَّمْعِ عِنْدَ الْحُزْنِ دَاءُ

وَمَا قَصَّرَتْ فِي جَزَعٍ ، وَلَكُنَّ إِذاً غلبَ الأسى ذَهَبَ الْبُكاءُ

مرثية الشاعر محمود سامي البارودي الميميه في أمه :

ميمية محمود سامي في رثاء أمه من أروع الشعر على الاطلاق

نثر فيها مشاعره بين فيها خلجات قلبه و نبضات فؤاده اتجاه أمه التي قامت

برعايته بعد وفاة والده و هو في السابعة من عمره.

بلغه أمر وفاته و هو في معامع القتال مما أحدث في نفسه لوعةً لا تنطفئ و

عرف قدرها حقاً بعد فراقها فأطلق هذه الأبيات:

هوى كانَ لي أنْ ألبسَ المجدَ معلما

فلما ملكتُ السبقَ عفتُ التقدما

وَمَنْ عَرفَ الدُّنْيَا رَأَى مَا يَسُرُّه

منَ العيشِ هماً يتركُ الشهدَ علقما

وَأيُّ نعيمٍ في حياةٍ وراءها

مَصَائِبُ لَوْ حَلَّتْ بِنجْمٍ لأَظْلَمَا

إذا كانَ عقبى كلّ حيٍّ منيةٌ

فَسِيَّانِ مَنْ حَلَّ الْوِهَادَ، وَمَنْ سَمَا

وَمنْ عجبٍ أنا نرى الحقَّ جهرة

وَنَلْهُو، كَأَنَّا لاَ نُحَاذِرُ مَنْدَمَا

يودُّ الفتى في كلِّ يومٍ لبانةً

فإنْ نالها أنحى لأخرى، وصمما

طماعةُ نفسٍ توردُ المرءَ مشرعاً

منَ البؤسِ لا يعدوهُ أوْ يتحطما

أَرَى كُلَّ حَيٍّ غَافِلاً عَنْ مَصِيرِهِ

وَلَوْ رَامَ عِرْفَانَ الْحَقِيقَةِ لاْنْتَمَى

فَأَيْنَ الأُلَى شَادُوا، وَبَادُوا ؟ أَلَمْ نَكُنْ

نحلُّ كما حلوا ، وَنرحلُ مثلما ؟

مَضَوْا، وَعَفَتْ آثَارُهُمْ غَيْرَ ذِكْرَةٍ

تُشِيدُ لَنَا مِنْهُمْ حَدِيثاً مُرَجَّمَا

سلِ الأورقَ الغريدَ في عذباتِهِ

أَنَاحَ عَلَى أَشْجَانِهِ، أَمْ تَرَنَّمَا ؟

تَرَجَّحَ فِي مَهْدٍ مِنَ الأَيكِ، لاَ يَنِي

يميلُ عليهِ مائلاً وَمقوا

ينوحُ على َفقدِ الهديلِ ، وَلمْ يكنْ

رآهْ ، فيا للهِ ! كيفَ تهكما ؟

وَشَتَّانَ مَنْ يَبْكِي عَلَى غَيْرِ عِرْفَة

جزافاً ، وَمنْ يبكي لعهدٍ تجرما

لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ الرَّدَى مَنْ أُحِبُّهُ

وَكانَ بودي أنْ أموتَ وَيسلما

وَأيُّ حياةٍ بعدَ أُمٍّ فقدتها

كَمَا يفْقِدُ الْمَرْءُ الزُّلَالَ عَلَى الظَّمَا

تَوَلَّتْ، فَوَلَّى الصَّبْرُ عَنّي، وَعَادَنِي

غرامٌ عليها ، شفَّ جسمي ، وأسقما

وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ ذُكْرَةٌ تَبْعَثُ الأَسى

وَطَيْفٌ يُوافِيني إِذَا الطَّرْفُ هَوَّمَا

وَكانتْ لعيني قرةً ، وَلمهجتي

سروراً ، فخابَ الطرفُ وَالقلبُ منهما

فَلَوْلَا اعْتِقَادِي بِالْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ

لقطعتُ نفسي لهفةً وَتندما

فيا خبراً شفَّ الفؤادَ ؛ فأوشكتْ

سويداؤهُ أنْ تستحيلَ ، فتسجما

إليْكَ؛ فقدْ ثلَّمْتَ عرْشاً مُمنَّعاً

وَفللتَ صمصاماً ، وَذللتَ ضيغما

أشادَ بهِ الناعي ، وَكنتُ محارباً

فألقيتُ منْ كفي الحسامَ المصمما

وَطارَتْ بِقلْبي لوْعَةٌ لوْ أطعْتُها

لأَوْشَكَ رُكْنُ الْمَجْدِ أَنْ يَتَهَدَّمَا

وَلَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي، لأَثْنِنِي

عنِ الحربِ محمودَ اللقاءِ مكرما

فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الْجُنْدَ صِبْغٌ مِنَ الدُّجَى

وَعَادَ كِلَا الْجَيْشَيْنِ يَرْتَادُ مَجْثِمَا

صَرَفْتُ عِنَانِي رَاجِعاً، وَمَدَامِعِي

علىَ الخدِّ يفضحنَ الضميرَ المكتما

فَيَا أُمَّتَا؛ زَالَ الْعَزَاءُ، وَأَقْبَلَتْ

مَصَائِبُ تَنْهَى الْقَلْبَ أَنْ يَتَلَوَّمَا

وَكُنْتُ أَرَى الصَّبْرَ الْجَمِيلَ مَثُوبَةً

فَصِرْتُ أَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَأْثَمَا

وَكيفَ تلذُّ العيشَ نفسٌ تدرعتْ

منَ الحزنِ ثوباً بالدموعِ منمنما ؟

تألمتُ فقدانَ الأحبةِ جازعاً

وَمنْ شفهُ فقدُ الحبيبِ تألما

وَقدْ كنتُ أخشى أنْ أراكِ سقيمةً

فكيفَ وَقدْ أصبحتِ في الترابِ أعظما ؟

بَلَغْتِ مَدَى تِسْعِينَ فِي خَيْرِ نِعْمَةٍ

وَمنْ صحبَ الأيامَ دهراً تهدما

إِذَا زَادَ عُمْرُ الْمَرْءِ قَلَّ نَصِيبُهُ

منَ العيش وَالنقصانُ آفةُ من نما

فيا ليتنا كنا تراباً ، وَلَمْ نكنْ

خلقنا ، وَلَمْ نقدمْ إلى الدهرِ مقدما

أَبَى طَبْعُ هَذَا الدَّهْرِ أَنْ يَتَكَرَّمَا

وَكَيْفَ يَدِي مَنْ كَانَ بِالْبُخْلِ مُغْرَمَا ؟

أَصَابَ لَدَيْنَا غِرَّةً؛ فَأَصَابَنَا

وَأَبْصَرَ فِينَا ذِلَّةً؛ فَتَحَكَّمَا

وَكيفَ يصونُ الدهرُ مهجةَ عاقلٍ

وَقدْ أهلكَ الحيينِ: عاداً، وَجرهما

هوَ الأزلمُ الخداعُ، يحفرُ إنْ رعى

وَيَغْدِرُ إنْ أَوْفَى، وَيُصْمِي إِذَا رَمَى

فَكَمْ خَانَ عَهْداً، واسْتَبَاحَ أَمَانَةً

وَأخلفَ وعداً، وَاستحلَّ محرما

فإنْ تكنِ الأيامُ أخنتْ بصرفها

عَليَّ، فأيُّ النَّاسِ يَبْقَى مُسَلَّمَا ؟

وَإني لأدري أنَّ عاقبةَ الأسى

وإنْ طَالَ لاَ يُرْوِي غَلِيلاً تَضَرَّمَا

وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَرَى الصَّبْرَ سُبَّةً

عَلَيْهَا ، وَتَرْضَى بِالتَّلَهُّفِ مَغْنَمَا

وَكَيْفَ أَرَانِي نَاسِياً عَهْدَ خُلَّةٍ

ألفتُ هواها : ناشئاً ، وَمحكما

وَلَوْلَا أَلِيمُ الْخَطْبِ لَمْ أَمْرِ مُقْلَةً

بِدَمْعٍ، وَلَمْ أُفْغَرْ بِقَافِيَةً فَمَا

فيا ربةَ القبرِ الكريمِ بما حوى

وَقَتْكِ الرَّدَى نَفْسِي وَأَيْنَ ؟ وَقَلَّمَا

وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ فِدْيَةَ رَاحِلٍ

تَخَرَّمَهُ الْمِقْدَارُ فِيمَنْ تَخَرَّمَا ؟

سقتكِ يدُ الرضوانِ كأسَ كرامة

منَ الكوثرِ الفياضِ معسولةَ اللمى

وَلاَ زالَ رَيحانُ التحيةِ ناضراً

عليكِ ، وَهفافُ الرضا متنسما

لِيَبْكِ عَلَيْكِ الْقَلْبُ، لاَ الْعَينُ؛ إِنَّني

أرى القلبَ أوفى بالعهودِ وَأكرما

فواللهِ لاَ أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ

وَمَا حَنَّ طَيْرٌ بالأَرَاكِ مُهَيْنِمَا

عَلَيْكَ سَلامٌ لاَ لِقَاءَةَ بَعْدَهُ

إِلَى الْحَشْرِ إِذْ يَلْقى الأَخِيرُ الْمُقَدَّمَا

مرثية الشاعر محمود سامي البارودي لابنه علي.

كيفَ طَوتكَ المُنونُ يا ولدى ؟

وكيفَ أودعتُكَ الثَّرى بيدى ؟

وَاكَبِدِي يا «عَلِيُّ» بَعْدَكَ ! لَوْ

كانَت تبلُّ الغليلَ " واكبدى "

فقدُكَ سلَّ العِظامَ مِنّى ، ورَ

دَّ الصَّبرَ عنّى ، وفتَّ فى عضُدى

كَم ليلةٍ فيكَ لاصباحَ لها

سَهِرتُها بَاكِياً بِلا مَدَدِ

دَمعٌ وسهد ، وأىُّ ناظِرةٍ

تَبْقَى عَلَى الْمَدْمَعَيْنِ والسَّهَدِ ؟

لَهفى علَى لَمحةِ النَّجابةِ ! لَو

دامَت إلَى أن تَفُوزَ بالسَّدَدِ

مَا كُنْتُ أَدْرِي إِذْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْ

كَ الْعَيْنَ أَنَّ الْحِمَامَ بالرَّصَدِ

فَاجَأَنِي الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ حَيْثُ لا

أَعْلَمُ خَتْلاً، والدَّهْرُ كَالأَسَدِ

لَوْلاَ اتِّقَاءُ الْحَيَاءِ لاعْتَضْتُ بِالْ

حِلمِ هُيَاماً يحيقُ بالجَلَدِ

لكنْ أَبَت نفسى الكريمةُ أن

أَثْلِمَ حَدَّ الْعَزَاءِ بِالكَمَدِ

فليَبكِ قلبِى عليك ، فالعينُ لا

تَبْلُغُ بالدَّمْعِ رُتْبَةَ الْخَلَدِ

إن يكُ أُخنَى الردى علَيكَ ؛ فقَد

أخنى أليمُ الضنَى على جسدِى

عَلَيْكَ مِنّي السَّلامُ تَوْدِيعَ لا

قالٍ ، ولكن توديعَ مُضطهَدِ

وداعية الشاعر محمود البارودي النونيه لوطنه مصر حين مغادرته أراضيها منفياً الى سردنيب

بعد إخفاق الثورة العرابية واحتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢ ،

حُكِم على البارودي وستة من زملائه من قادة الثورة العرابية أمثال قائدها

أحمد عرابي بالإعدام، ثم خُفف إلى النفي المؤبد إلى جزيرة

سرنديب "سريلانكا حالياً" واستمر في النفي لمدة ١٧ عام حتى عاد إلى

مصر سنة ١٩٠٠م، بناء على نصيحة الأطباء بعد أن فقد بصره.

أطل شاعرنا على ساحل مصر مع مجموعة من رفاقه الثوار ليلقي عليه

نظرة الوداع ، وما تكاد الباخرة تغادر أرض النيل حتى ترتفع عواطف

الشاعر الدافقة لتتحول إلى مشهد حزين ينتهي إلي تجربة صادقة تجسدها قصيدته النونية (وداع وطن)

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنّي

فشبتُ وَلَمْ أقضِ اللبانةَ منْ سنى

عناءٌ ، وَبأسٌ ، وَاشتياقٌ ، وَغربة

ألاَ ، شدَّ ما ألقاهُ في الدهرِ منْ غبنِ

فإنْ أكُ فارقتُ الديارَ فلي بها

فؤادٌ أضلتهُ عيونُ المها مني

بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ

فَأَوْقَعُهُ الْمِقْدَارُ فِي شَرَكِ الْحُسْنِ

فَهَلْ مِنْ فَتًى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ؟

فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ، وَأَسْبَلَتْ

مدامعنا فوقَ الترائبِ كالمزنِ

أهبتُ بصبري أنْ يعودَ ، فعزني

وَناديتُ حلمي أنْ يثوبَ ، فلمْ يغنِ

وَلَمْ تمضِ إلاَّ خطرةٌ ، ثمَّ أقلعتْ

بِنَا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنِحَةُ السُّفْنِ

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظًى

وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ

وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ

فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ

وَلَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي، وَرَدَّنِي

إِلَى الْحَزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ

وَلَوْلاَ بُنَيَّاتٌ وَشِيبٌ عَوَاطِلٌ

لما قرعتْ نفسي على فائتٍ سنى

فيا قلبُ صبراً إنْ جزعتَ؛ فربما

جرتْ سنحاً طيرُ الحوادثِ باليمنِ

فقدْ تورقُ الأغصانُ بعدَ ذبولها

وَيَبْدُو ضِيَاءُ الْبَدْرِ فِي ظُلْمَةِ الْوَهْنِ

وَأيُّ حسامٍ لمْ تصبهُ كهامة

وَلَهْذَمُ رُمْحٍ لاَ يُفَلُّ مِنَ الطَّعْنِ؟

وَمَنْ شَاغَبَ الأَيَّامَ لانَ مَرِيرُهُ

وَأسلمهُ طولُ المراس إلى الوهنِ

وَمَا الْمَرْءُ فِي دُنْيَاهُ إِلاَّ كَسَالِكٍ

مناهجَ لا تخلو منَ السهلِ وَالحزنِ

فإنْ تكنِ الدنيا تولتْ بخيرها

فَأَهْوِنْ بِدُنْيَا لاَ تَدُومُ عَلى فَنِّ !

تحملتُ خوفَ المنِّ كلَّ رزيئة

وَحملُ رزايا الدهرِ أحلى منَ المنِّ

وَعَاشَرْتُ أَخْدَاناً ، فَلَمَّا بَلَوْتُهُمْ

تَمَنَّيْتُ أَنْ أَبْقَى وَحِيداً بِلاَ خِدْنِ

إذا عرفَ المرءُ القلوبَ وَما

انطوتْ

عليهِ منَ البغضاءِ – عاشَ على ضغنِ

وَأَيُّ حَيَاةٍ لِامْرِىءٍ بَيْنَ بَلْدَةٍ

وَتَسْمَعُ أُذْنِي مَا تَعَافُ مِنَ اللَّحْنِ

وَكَيْفَ مُقَامِي بَيْنَ أَرْضٍ أَرَى بِهَا

منَ الظلمِ ما أخنى على الدارِ وَالسكنِ

فسمعُ أنينِ الجورِ قدْ شاكَ مسمعي

و رؤيةُ وجهِ الغدرِ حلَّ عرا جفني

وَصعبٌ على ذي اللبِّ رئمانُ ذلة

يَظَلُّ بِهَا فِي قَوْمِهِ وَاهِيَ الْمَتْنِ

إذا المرءُ لم يبرمِ الهناةَ بمثلها

تخطى إليهِ الخوفُ منْ جانبِ الأمن

فَلَا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ خِيفَةَ نِقْمَةٍ

فَعَيْشُ الْفَتَى فِي الذُّلِّ أَدْهَى مِنَ السِّجْنِ

وَكُنْ رَجُلاً، إِنْ سِيمَ خَسْفاً رَمَتْ بِهِ

حَمِيَّتُهُ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَاللُّدْنِ

فلا خيرَ في الدنيا إذا المرءُ لم يعشْ

مهيباً ، تراهُ العينُ كالنارِ في دغن

وَلا ترهبِ الأخطارَ في طلبِ العلا

فَمَنْ هَابَ شَوْكَ النَّحْلِ عَادَ، وَلَمْ يَجْنِ

وَلولا معاناةُ الشدائدِ ما بدتْ

مزايا الورى بينَ الشجاعةِ وَالجبنِ

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْمُدْنِ مَا شِئْتَ مِنْ

قِرىً

فَأَصْحِرْ؛ فَإِنَّ الْبِيدَ خَيْرٌ مِنَ الْمُدْنِ

صَحَارٍ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِيهَا بِسَيْفِهِ

شَدِيدَ الْحُمَيَّا غَيْرَ مُغْضٍ عَلَى دَمْنِ

وَأَيُّ حياةٍ لامرئٍ بينَ بلدةٍ

يَطَلُّ بِهَا بَيْنَ الْعَوَاثِنِ وَالدَّخْنِ؟

لعمري لكوخٌ منْ ثمامٍ

أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْبَيْتِ ذِي الْكِنِّ

وأطربُ منْ ديكٍ يصيحُ بكوة

أراكيةٌ تدعو هديلاً على غصنِ

وَأحسنُ منْ دارٍ وَخيمٍ هواؤها

مَبِيتُكَ مِنْ بُحْبُوحَةِ الْقَاعِ فِي صَحْنِ

تَرَى كُلَّ شَيْءٍ نُصْبَ عَيْنَيْكَ مَاثِلاً

كأنكَ منْ دنياكَ في جنتيْ عدنِ

تدورُ جيادُ الخيلِ حولكَ شرباً

تجاذبُ أطرافَ الأعنةِ كالجنّ

إذا سمعتْ صوتَ الصريخِ تنصبتْ

فتدركُ ما لا تبصرُ العينُ بالأذنِ

فتلكَ – لعمري – عيشةٌ بدورية

موطأةُ الأكنافِ، راسخةُ الركنِ

وَمَا قُلْتُ إِلاَّ بَعْدَ عِلْمٍ أَجَدَّ لِي

يقيناً نفى عني مراجعةَ الظنّ

فقدْ ذقتُ طعمَ الدهرِ حتى لفظتهُ

وَعَاشَرْتُ حَتَّى قلْتُ لابنِ أَبِي: دَعْنِي

وَلَوْلَا أَخٌ أَحْمَدْتُ فِي الْوُدِّ عَهْدَهُ

على حدثانِ الدهرِ – ما كنتُ أستثني

وَرُبَّ بَعِيدِ الدَّارِ يُصْفِيكَ وُدَّهُ

وَمُقْتَرِبٍ يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَمْ تَجْنِ

وَما الودُّ فِي القربى وَإِنْ هيَ أَوجبتْ

وَلكنهُ فِي الطبعِ ، وَالشكلِ ، وَالوزنِ

إذا لَمْ يكنْ بينَ الوديدينِ خلةٌ

فلا أدبٌ يجدى ، وَلَا نسبٌ يدنى

فَذَاكَ أَخٌ لَوْلَاهُ أَنْكَرْتُ كُلَّ مَا

سَمِعْتُ بِهِ عَنْ «أَحْنَفِ» الْحِلْمِ، أَوْ

«مَعْنِ»

فَإِنْ لَمْ أُصَرِّحْ بِاسْمِهِ خَوْفَ حَاسِدٍ

يَنُمُّ عَلَيْهِ، فَهْوَ يَعْلَمُ مَنْ أَعْنِي

عَلَى إِنَّ ذِكْرَاهُ – وَإِنْ كَانَ نَائِياً

–سَمِيرُ فُؤَادِي فِي الإِقَامَةِ وَالظَّعْنِ

أَنُوحُ لِبُعْدِي عَنْهُ حُزْناً وَلَوْعَةً

كَمَا نَا مِنْ شَوقٍ "جَمِيلٌ" عَاىَ "بِثْنِ"

فَمَنْ لِي بِهِ خِلاً كَرِيماً نِجَارُهُ؟

فقدْ سئِمتْ نفسي معاشرةَ الهجنِ

تجاذبني نفسي إليهِ، وَدوننا

أهاويلُ ملتجّ الغوارِبِ مستنّ

لَعَلَّ يَدَ الأَيَّامِ تَسْخُو بِلُقْيَةٍ

أَرَاهُ بِهَا بَعْدَ الْكَرَازَةِ وَالضَّنِّ

وَإِنِّي وَإِنْ طَالَ الْمِطَالُ لَوَاثِقٌ

بِرَحْمَةِ رَبِّي؛ فَهْوَ ذُو الطَّوْلِ وَالْمَنِّ

رائعة البارودي . . أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الأَجْفَانِ..

ثورة كريت :

ثورة جزيرة كريت اندلعت لرغبة أهالي الجزيرة وهم في الغالب من اليونان الأرثوذكس الانضمام إلى مملكة اليونان، وقد حاولت المملكة المذكورة دعم الثائرين، إلا أن هذا الدعم ظل محدودًا في إطار تقاعس الدول الأوروبية عن الموافقة على سلخ الجزيرة من أملاك الدولة العثمانية .

أرسل السلطان موفدًا شخصيًا إلى سكان الجزيرة اسمه كريدلي محمد باشا إلا أنه فشل في مهمة تقريب وجهات النظر بين الدولة الثوار، وفي أعقاب استقالة محمد رشدي باشا من الصدارة العظمى وإسنادها إلى محمد أمين عالي باشا ، أنهت الدولة مهام كريدلي باشا وأرسلت عوضًا عنه جيشًا كبيرًا كما أرسل الخديوي إسماعيل بناءً على طلب السلطان

عبد العزيزي جيشًا ليساعد في قمع التمرد اشترك في الحملة العسكرية التي خرجت سنة ١٨٨٢ م شاعرنا البارودي لمساندة الجيش العثماني في إخماد الفتنة التي نشبت في جزيرة كريت، واستمر في تلك المهمة لمدة عامين أبلى البارودي بلاء حسنًا ، وقد جرى الشعر على لسانه يتغنى ببلده الذي فارقه، ويصف جانبًا من الحرب التي خاض غمارها ، في رائعة من روائعه الخالدة .

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الأَجْفَانِ

وَهَفَا السُّرَى بِأَعِنَّةِ الْفُرْسَانِ

وَاللَّيْلُ مَنْثُورُ الذَّوَائِبِ ضَارِبٌ

فَوْقَ الْمَنَالِعِ وَالرُّبَا بِجِرَانِ

لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظَلْمَائِهِ

إِلَّا اشْتِعَالَ أَسِنَّةِ المرانِ

تَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ

تسمو غواربها على الطوفانِ

فِي كُلِّ مرباأةٍ ، وكُلِّ ثنية

تهدارُ سامرةٍ ، وَعزفُ قيانِ

تسنُّ عاديةٌ ، وَيصهلُ أجردٌ

وتصيحُ أحراسٌ ، وَيهتفُ عانى

قومٌ أبى الشيطانُ إلاَّ نزعهمْ

فتسللوا منْ طاعةِ السلطانِ

مَلأَوا الْفَضَاءَ؛ فَمَا يَبِينُ لِنَاظِرٍ

غَيْرُ الْتِمَاعِ الْبِيضِ وَالْخُرْصَانِ

فالبدرُ أكدرُ، وَالسماءُ مريضةٌ

وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ، وَالرِّمَاحُ دَوَانِي

وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا

لِطِرَادِ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ، وَرِهَانِ

وضعوا السلاحَ إلى الصباحِ ، وَأقبلوا

يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسُنِ النِّيرانِ

حتى إذا ما الصبحُ أسفرَ ، وَارتمتْ

عيناي بينَ رباً ، وبين محاني

فإذا الجبالُ أسنةٌ ، وإذا الوها

دُ أعنةٌ ، والماءُ أحمرُ قاني

فتوجستْ فرطُ الركابِ

لِتَهَابَ؛ فَامْتَنَعَتْ عَلَى الأَرْسَانِ

فزعتْ؛ فرجعتِ الحنينَ، وَإنما

تحنانها شجنٌ منَ الأشجانِ

ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ. وَأَيْنَ مِنْ

مَاءٍ بِمِصْرَ مَنَازِلُ الرُّومَانِ؟

وَالنفسُ مولعةٌ – وَإنْ هيَ صادفتْ

خَلَفاً بِأَوَّلِ صَاحِبٍ وَمَكَانِ

فَسَقَى السَّمَاكَ مَحَلَّةً وَمَقَامَةً

في مصرَ كلَّ رويةٍ مرنان

حتى تعودَ الأرضُ بعدَ محولها

شَتَّى النَّمَاءِ، كَثِيرَةَ الأَلْوَانِ

بَلَدٌ خَلَعْتُ بِهَا عِذَارَ شَبِيبَتِي

وَطَرَحْتُ فِي يُمْنَى الْغَرَامِ عِنَانِي

فَصَعِيدُهَا أَحْوَى النَّبَاتِ، وَسَرْحُهَا

أَلمى طلوعُ تقلبِ الأزمانِ

حملَ اتلزمانُ عليَّ ما لم أجنهِ

إِنَّ الأَمَاثِلَ عُرْضَةُ الْحدثَانِ

نقموا عليَّ – وَقدْ فتكتُ – شجاعتي

إنَّ الشَّجَاعَةَ حِلْيَةُ الْفِتْيَانِ

فليهنإِ الدهرُ الغيورُ برحلتي

عَنْ مِصْرَ، ولْتَهْدأْ صُرُوفُ زَمَانِي

فَلَئِنْ رَجَعْتُ، وَسَوْفَ أَرْجِعُ وَاثِقاً

باللهِ – أعلمتُ الزمانَ مكاني

صَادَفْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ حَتَّى خَانَنِي

وَحَفِظْتُ مِنْهُ مَغِيبَهُ فَرَمَانِي

زَعَمَ النَّصِيحَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ بِهِ

غِشًّا، وَجَازَى الْحَقَّ بِالْبُهْتَانِ

فليجر بعدُ كما أرادَ بنفسهِ

إن الشقيَّ مطيةُ الشيطانِ

وَكذا اللئيمُ إذا أصابَ كرامةً

عَادَى الصَّدِيقَ، وَمَالَ بِالإِخْوَانِ

كلُّ امرئٍ يجري على أعراقِهِ

والطَّبْعُ لَيْسَ يَحُولُ فِي الإِنْسَانِ

فعلامَ يلتمسُ العدوُّ مساءتي ؟

منْ بعدِ ما عرفَ الخلائقُ شاني

أَنا لا أَذِلُّ، وإِنَّمَا يَزِعُ الْفَتَى

فقدُ الرجاءِ وقلةُ الأعوانِ

فَلْيَعْلَمَنَّ أَخُو الْجَهَالَةِ قَصْرَهُ

عَنِّي وإِنْ سَبَقَتْ بِهِ قَدَمَانِ

فَلَرُبَّمَا رَجَحَ الْخَسِيسُ مِنَ الْحَصَى

بِالدُّرِّ عِنْدَ تَمَاثُلِ الْمِيزَانِ

شَرَفٌ خُصِصْتُ بِهِ، وَأَخْطَأَ حَاسِدٌ

مَسْعَاتَهُ، فَهَذَى بِهِ، وَقَلانِي

سرنديب للشاعر محمود سامي البارودي :-

اشترك البارودي مع قائده عرابي باشا الذي ثار بالجيش ضد طبقة الضباط الأتراك ثم ضد الاستعمار الإنجليزي الذي احتلّ مصر عام ١٨٨٢ م ، فنفوه الإنجليز إلى جزيرة سرنديب فقضى فيها سبعة عشر عاما حتى عُفي عنه عام ١٩٠٠م فقضى في وطنه أربع سنوات وتوفي عام ١٩٠٤ م بعد أن اشغل الناس ببطولاته وبشعره ، وفي هذه القصيدة يصف شعوره في المنفى ، ويفخر بأنه البطل الذي لا تنهزم روحه أبدا مبينا شرف مشاركته في تلك الحركة الوطنية التي ابتغى بها رضا الله ونصرة الحق ، مستعيدا ذكرياته في الوطن رافضا للظلم متطلعا إلى المجد و تعمد البارودي

ذكر اسم المنفى للدلالة على بعده عن أهله ومدى غربته .

الأفكار التي احتوت عليه القصيدة::

•شكوى الشاعر من طول غربته وقسوتها ومدى شوقه لوطنه وأهله.

•تصوير الشاعر لمحنته وتحمله بالصبر والقوة.

•افتخار الشاعر بسمو أهدافه وسجاياه الكريمة.

•تعريض الشاعر بخصومه وردهم على لائميه من خلال الفخر بنفسه الأبية التي لا تقبل الذل.

•سخرية الشاعر من الضعفاء والمتكاسلين لعدم قوتهم وثباتهم عند اشتداد الأمور.

•تأكيد الشاعر وافتخاره بدوره وقوة عزيمته لاشتراكه في تلك الحركة الوطنية .

•استنهاض الشاعر همم أبناء بلاده للدفاع عن وطنه ومواجهة العدو بكل عزم .

أسَلَّةُ سيفٍ ، أم عَقيقةُ بارِقِ

أضاءت لَنا وهناً سَماوةَ بارِقِ ؟

لَوَى الرَّكْبُ أَعْنَاقاً إِلَيْهَا خَوَاضِعاً

بِزَفْرَةِ مَحْزُونٍ، وَنَظْرَةِ وَامِقِ

وفي حَركاتِ البَرقِ لِلشوقِ آيَةٌ

تَدُلُّ عَلَى مَا جَنَّهُ كُلُّ عَاشِقِ

تَفُضُّ جُفوناً عَن دُموعٍ سوائلٍ

وتَفْري صُدُوراً عَنْ قُلُوبٍ خَوافِقِ

وكيفَ يَعِي سِرَّ الهوى غَيرُ أهلِهِ

ويَعْرِفُ مَعْنَى الشَّوْقِ مَنْ لَمْ يُفارِقِ

لَعَمرُ الهوَى إنّي لَدُنْ شَفَّنِي النَوى

لَفِي وَلَهٍ من سورةِ الوَجدِ ماحِقِ

كَفى بِمُقامِي فى "سَرنديبَ" غُربةً

نَزَعْتُ بِها عَنّي ثِيابَ العَلائِقِ

وَمَنْ رَامَ نَيْلَ الْعِزِّ فَلْيَصْطَبِرْ عَلَى

لِقَاءِ الْمَنَايَا ، وَاقْتِحَامِ الْمَضَايِقِ

فإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ رَنَّقْنَ مَشْرَبِى

وَثَلَّمْنَ حَدِّى بالخطوبِ الطوارقِ

فَمَا غَيَّرَتْنِي مِحْنَةٌ عَنْ خَلِيقَتِي

ولا حوَّلَتنِى خدعَةٌ عَن طرائِقِى

وَلَكِنَّنِي بَاقٍ عَلَى مَا يَسُرُّنِي

وَيُغضِبُ أعدائى ، ويُرضِى أصادِقِى

فَحَسرةُ بُعدِى عن حَبيبٍ مُصادِقٍ

كَفَرْحَةِ بُعْدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَاذِقِ

فَتِلكَ بِهَذى ، والنَجاةُ غَنيمَةٌ

منَ الناسِ ، والدُنيا مَكيدةُ حاذِقِ

ألا ، أيُها الزارِى علىَّ بِجَهلِهِ

ولَم يَدرِ أنّى دُرَّةٌ فى المفارِقِ

تَعزَّ عن العلياءِ باللُّؤمِ ، واعتزِلْ

فَإِنَّ الْعُلا لَيْسَتْ بِلَغْوِ الْمَنَاطِقِ

فَما أنا مِمَّن تَقبَلُ الضَيمَ نَفسهُ

وَيَرضَى بِما يَرضَى بِهِ كلُّ مائقِ

إذا المرءُ لم يَنهَض لِما فيهِ مَجدُهُ

قَضَى وَهْوَ كَلٌّ فِي خُدُورِ الْعَواتِقِ

وأىُّ حَياةٍ لامرئٍ إن تنكَّرَت

لَهُ الْحَالُ لَمْ يَعْقِدْ سُيُورَ الْمَناطِقِ ؟

فَما قُذُفاتُ العِزِّ إلاَّ لِماجدٍ

إذا هَمَّ جَلَّى عَزمهُ كُلَّ غاسقِ

يَقولُ أُناسٌ ، إنّنى ثُرتُ خالِعاً

وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلائِقي

وَلَكِنَّنِي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِباً

رِضا اللهِ ، واستنهضتُ أهلَ

الحقائقِ

أمرتُ بمعروفٍ ، وأنكرتُ مُنكراً

وذلِكَ حُكْمٌ فِي رِقَابِ الْخَلائِقِ

فإن كانَ عِصياناً قِيامِى ، فإنّنى

أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةَ خَالِقي

وَهَلْ دَعْوَةُ الشُّورَى عَلَيَّ غَضَاضَةٌ

وَفِيهَا لِمَنْ يَبْغِي الْهُدَى كُلُّ فَارِقِ ؟

بَلى ، إنَّها فَرضٌ منَ اللهِ واجِبٌ

عَلى كُلِّ حَيٍّ مِنْ مَسُوقٍ وسَائِقِ

وكيفَ يَكونُ المرءُ حُرًّا مُهذَّباً

ويَرضَى بما يأتِى بهِ كلُّ فاسقِ ؟

فإن نافقَ الأقوامُ فى الدينِ غَدرةً

فَإنّى بحمدِ اللهِ غيرَ منافقِ

عَلى أنَّنِي لَمْ آلُ نُصْحاً لِمَعْشَرٍ

أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقِ

رأوا أن يسُوسوا الناسَ قَهراً ،

فأسرَعوا

إِلَى نَقْضِ مَا شَادَتْهُ أَيدِي الْوَثَائِقِ

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ

مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ

وشَايَعَهُم أهلُ البِلادِ ، فأقبَلوا

إِلَيْهِمْ سِراعاً بَيْنَ آتٍ وَلَاحِقِ

يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَاذَ مَا

تألَّاهُ من وعدٍ إلى الناسِ صادِقِ

فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، فَلَا تَسَلْ

سِوَايَ، فَإِنِّي عَالِمٌ بِالْحَقَائِقِ

فَيَا «مِصْرُ» مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكِ، وَارْتَوَى

ثَرَاكِ بِسَلْسَالٍ مِنَ النِّيلِ دَافِقِ

وَلَا بَرِحَتْ تَمْتَارُ مِنكِ يَدُ الصَّبَا

أَرِيجًا يُدَاوِي عَرْفُهُ كُلَّ نَاشِقِ

فَأَنْتِ حِمَى قَوْمِي، وَمَشْعَبُ أُسْرَتِي

وَمَلْعَبُ أَتْرَابِي، وَمَجْرَى سَوَابِقِي

بِلادٌ بِهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي

وناطَ بِنجادَ المشرفيِّ بِعاتِقِي

إِذَا صَاغَهَا بَهْزَا رُفِكْرِي تَصَوَّرَتْ

لِعَيْنِي فِي زِيٍّ مِنَ الْحُسْنِ رَائِقِ

تَرَكتُ بِها أهلاً كِراماً ، وجيرةً

لَهُم جيرةٌ تَعتادُنِى كُلَّ شارِقِ

هَجَرْتُ لَذِيذَ الْعَيْشِ بَعْدَ فِراقِهِمْ

وودَّعتُ ريعانَ الشبابِ الغُرانِقِ

فَهَل تَسمَح الأَيامُ لِى بِلقائِهِم

وَيَسْعَدُ فِي الدُّنْيَا مَشُوقٌ بِشَائِقِ ؟

لَعَمرِى لقد طالَ النَوى ، وتَقَطَّعَت

وسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ شَتَّى الْمَوَاثِقِ

فإن تَكُن الأَيامُ ساءت صُروفُها

فَإِنّى بِفضلِ اللهِ أولُ واثِقِ

فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ

وَيَرْجِعُ لِلأَوْطَانِ كُلُّ مُفَارِقِ

"أنشودة العودة" رائعة من روائع محمود سامي البارودي.

بعدَ ١٧ سنة قضاها شاعرنا البارودي منفيّاً في جزيرة سرنديب صدرَ في حقّهِ العفوُ، فعادَ إلى وطنهِ بعدَ أن اشتدَّتْ عليهِ وطأةُ المرضِ وألمُ الغربةِ، وَشدَّ ما كانَ سعيداً مسروراً برجوعهِ إلى بلدهِ، و ما أن رست السفينة في ميناء (ابي قير) تحرّكَ ما ردُ الشّعرِ في داخلهِ عازفاً جوقةَ الفرحِ في أعماقهِ مردّداً لنشيدِ العودةِ.

أبابلُ رأىَ العينِ أم هذهِ مِصرُ

فإنّى أرى فيها عيوناً هىَ السِحرُ

نَوَاعِس أيْقَظْنَ الْهَوَى بِلَوَاحِظٍ

تَدِينُ لَهَا بِالْفَتْكَةِ الْبِيضُ وَالسُّمْرُ

فليسَ لعقلٍ دونَ سُلطانِها حِمىً

ولا لفؤادٍ دونَ غِشيانِها سِترُ

فَإِنْ يَكُ مُوسى أَبْطَلَ السِّحْرَ مَرَّةً

فذلِكَ عصرُ المعجِزاتِ ، وذا عصرُ

فَأَيُّ فُؤادٍ لا يَذُوبُ صَبَابَةً

وَمُزْنَةِ عَيْنٍ لا يَصُوبُ لَهَا قَطْرُ ؟

بِنفسي وإن عَزَّت علىَّ ربيبة

مِنَ العينِ في أجفانِ مُقلتِها فَترُ

فَتَاةٌ يَرِفُّ الْبَدْرُ تَحْتَ قِنَاعِهَا

وَيَخْطِرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصُنُ النَّضْرُ

تُرِيكَ جُمَانَ الْقَطْرِ فِي أُقْحُوَانَةٍ

مُفَلَّجَةِ الأَطْرَافِ، قِيلَ لَهَا ثَغْرُ

تَدِينُ لِعَيْنَيْهَا سَوَاحِرُ «بَابِلٍ»

وتسكرُ من صَهباءِ ريقتها الخَمرُ

فيا ربَّةَ الخِدرِ الَّذى حالَ دونَهُ

ضَراغِمُ حربٍ، غابَها الأَسَلُ السُمرُ

أَمَا مِنْ وِصَالٍ أَسْتَعِيدُ بِأُنْسِهِ

تَضَارَةَ عَيْشٍ كَانَ أَفْسَدَهُ الْهَجْرُ؟

رضيتُ منَ الدُّنيا بِحبّكَ عالماً

بِأنَّ جُنُونِي فِي هَوَاكِ هُوَ الْفَخْرُ

فلا تَحسبى شوقى فُكاهةَ مازِحٍ

فما هُوَ إلاَّ الجمرُ، أو دونهُ الجمرُ

هوىً كضميرِ الزندِ ، لو أنَّ مَدمعى

تَأَخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لاَحْتَرَقَ الصَّدْرُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِها

قُلُوبُ رِجَالٍ حَشْوُ آمَاقِها الْغَدْرُ

يَظُنُّونَ بِي شَرًّا، وَلَسْتُ بِأَهْلِهِ

وَظَنُّ الفتى مِن غيرِ بيِّنةٍ وِزرُ

وماذا عليهِم إن ترنَّمَ شاعِرٌ

بِقَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيها، وَلَا نُكْرُ؟

أفى الحقِّ أن تبكِى الحمائمُ شَجوها

ويُبلى فلا يبكِى على نَفسهِ حُرُّ ؟

وأىُّ نَكيرٍ فى هوًى شبَّ وقدهُ

بِقَلْبِ أَخِي شَوْقٍ فَبَاحَ بِهِ الشِّعْرُ ؟

فَلا يَبْتَدِرْنِي بِالْمَلامَةِ عَاذِلٌ

فإنَّ الهوى فيهِ لمُعتذرٍ عُذرُ

إذا لم يَكنِ للحُبِّ فضلٌ على النُّهى

لما ذَلَّ حَىٌّ للهوى ولَهُ قَدرُ

وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْراً عَلَى الْهوى

وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الْحُبِّ قَلْبٌ وَلا صَبْرُ ؟

لِيهنَ الهوى أنّى خضعتُ لِحُكمِهِ

وَإِنْ كَانَ لِي فِي غَيْرِهِ النَّهْيُ وَالأَمْرُ

وإنّى امرؤٌ تأبى لى الضَّيمَ صولةٌ

مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حُمْرُ

أَبِيٌّ عَلَى الْحِدْثَانِ، لاَ يَسْتَفِزُّنِي

عَظِيمٌ، ولا يأوى إلى ساحتى ذعرُ

إذا صُلتُ صالَ الموتُ مِن وكراتهِ

وإن قُلتُ أرخى مِن أعنَّتِهِ الشِعرُ

تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ «سَمِيرَةَ» زَائِرُ وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِ

قال البارودي هذه الأبيات وهو في منفاه بعد أن زاره طيف إبنته سميرة فأثار عاطفته، وألهب خياله، وتذكر وطنه ، وكيف حاول إنقاذه من المحنة والأوضاع السياسية والإجتماعية المتردية، ويعجب لهذا الزمن وتقلّبه ، وقلبه ظهر المجنّ للأناس الصادقين المخلصين ، وهو يمزج تلك المعاني كلّها بالفخر بنفسه وإبائه وترفّعه عن دنايا الأمور بحيث يمكن اعتبار هذه القصيدة من جملة شعره في الفخر والحماسة، الذي لا يخلو من المعاني الحكميّة والوعظية، مبّيناً أن العاقبة الحميدة ستكون في النهاية للمترفّعين عن الدنايا ،الثابتين علي مبادئهم ومثلهم العليا ، وأن الدنيا ما هي إلّا ساحة يجول فيها الظالمون والمنافقون والخونة ويصولون لأيام معدودة حتى إذا دهمهم الموت فحينئذ ستنكشف الحقيقة ويعود الحق إلي نصابه.

تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ «سَمِيرَةَ» زَائِرُ

وَمَا الطَّيْفُ إِلاَّ مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ

طَوَى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ، وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ

بِأَرْوَاقِهِ، وَالنَجمُ بِالأُفقِ حَائِرُ

فيا لكَ مِن طيفٍ أَلَمَّ ودونَهُ

مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ

تَخَطَّى إِلَيَّ الأَرضَ وَجداً، وما لهُ

سِوَى نَزَواتِ الشَوقِ حادٍ وزاجرُ

أَلَمَّ، ولم يلبَث، وسارَ، وليتَهُ

أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدَّيَاجِرُ

تَحمَّلَ أهوالَ الظلامِ مُخاطِراً

وعَهدي بِمَن جادَت بِهِ لا تُخاطِرُ

خُمَاسِيَّةٌ، لَمْ تَدْرِ مَا اللَّيْلُ والسُّرَى

ولم تَنحَسِر عَن صَفحتيها السَتائرُ

عَقِيلَةُ أَتْرَابٍ تَوَالَيْنَ حولَها

كما دارَ بالبدرِ النُجومُ الزَواهِرُ

غَوَافِلُ لا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ

وَلا هُنَّ بالْخَطْبِ الْمُلِمِّ شَوَاعِرُ

تَعوَّدنَ خَفضَ العيشِ في ظِلِّ والدٍ

رَحِيمٍ وَبَيْتٍ شَيَّدَتْهُ الْعَنَاصِرُ

فَهُنَّ كَعُنْقُودِ الثُّرَيَّا ، تَأَلَّقَتْ

كَوَاكِبُهُ فِي الأُفْقِ، فَهْيَ سَوَافِرُ

تُمثِلُها الذكرى لعينى ، كأنَّنى

إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الأَرض نَاظِرُ

فَطَوْراً إِخَالُ الظَّنَّ حَقّاً ، وَتَارَةً

أُهِيمُ، فَتَغْشَى مُقْلَتَيَّ السَّمَادِرُ

فيا بُعدَ ما بينى وبينَ أحبَّتى !

ويا قُربَ ما التفَّت عليهِ الضَّمائر !

وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْسِ وَهْيَ حَيَاتُهَا

لما طارَ لى فوقَ البسيطةِ طائرُ

فإن تَكُنِ الأيامُ فرَّقنَ بيننا

فَكُلُّ امْرِىءٍ يوْماً إلَى اللَّهِ صَائرُ

هِيَ الدَّارُ؛ ما الأَنفَاسُ إلاَّ نَهَائِبٌ

لديها ، وما الأجسامُ إلاَّ عقائرُ

إذا أحسَنتَ يوماً أساءت ضُحى

غدٍ

فَإِحْسَانُهَا سيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ

تربُّ الفتى ، حتَّى إذا تمَّ أمرهُ

دَهَتْهُ، كَما رَبَّ الْبَهِيمَةَ جَازِرُ

لها تِرةٌ فى كلِّ حىّ ، وما لها

عَلَى طُول مَا تَجْني عَلَى الْخَلْق وَاتِرُ

كَثِيرةُ أَلْوانِ الْوِدادِ، مِلِيَّةٌ

بِأَنْ يَتَوَقَّاها الْقَرِينُ الْمُعَاشِرُ

فَمن نَظرَ الدُنيا بِحكمَةِ ناقدٍ

دَرَى أَنَّها بينَ الأَنامِ تُقامِرُ

صَبَرتُ على كُرهٍ لما قَد أصابَنى

ومَن لم يَجد مندوحةً فهوَ صابِرُ

وما الحِلمُ عِندَ الخطبِ والمرءُ عاجِزٌ

بِمُسْتَحْسَنٍ كَالْحِلْمِ والْمَرْءُ قَادرُ

ولكِن إذا قلَّ النصيرُ، وأعوزَت

دواعِى المُنى فالصبرُ فيهِ المَعاذِرُ

فَلا يَشمتِ الأعداءُ بى، فلرُبَّما

وصلْتُ لِما أَرْجُوهُ مِمَّا أُحَاذِرُ

فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجاجِهِ

وتنهَضُ بالمرءِ الجدودُ العواثِرُ

ولى أملٌ فى اللهِ تحيا بِهِ المُنى

ويُشرِقُ وَجهُ الظَنِّ والخَطبُ كاشِرُ

وَطِيدٌ، يَزِلُّ الْكَيْدُ عَنْهُ، وتَنْقَضِي

مُجَاهَدَةُ الأَيَّامِ وَهْوَ مُثَابِرُ

إذا المرءُ لم يَركَن إلى اللهِ فى الَّذى

يُحَاذِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهْوَ خَاسِرُ

وإِنْ هُوَ لَمْ يصْبِرْ على ما أصَابَهُ

فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَاصِرُ

ومَن لمّ يذق حُلوَ الزمانِ ومَرهُ

فما هوَ إلاَّ طائشُ اللُّبِّ نافِرُ

وَلَوْلاَ تَكَالِيفُ السِّيادةِ لَمْ يَخِبْ

جَبانٌ ، ولَم يَحو الفَضيلةَ ثائرُ

تقلُّ دواعِي النَفسِ وهِيَ ضعيفةٌ

وتَقوى همومُ القلبِ وهوَ مُغامِرُ

وكَيفَ يبينُ الفَضلُ والنَّقصُ فى الوَرى

إذا لَم تَكُن سَومَ الرِجالِ المآثِرُ ؟

وَما حملَ السَّيْفَ الْكَمِيُّ لزِينَةٍ

ولكن لأمرٍ أوجبتهُ المفاخرُ

إذا لَم يكُنْ إلاَّ المعيشةَ مَطلبٌ

فكلُّ زهيدٍ يَمسكُ النَّفسَ جابِرُ

فَلَوْلاَ الْعُلاَ ما أَرْسَلَ السَّهْمَ نَازِعٌ

ولا شهرَ السيفَ اليمانيَّ شاهرُ

منَ العارِ أن يرضى الدنيَّةَ ماجدٌ

ويَقبلَ مَكذوبَ المُنى وهوَ صاغرُ

إذا كُنتَ تخشى كلَّ شيءٍ منَ الردى

فَكُلُّ الَّذِي فِي الْكَوْنِ لِلنَّفْسِ ضائِرُ

فمِن صِحَّةِ الإِنسانِ ما فِيهِ سُقْمُهُ

ومن أمنِهِ ما فاجأتهُ المَخاطِر

علىَّ طِلابُ العزِّ من مُستقرِّهِ

ولا ذَنبَ لى إن عارَضتنى المقادِرُ

فَمَا كُلُّ مَحْلُولِ الْعَرِيكَةِ خَائِبٌ

ولَا كُلُّ مَحْبُوكِ التَّرِيكَةِ ظَافِرُ

فماذا عَسى الأعداءُ أن يتقوَّلوا

علىَّ ، وعِرضى ناصِحُ الجيبِ وافِرُ

؟

فَلي فِي مَرَادِ الْفَضْلِ خَيْرُ مَغَبَّةٍ

إذَا شَانَ حَيًّا بالْخِيَانَةِ ذَاكِرُ

مَلَكْتُ عُقَابَ الْمُلْكِ وَهْيَ كَسِيرَةٌ

وغادرتُها فى وَكرِها وهى طائرُ

ولو رُمتُ ما رامَ امرؤٌ بخيانةٍ

لَصبَّحنِي قِسْطٌ مِنَ الْمال غَامِرُ

ولكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةُ سَوْأَةً

تُعابُ بِهَا ، والدَّهْرُ فِيهِ الْمعَايِرُ

فلا تحسبنَّ المالَ ينفعُ ربَّهُ

إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قِرَاهُ الْعَشَائِرُ

فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَالُ وَالْمَجْدُ غَائِبٌ

وَقَدْ لَا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حاضِرُ

ولَو أنَّ أسبابَ السِيادةِ بالغنى

لكاثرَ ربَّ الفضلِ بالمالِ تاجرُ

فلا غَروَ أن حُزتُ المكارِمَ عارِياً

فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الْوَغَى وَهْوَ

حاسِرُ

أنا المرءُ لا يثنيهِ عن درْكِ العُلا

نَعِيمٌ، ولا تَعْدُو عَلَيْهِ الْمفَاقِرُ

قَتُولٌ وَأَحْلامُ الرِّجالِ عَوازِبٌ

صَئُولٌ وأَفْواهُ الْمَنَايَ فَوَاغِرُ

فَلا أَنَا إِنْ أَدْنَانِيَ الْوَجْدُ بَاسِمٌ

وَلا أَنَا إِنْ أَقْصَانِيَ الْعُدْمُ بَاسِرُ

فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يَدْنَسِ الْعِرْضُ فَاضِحٌ

وَلا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَرْءُ سَاتِرُ

إذا ما ذُبابُ السَّيفِ لم يكُ ماضِياً

فحيلتهُ وصمٌ لَدى الحربِ ظاهِرُ

فإن كنتُ قد أصبحتُ فلَّ رَزيَّةٍ

تقاسمها فى الأهلِ بادٍ وحاضِرُ

فكَم بطلٍ فَلَّ الزَّمانُ شباتَهُ

وكَمْ سَيِّدٍ دارتْ عليْهِ الدَّوائِرُ

وأىُّ حسامٍ لم تُصبهُ كلالَة ؟

وأىُّ جوادٍ لم تَخنهُ الحوافِرُ ؟

فَسَوْفَ يَبِينُ الْحقُّ يَوْماً لِنَاظِرٍ

وتنزو بعوراءِ الحُقودِ السَّرائرُ

وَمَا هِيَ إِلَّا غَمْرَةٌ، ثُمَّ تَنْجلِي

غيابتُها ، واللهُ من شاءَ ناصِرُ

فَقَدْ حَاطَنِي فِي ظُلْمَةِ الْحَبْسِ،

بَعْدَمَا

تَرَامَتْ بِأَفْلاَذِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرُ

فَمَهْلاً بَنِي الدُّنْيَا عَلَيْنَا ، فَإِنَّنَا

إِلَى غَايَةٍ تَنْفَتُّ فِيهَا الْمَرائرُ

تطولُ بِها الأنفاسُ بُهراً ، وتلتوِي

على فَلَكَةِ السَّاقينِ فيها المآزِرُ

هُنَالِكَ يَعْلُو الْحَقُّ، وَالْحَقُّ وَاضِحٌ

ويَسفلُ كَعبُ الزُّورِ ، والزُّورُ عاثِرُ

وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الأَمْرُ كُلُّهُ

فَما أَوَّلٌ إِلاَّ وَيَتْلُوهُ آخِرُ

قال هذه الأبيات واصفاً فيها أهرامات مصر.

سَلِ الجِزَةَ الفَيحاءَ عن هَرَمَيْ

مصرَ

لعلّك تدري غيبَ ما لم تكنْ

تدري

بناءانِ رَدَّا صَوْلَةَ الدهرِ عنهما

ومِن عَجَبٍ أن يَغلِبا صولةَ

الدهرِ

أقاما على رغمِ الخطوبِ ليشهدا

لبانى هما بى ن البرِّيَةِ بالفخرِ

فكم أمَمٍ في الدهرِ بادتْ وأعصرٍ

خَلَتْ وهما أعجوبةُ العى نِ

والفكرِ

تلوحُ لآثارِ العقولِ على هما

أساطى رُ لا تنفك تُتْلى إلى

الحشرِ

رموزٌ لو استطلعتَ مكنونَ سرِّها

لأبصرتَ مجموعَ الخلائقِ في سطرِ

فما مِن بناءٍ كانَ أو هو كائنٌ

يُدانى هما عند التأمُّلِ والخُبْرِ

يُقَصِّرُ حُسْناً عَنْهُمَا «صَرْحُ بَابِلٍ»

وَيَعْتَرِفُ «الإِيوَانُ» بِالْعَجْزِ وَالْبَهْرِ

فلو أنَّ "هاروتَ" انتحَى مَرصديهِما

لألقى مَقاليدَ الكَهانةِ والسِحرِ

كأنَّهُمَا ثَدْيَانِ فَاضَا بِدِرَّةٍ

منَ النيلِ تروى غُلَّةَ الأرضِ إذ

تجرِي

وبينَهما "بَلْهيبُ" فى زِيِّ رابضٍ

أَكَبَّ عَلَى الْكَفَّيْنِ مِنْهُ إِلَى الصَّدْرِ

يُقَلِّبُ نَحْوَ الشَّرْقِ نَظْرَةَ وَامِقٍ

كَأَنَّ لَهُ شَوْقاً إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

مَصانِعُ فيها للعلومِ غوامِضٌ

تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو قَدْر

رسا أصلُها ، وامتدَّ فى الجَوِّ فَرعُها

فأصبَحَ وكراً للسِماكَينِ والنَسرِ

فقُمْ نَغترِف خَمرَ النُّهى مِن دِنانِها

ونَجنى بِأيدى الجدِّ رَيحانةَ العُمرِ

فَثَمَّ علومٌ لم تفَتَّق كِمامُها

وثَمَّ رموزٌ وحيُها غامِضُ السِرِّ

أقمتُ بِها شَهرا ، فأدركتُ كُلَّ ما

تَمَنَّيْتُهُ مِنْ نِعْمَةِ الدَّهْرِ فِي شَهْر

تَروحُ وتَغدو كُلَّ يومٍ لنَجتنى

أزاهيرَ علمٍ لاتجفُّ معَ الزَّهرِ

إذا ما فتحنا قفلَ رمزٍ بَدت لنا

مَعَارِيضُ لَمْ تُفْتَحْ بِزِيجٍ ولَا جَبْرِ

فَكَمْ نُكَتٍ كَالسِّحْرِ فِي حَرَكَاتِهِ

تُرِيكَ مدبَّ الرُّوحِ فى مُهجَةِ الذرِّ

سَكِرْنَا بِما أَهْدَتْ لَنَا مِنْ لُبابِها

فيا لكَ مِن سكرٍ أتيحَ بلا خَمرِ!

وما ساءنى إلَّا صَنيعُ معاشرٍ

أَلَحُّوا عَلَيْهَا بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ

أبادوا بِها شَملَ العُلومِ ، وشَوَّهوا

مَحَاسِنَ كَانَتْ زِينَةَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

فَكم سَمَلوا عَيناً بِها تُبصِرُ العُلا

وَشَلُّوا يَداً كَانَتْ بِها رَايَةُ النَّصْرِ

تمَنَّوا لقاطَ الدُرِّ جَهلاً ، وما دروا

بِأَنَّ حَصَاهَا لَا يُقَوَّمُ بِالدُرِّ

وفَلُّوا لِجمعِ التِبرِ صُمَّ صُخورِها

وَأَيسَرُ مَا فَلُّوهُ أَغْلَى مِنَ التِّبْرِ

وَلَكِنَّهُمْ خَابُوا ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلى

مُناهُم ، ولاأبقوا عَلَيها منَ الخَترِ

فَتبًّا لَهُم مِن مَعشرٍ نَزَعَت بِهِم

إلى الغيِّ أخلاقٌ نَبتنَ على غِمرِ

ألا قبّحَ اللهُ الجهالة ، إنّها

عَدوَّةَ ما شادَتهُ فِينا يدُ الفِكرِ

فلَو رَدَّتِ الأيّامُ مُهجَةَ " هُرمُسٍ

"لأعولَ من حزنٍ على نوَبِ الدهرِ

فيا نَسَماتِ الفَجرِ ! أدّى تَحيّتى

إلى ذلِكَ الْبُرْجِ الْمُطلِّ عَلى النَّهْرِ

ويا لَمعاتِ البرق ! إن جُزتِ بالحِمى

فَصُوبي عَلَيْهَا بِالنّثارِ مِنَ الْقَطْرِ

عَليها سَلامٍ من فؤادٍ متيَّمٍ

بِها ، لاَ بِرَبَّاتِ الْقَلائِدِ والشَّذْرِ

ولا بَرِحَت فى الدَّهرِ وَهى َ خوالِدٌ

خُلودَ الدَّرارى والأَوابدِ مِن

شِعرى

البارودي يصف البلغار في بلادهم حين رافق الحملة المصرية لحرب

الروس

أَراكَ الْحِمَى ! شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدُ

وصبرى ونومى فى هواكَ شَرِيدُ

مضى زمنٌ لم يأتنى عنكَ قادمٌ

ببشرى ، ولم يعطف علىَّ بريدُ

وَحِيْدٌ مِنَ الْخُلاَّنِ فِي أَرْضِ غُرْبَة

أَلاَ كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْوَفَاءَ وَحِيدُ

فهل لغريبٍ طوحتهُ يدُ النَّوى

رجوعٌ ؟ وهل للحائماتِ ورودُ ؟

وهل زمنٌ ولَّى ، وعيشٌ تقيضَت

غَضَارَتُهُ بَعْدَ الذَّهَابِ يَعُودُ ؟

أُعَلِّلُ نَفْسِي بالْقَدِيمِ، وَإِنَّمَا

يَلَذُّ اقْتِبالُ الشَّيءِ وَهْوَ جَدِيدُ

وما ذكرى الأيامِ إلاَّ لأنَّها

ذِمامٌ لعرفانِ الصِّبا وعهودُ

فليسَ بمفقودٍ فتىً ضمَّهُ الثّرى

ولكنَّ من غالَ البِعادُ فقيدُ

ألا أيُّها اليومُ الَّذى لم أكنْ لهُ

ذكوراً ، سِوى أَن قيلَ لى هوَ عيدُ

أَتَسْأَلُنَا لُبْسَ الْجَدِيدِ سَفَاهَةً

وأثوابنا ما قَدْ عِلِمْتَ حديدُ ؟

فَحَظُّ أُناسٍ مِنْهُ كَأْسٌ وقَيْنَةٌ

وحظُّ رجالٍ ذُكرَةٌ ونشيدُ

لِيهنَ بِهِ منْ باتَ جذْلانَ ناعماً

أَخَا نَشَوَاتٍ ما عَلَيْهِ حَقُودُ

تَرى أَهلَهُ مستَبشرينَ بِقربِهِ

فَهُمْ حَوْلَهُ لا يَبْرَحُونَ شُهُودُ

إذا سارَ عنهُمْ سارَ وهو مكرَّمٌ

وإن عادَ فيهِمْ عادَ وهوَ سعيدُ

يُخَاطِبُ كُلاًّ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ

فَمُبدئُ شُكرٍ تارةً ومعيدُ

فَمَنْ لِغَرِيبٍ «سَرْسُوفُ» مُقَامُهُ

رَمَتْ شَمْلَهُ الأَيَّامُ، فَهْوَ لَهِيدُ

بِلادٌ بِهَا ما بِالجَحِيمِ، وإِنَّمَا

مكانَ اللَّظَى ثلجٌ بها وجليدُ

تجمَّعتِ البُلغارُ والرُّومُ بينَها

وزَاحَمَهَا التَّاتَارُ، فَهْيَ حُشُودُ

إِذا رَاطَنُوا بَعْضاً سَمِعْتَ لِصَوْتِهِمْ

هَديداً تكادُ الأَرضَ منهُ تميدُ

قِباحُ النَّوَاصِي والْوُجُوهِ، كَأَنَّهُمْ

لِغَيْرِ أَبِي هَذَا الأَنَامِ جُنُودُ

سَوَاسِيَةٌ، لَيْسُوا بِنَسْلِ قَبِيلَةٍ

فَتُعرفَ آبَاءٌ لهُم وجدودُ

لَهُم صُوَرٌ لَيستْ وجُوهاً، وإِنَّما

تُناطُ إِليها أَعيُنٌ وخُدودُ

يَخُورُونَ حَوْلِي كَالعُجُولِ، وبَعْضُهُمْ

يُهَجِّنُ لحنَ القولِ حينَ يُجيدُ

أَدورُ بعَينى لا أرى بينَهُمْ فتىً

يَرودُ معِى فى القولِ حَيثُ أَرودُ

فَلا أَنَا مِنْهُمْ مُسْتَفِيدٌ غَرِيبَةً

وَلا أَنَا فِيهِمْ ما أَقَمْتُ مُفِيدُ

فَمَنْ لِي بِأَيَّامٍ مَضَتْ قَبْلَ هَذِهِ

بِمِصْرَ ؟ وعيشى لو يدومُ حَمِيدُ

عسى اللهُ يَقضى قُربَةً بعدَ غُربَةٍ

فَيَفْرَحَ باللُّقْيَا أَبٌ وَوَلِيدُ

زهدية البارودي "كل حي سيموت. "

ما قاله البارودي في الزهد قليل ولم نلمس فيه ما يدل على التجديد وإنما كان مقلدا لسابقيه وتخلل هذا الشعر بعض المواعظ والحكم التي استمدها من خلال تعامله مع الناس وتبدو على زهدياته لمسات من التشاؤم المنبعث من المصائب التي تعرض لها في حياته.

كلُّ حيٍّ سيموتُ

لَيْسَ في الدُّنيا ثُبُوتُ

حَرَكَاتٌ سَوْفَ تَفْنَى

ثُمَّ يَتْلُوها خُفُوتُ

وكَلامٌ لَيْسَ يَحْلُو

بَعْدَهُ إلاَّ السُّكُوتُ

أيُّها السادِرُ قُلْ لى

أَينَ ذاكَ الجَبَرُوتُ ؟

كُنتَ مطبوعاً على النُطْ

قِ، فَمَا هَذَا الصُّمُوتُ ؟

ليت شِعرى ، أَهُمودٌ

ما أراهُ ، أَم قنوتُ ؟

أَينَ أَمْلاكٌ لَهُمْ في

كُلِّ أُفْقٍ مَلَكُوتُ

زالَت التيجانُ عنهم

وخَلَتْ تلْكَ التُّخُوتُ

أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِنْ

بَعْدِهِمْ وَهْيَ خُبُوتُ

لا سَمِيعٌ يَفْقَهُ الْقَوْ

لَ، ولا حَيٌّ يَصُوتُ

عمرَت منهُم قبورٌ

وخلَت منهم بيوتٌ

لم تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدَّ

هْرِ إِذْ حانَتْ بُحُوتُ

خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَسَاعِي

وانْقَضَتْ تلكَ النُّعُوتُ

إِنَّما الدُّنيا خَيَالٌ

باطِلٌ سَوْفَ يَفُوتُ

لَيسَ لِلإنسانِ فيها

غيرَ تقوى اللهِ قوتُ

من شعر رب السيف والقلم محمود سامى البارودى فى مكارم الأخلاق

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى

ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ

حُبُّ الْحَيَاةِ، وَبُغْضُ الْمَوْتِ أَوْرَثَهُمْ

جُبْنَ الطِّبَاعِ، وَتَصْدِيقَ الْأَبَاطِيلِ

****

أَلا، إِنَّ أَخلاقَ الرجالِ وَإِنْ نَمتْ

فأربعةٌ منها تفوقُ على الكلّ

وَقَارٌ بِلا كِبْرٍ، وَصَفْحٌ بِلا أَذىً

وَجُودٌ بِلا مَنٍّ، وَحِلْمٌ بِلا ذُلِّ

تسابقْ في المكارمِ تعلُ قدراً

فَسَبْقُ النّاسِ لِلْخَيْرَاتِ نَضْلُ

إذا ذهبَ الكرامُ ، فلا رجاءٌ

وَإنْ ذهبَ الرجاءُ ، فليسَ فضلُ

****

طهرْ لسانكَ ما استطعتَ ، وَلا

تكنْ خَبّاً يُقَرِّبُ لِلنُّفُوسِ ضَلالَهَا

إنّ الْوَقِيعَةَ لاَ تَعُودُ بِخِزْيَةٍ أوْ

سبةٍ إلاّ على منْ قالها

****

مَنْ ظنني موضعاً يوماً لحاجتهِ

كنتُ الحريّ بأنْ أعطيهِ ما سألاَ

لَهُ عَلَيّ بِحُسْنِ الظَّنّ مَأْثُرَةٌ

لاَ يَسْتَقِلُّ بِهَا شُكْرِي وَإِنْ جَمُلاَ

****

قصيدة في ربوع البلقان لمحمود سامي البارودي.

هو البينُ حتَّى لا سلامٌ ولا ردُّ

ولا نظرةٌ يقضى بها حقَّهُ الوجدُ

لقد نعبَ الوابور بالبينِ بينهم

فساروا ، ولا زمُّوا جمالاً ، ولا

شدُّوا

سَرَى بِهِمُ سَيْرَ الْغَمَامِ، كَأَنَّمَا

لهُ فِي تنائى كلِّ ذى خلَّةٍ قصدِ

فلا عينَ إلاَّ وهى عينٌ منَ البكى

ولاَ خدَّ إلاَّ للدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ

فَيَا سَعْدُ، حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى

فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ

لعلَّ حديثَ الشوقِ يطفئُ لوعةً

مِنَ الْوَجْدِ، أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ
الْفَقْدُ

هُوَ النَّارُ فِي الأَحْشَاءِ، لَكِنْ لِوَقْعِها

على كبدى مِمَّا أَلذُّ بِهِ بردُ

لعمرُ المغانى وهى عندِى عزيزةٌ

بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ

لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنُ نَاظِرٍ

وَأَمْسَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الأَسَى وَفْدُ

خلاءٌ منَ الأُلاَّفِ إلاَّ عصابةً

حداهم إلى عرفانها أملٌ فردُ

دعتهم إليها نفحةٌ عنبريَّةٌ

وبالنَّفحةِ الحسناءِ قد يُعرَفُ الوردُ

وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا ، فَرَدَّتْ بِأَلْسُنٍ

صوامتَ ، إلاَّ أَنَّها أَلسنٌ لُدُّ

فمن مقلةٍ عبرى ، ومن لفحِ زفرةٍ

لها شررٌ بينَ الحشا ما لهُ زندُ

فيا قلبُ صبراً إن ألمَّ بكَ النّوى

فَكُلُّ فِراقٍ أَوْ تَلاقٍ لَهُ حَدُّ

فَقَدْ يُشْعَبُ الإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى

وَيَلْتَئِمُ الضِّدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحِقْدُ

عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا

فَآوِنَةً قُرْبٌ، وَآوِنَةً بُعْدُ

وما كُنْتُ لَوْلاَ الْحُبُّ أَخْضَعُ لِلَّتِي

تسيءُ ، ولكنَّ الفتى للهوى عبدُ

فَعُودِي صُلْبٌ لَا يَلِينُ لغَامِزٍ

وقَلْبِي سَيْفٌ لَا يُفَلُّ لَهُ حَدُّ

إِبَاءٌ كَمَا شَاءَ الْفَخَارُ وَصَبْوَةٌ

يذِلُّ لها فى خيسهِ الأسدُ الوردُ

وَإِنَّا أُنَاسٌ لَيْسَ فِينَا مَعَابَةٌ

سِوَى أَنَّ وادِينَا بِحُكْمِ الْهَوَى نَجْدُ

نلينُ –وإن كنَّا أشدَّاءَ– للهوى

وَنَغْضَبُ فِي شَرْوَى نَقِيرٍ فَنَشْتَدُّ

وحسبكَ منَّا شيمةٌ عربيَّةٌ

هِيَ الخَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِها حَرْدُ

وبى ظمأٌ لم يبلغِ الماءُ رِيَّهُ

وفى النَّفسِ أمرٌ ليسَ يدركهُ الجهدُ

أَوَدُّ وما وُدُّ امْرِىءٍ نافِعاً لَهُ

وإن كانَ ذا عقلٍ إذا لم يكن جدُّ

وَمَا بِيَ مِنْ فَقْرٍ لِدُنْيَا ، وإِنَّمَا

طِلَابُ الْعُلَا مَجْدٌ ، وإِنْ كَانَ لِي

مَجْدُ

وَكَمْ مِنْ يَدٍ للَّهِ عِنْدِي ونِعْمَةٍ

يَعَضُّ عَلَيْهَا كَفَّهُ الْحَاسِدُ الْوَغْدُ

أنا المرءُ لا يطغيهِ عزٌّ لثروةٌ

أَصَابَ ، وَلَا يُلْوِي بِأَخْلَاقِهِ الْكَدُّ

أصدُّ عنِ الموفورِ يدركهُ الخنا

وأقنعُ بالميسورِ يعقبهُ الحمدُ

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ

لعزَّتِهِ الدنيا ، وذلَّت لهُ الأُسدُ

ومن شيمي حبُّ الوفاءِ سجيَّةً

وما خَيْرُ قَلْبٍ لاَ يَدُومُ لَهُ عَهْدُ ؟

ولكنَّ إخواناً بمصرَ ورفقةً

نسونا ، فلا عهدٌ لديهم ، ولا وعدُ

أَحِنُّ لَهُمْ شَوْقاً ، عَلَى أَنَّ دُونَنَا

مهامهَ تعيا دونَ أقربها الربدُ

فَيا ساكِنِي الْفُسْطَاطِ! ما بالُ كُثْبِنَا

ثوت عندكم شهراً وليسَ لها ردُّ ؟

أفي الحقِّ أنَّا ذاكرونَ لعهدكم

وأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يَعْطِفُكُمْ وُدُّ ؟

فلا ضَيْرَ، إِنَّ اللَّهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً

يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُوَاصَلَةِ الصَّدُّ

جَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ جَزانِي بِمِثْلِهِ

عَلَى شُقَّةٍ غَزْرُ الْحَيَاةِ بِها تَمْدُ

أَبِيْتُ لِذِكْرَاكُمْ بِها مُتَمَلْمِلاً

كَأَنِّي سَلِيمٌ، أَوْ مَشَتْ نَحْوَهُ الْوِرْدُ

فلا تحسبونى غافلاً عن وداد كم

رويداً ، فما فى مهجتى حجرٌ

صلدُ

هُوَ الْحُبُّ لا يَثْنِيهِ نَأْيٌ، ورُبَّمَا

تَأَرَّجَ مِنْ مَسِّ الضِّرامِ لَهُ النَّدُّ

نَأَتْ بِيَ عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وتَجَهَّمَتْ

بِوَجْهِي أَيَّامٌ خَلائِقُهَا نُكْدُ

أدورُ بعينى لا أرى غيرَ أُمَّةٍ

مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُّ

جواثٍ على هام الجبالِ لغارةٍ

يطير بها ضوءُ الصَّباحِ إذا يبدو

إذا نحنُ سرنا صرّحَ الشّرُّ باسمِهِ

وَصَاحَ الْقَنَا بالْمَوْتِ، واسْتَقْتَلَ

الجندُ

فَأَنْتَ تَرَى بيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً

يُحَدِّثُ فيها نَفْسَهُ الْبَطَلُ الْجَعْدُ

عَلَى الأَرْضِ مِنْها بالدِّماءِ جَدَاوِلٌ

وَفَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ

إِذَا اشْتَبَكُوا، أَوْ راجَعُوا الزَّحْفَ

خِلْتَهُمْ

بُحُوراً تَوَالَى بَيْنَها الْجَزْرُ والْمَدُّ

نشلُّهُمُ شلَّ العطاشِ ونت بها

مُرَاغَمَةُ السُّقْيَا، وَمَاطَلَهَا الْوِرْدُ

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ، وهَارِبٍ

طَلِيحٍ، ومأسورٍ يجاذبهُ القدُّ

نروحُ إلى الشُّورى إذا أقبلَ الدُّجى

ونَغْدُو عَلَيْهِمْ بالْمَنَايَا إِذَا نَغْدُو

ونقعٍ كلجِّ البحرِ خضتُ غمارهُ

ولا مَعْقِلٌ إِلاَّ الْمَنَاصِلُ والْجُرْدُ

صَبَرْتُ لَهُ والْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً

وَيَنْغَلُّ طَوْراً فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ

فَمَا كُنْتُ إِلاَّ اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوَى

وَمَا كُنْتُ إِلاَّ السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغِمْدُ

صَئُولٌ وِلِلأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى

ضروبٌ وقلبُ القرنِ فى صدرِه

يعدو

فما مُهْجَةٌ إِلاَّ وَرُمْحِي ضَمِيرُهَا

ولا لَبَّةٌ إِلاَّ وسَيْفِي لَهَا عِقْدُ

وَمَا كُلُّ ساعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ

ولا كلُّ طلاَّبٍ يصاحبهُ الرشدُ

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

فَمَا السَّيْفُ إِلاَّ آلَةٌ حَمْلُهَا إِدُّ

إذا كانَ عقبى كلِّ شيءٍ وإن زكا

فناء ، فمكروهُ الفناءِ هو الخلدُ

وتخليدُ ذكرِ المرءِ بعدَ وفاتهِ

حَيَاةٌ لَهُ، لا مَوْتَ يَلْحَقُها بَعْدُ

فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَوْمِهِ

وفي غدهِ ما ليسَ من وقعهِ بدُّ

لِيَضْنَ بِيَ الْحُسَّادُ غَيْظاً، فَإِنَّنِي

لآنافهم رغمٌ وأكبادهِم وقدُ

أَنَا القَائِلُ الْمَحْمُودُ مِنْ غَيْرِ سُبَّةٍ

ومن شيمة الفضلِ العداوةُ والضدُّ

فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهْوَ نَفْسُهُ

وربَّ سوارٍ ضاقَ عن حملهِ

العضدُ

فلا زلتُ محسوداً على المجدِ والعلا

فليسَ بمحسودٍ فتىً ولهُ ندُّ

أبنى الكنانةَ أبشِروا بمحمَّدٍ

بعد الضغط الفرنسي والبريطاني على السلطان العثماني في عزل إسماعيل، تم اعتلاء أبنه توفيق (١٨٥٣-١٨٩٢) منصب العرش. وكان البارودي شأنه شأن الكثير من المصلحين الذين رحبوا بهذا التغيير وأعتبره فاتحة خير. وتم تعين البارودي وزيراً للمعارف والأوقاف، فأنشد قصيدته المطولة التي يقول في مطلعها :

أبنى الكنانةَ أبشِروا بمحمَّدٍ

وثِقوا براعٍ فى المكارم أوحدِ

فَهُوَ الزَّعِيمُ لَكُمْ بِكُلِّ فَضيلةٍ

تَبْقَى مَآثِرُهَا، وَعَيْشٍ أَرْغَدِ

مَلِكٌ نَمَتْهُ أَرُومَةٌ عَلَوِيَّةٌ

ملكَت بسؤدُدِها عنانَ الفرقدِ

يَقِظُ الْبَصِيرَةِ لَوْ سَرَتْ فِي عَيْنِهِ

سِنَةُ الرُّقَادِ، فَقَلْبُهُ لَمْ يَرْقُدِ

بدهاتهُ قيدُ الصوابِ، وعَزمهُ

شرُكُ الفوارسِ فى العجاجُ الأربدِ

فإذا تنمَّرَ فهو،، زيدٌ ،، فى الوغى

وإِذَا تَكَلَّمَ فَهْوَ «قَيْسٌ» فِي النَّدِي

مُتَقَسِّمٌ مَا بَيْنَ حُنْكَةِ أَشْيَبٍ

صَدَقَتْ مَخِيلَتُهُ، وَحِلْيَةِ أَمْرَدِ

لا يستريحُ إلى الفراغِ ، ولا يرى

عيشاً يلذُّ بهِ إذا لم يجهدِ

فنهارهُ غيثُ اللَّهيفِ ، وليلهُ

في طَاعَةِ الرَّحْمنِ لَيْلُ الْعُبَّدِ

لهجٌ بحبِّ الصالحاتِ ، فكلما

بَلَغَ النِّهَايَةَ مِنْ صَنِيعٍ يَبْتَدِي

خُلُقٌ تميَّزَ عن سواهُ بفضلهِ

والْفَضْلُ في الأَخْلاقِ إِرْثُ الْمَحْتِدِ

إقليدُ معضلةٍ ، ومعقِلُ عائذٍ

وسماءُ منتجعٍ ، وقبلةُ مهتدِ

حَسُنَتْ بِهِ الأَيَّامُ حَتَّى أَسْفَرَتْ

عن وجهِ معشوقِ الشَّمائلِ أغيَد

وَصَفَتْ مَوَارِدُ مِصْرَ حَتَّى

أَصْبَحَتْ

بعدَ الكدورةِ شرعةً للورَّدِ

فَالْعَدْلُ يَرْعَاهَا بِرَأْفَةِ وَالِدٍ

والبأسُ يحميها بصولةِ أصيَدِ

بَلَغَتْ بِفَضْلِ «مُحَمَّدٍ» مَا أَمَّلَتْ

مِنْ عِيشَةٍ رَغَدٍ وَجَدٍّ أَسْعَدِ

هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الذي أَوْصَافُهُ

فى الشعر حليةُ راجزٍ ومقصّدِ

فبنورهِ فى كلِّ جنحٍ نهتدى

وبهَدْيِهِ فِي كُلِّ خَطْبٍ نَفْتَدِي

سنَّ المشورةَ ، وهى أكرمُ خطَّةٍ

يجرى عليها كل راعٍ مرشدِ

هِيَ عِصْمَةُ الدِّينِ التي أَوْحَى بهَا

رَبُّ الْعِبَادِ إِلى النَّبِيِّ «مُحَمَّدِ»

فَمَنِ اسْتَعَانَ بِهَا تَأَيَّدَ مُلْكُهُ

ومن استهانَ بأمرها لم يرشُدِ

أَمْرَانِ ما اجْتَمَعَا لِقَائِدِ أُمَّةٍ

إلاَّ جنى بهما ثمارَ السؤددِ

جَمْعٌ يَكُونُ الأَمْرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ

شورى ، وجندٌ للعدو بمرصدِ

هيهاتَ يحيا الملكَ دونَ مشورةٍ

ويَعِزُّ رُكْنُ الْمَجْدِ مَا لَمْ يُعْمَدِ

فالسَّيْفُ لا يَمْضِي بِدُونِ رَوِيَّةٍ

وَالرَّأْيُ لا يَمْضِي بِغَيْرِ مُهَنَّدِ

فاعكفْ على الشورى تجد فى

طيّها

من بينات الحكمِ ما لم يوجدِ

لا غَرْوَ أَنْ أَبْصَرْتَ فِي صَفَحَاتِهَا

صُوَرَ الْحَوَادِثِ، فَهْيَ مِرْآةُ الْغَدِ

فَالْعَقْلُ كَالْمِنْظَارِ يُبْصِرُ ما نَأَى

عنه قريباً ، دونَ لمسٍ باليدِ

وكفاكَ علمُكِ بالأمورِ، وليسَ من

سَلَكَ السَّبيلَ كَحَائِرٍ لَمْ يَهْتَدِ

فلأنتَ أولَ من أفادَ بعدلهِ

حُرِّيَةَ الأَخْلاقِ بَعْدَ تَعَبُّدِ

أَطْلَقْتَ كُلَّ مُقَيَّدٍ ، وَحَلَلْتَ كُ

لَّ مُعَقَّدٍ ، وَجَمَعْتَ كُلَّ مُبَدَّدِ

وتمتَّعتْ بالعدلِ منكَ رعيَّةٌ

كانت فريسةَ كلِّ باغٍ معتدِ

فاسلم لخير ولاية عزّت بها

نفسُ النصيحِ ، وذلّ كلُّ مفنّدِ

ضَرَحَتْ قَذَاةَ الْغَيِّ عَنْ جَفْنِ

الْهُدَى

وَسَرَتْ قِنَاعَ الْيَأْسِ عَنْ أَمَلٍ نَدِ

ضَمَّتْ إِلَيْكَ زِمامَ كُلِّ مُثَلِّثٍ

وَثَنَتْ إِلَيْكَ عِنَانَ كُلِّ مُوَحِّدِ

وَتَأَلَّفَتْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ أَنْفُسٌ

سكنت بعدلك في نعيمٍ سرمدِ

فحباكَ ربُّكَ بالجميلِ كرامةً

لِجَزِيلِ مَا أَوْلَيْتَ أُمَّةَ «أَحْمَدِ»

وَتَهَنَّ بِالْمُلْكِ الَّذِي أَلْبَسْتَهُ

شرفاً بمثلِ ردائِهِ لم يرتدِ

بَزَغَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ بَعْدَ مَا

أفلَت ، وأبصرَ كلُّ طرفٍ أرمدِ

لم يبقَ من ذى خلةٍ إلاَّ اغتدى

بجميلِ صنعِكَ مصدراً للوفَّدِ

بَلَغَتْ بِكَ الآمَالُ أَبْعَدَ غَايَةٍ

قَصَرَتْ عَلى الإِغْضَاءِ طَرْفَ

الْحُسَّدِ

فاسعد ودم واغنم وجُدْ وانعمْ

وسُد

وابْدَأْ وَعُدْ وَتَهَنَّ واسْلَمْ وازْدَدِ

لا زالَ عدلكَ في الأنامِ مخلداً

فَالعَدْلُ في الأَيامِ خَيْرُ مُخَلَّدِ

الجارة وعيالها

قال البارودي في جارة له وعيالها الذين يقلقون راحته:

إِلى اللَّهِ أَشْكُو طولَ لَيْلي، وَجارَةً

تَبيتُ إِلَى وَقْتِ الصَّباحِ بِإِعْوَالِ

لها صبيةٌ لا بارَكَ اللهُ فيهمُ

قِباحُ النَّواصِي، لا يَنَمْنَ عَلَى حَالِ

صوارخُ، لا يهدأنَ إلاَّ مع الضحا

مِنَ الشَّرِّ، في بَيْتٍ مِنَ الْخَيْرِ مِمْحَالِ

تَرَى بَيْنَهُمْ يَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ

لَهِيبَ صِيَاحٍ يَصْعَدُ الْفَلَكَ الْعَالِي

كَأَنَّهُمُ مِمَّا تَنَازَعْنَ أَكْلُبٌ

طُرِقْنَ عَلَى حِينِ الْمَسَاءِ بِرِئْبَالِ

فهجنَ جميعاً هيجةً فزعتْ لها

كِلَابُ الْقُرَى ، مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالِ

فلمْ يبقَ منْ كلبٍ عقورٍ وَكلبةٍ

مِنَ الْحَيِّ إِلَّا جَاءَ بِالْعَمِّ وَالْخَالِ

وَفَزِّعَتِ الْأَنْعَامُ وَالْخَيْلُ؛ فَانْبَرَتْ

تُجَاوِبُ بَعْضاً فِي رُغَاءٍ وَتَصْهَالِ

فقامتْ رجالُ الحيِّ تحسبُ أنها

أصيبتْ بجيشٍ ذي غوارب ذيالِ

فَمِنْ حَامِلٍ رُمْحاً، وَمِنْ قَابِضٍ عَصاً

وَمِنْ فَزِعٍ يَتْلُو الْكِتَابَ بِإِهْلَالِ

وَمِنْ صبيةٍ ريعتْ لذاكَ، وَنسوةٍ

قَوَائِمَ دُونَ الْبَابِ يَهْتِفْنَ بِالْوَالِي

فَيَا رَبُّ، هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ تَصَبُّراً

عَلَى مَا أُقَاسِيهِ، وَخُذْهُمْ بِزَلْزَالِ

قالها البارودي متحسرا على الايام الجميلة التي قضاها في مصر في شبابه ورجولته وكهولته في "سرنديب"

ردوا عليَّ الصبا منْ عصريَ الخالي

وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللِّمَةِ الْبَالِي ؟

ماضٍ منَ العيش ، ما لاحتْ مخايلهُ

في صفحةِ الفكرْ إلاَّ هاجَ بلبالي ؟

سلتْ قلوبٌ ؛ فقرتْ في مضاجعها

بَعْدَ الْحَنِينِ، وَقَلْبِي لَيْسَ بِالسَّالِي

لمْ يدرِ منْ باتَ مسروراً بلذتهِ

أني بنارِ الأسى منْ هجرهِ صالي

يا غاضينَ علينا ! هلْ إلى عدةٍ

بالوصلِ يومٌ أناغي فيهِ إقبالي

غِبْتُمْ؛ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ

وَساءَ صنعُ الليالي بعدَ إجمالِ

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُنِي مِنْكُمْ عَلى ثِقَةٍ

حتى منيتُ بما لم يجرِ في بالي

لَمْ أَجْنِ فِي الْحُبِّ ذَنْباً أَسْتَحِقُّ بِهِ

عتباً ، ولكنها تحريفُ أقوالِ

وَمَنْ أَطاعَ رواةَ السوءِ – نفرهُ

عَنِ الصَّدِيقِ سَمَاعُ الْقِيلِ وَالْقَالِ

أدهى المصائبِ غدرٌ قبلهُ ثقةٌ

وَأَقْبَحُ الظُّلْمِ صَدٌّ بَعْدَ إِقْبَالِ

لا عيبَ فيَّ سوى حريةٍ ملكتْ

أعتني عنْ قبولِ الذلّ بالمالِ

تبعتُ خطةَ آبائي ؛ فسرتُ بها

عَلى وَتيرَةِ آدَابٍ وَآسَالِ

فَمَا يَمُرُّ خَيَالُ الْغَدْرِ فِي خَلَدِي

وَلَا تَلُوحُ سِمَاتُ الشَّرِّ فِي خَالِي

قلبي سليمٌ ، ونفسي حرةٌ وَيدي

مأمونةٌ ، وَلساني غيرُ ختالِ

لَكِنَّنِي فِي زَمَانٍ عِشْتُ مُغْتَرِباً

في أهلِهِ حينَ قلتْ فيهِ أمثالي

بَلَوْتُ دَهْرِي؛ فَمَا أَحْمَدْتُ سِيرَتَهُ

فِي سابقٍ من لياليهِ ، وَلاَ تالي

حَلَبْتُ شَطْرَيْهِ: مِنْ يُسْرٍ، وَمَعْسُرَةٍ

وَذُقْتُ طَعْمَيْهِ: مِنْ خِصْبٍ، وَإِمْحَالِ

فَمَا أَسِفْتُ لِبُؤْسٍ بَعْدَ مَقْدُرَةٍ

وَلاَ فرحتُ بوفرٍ بعدَ إقلالِ

عَفَافَةٌ نَزَّهَتْ نَفْسِي؛ فَمَا عَلِقَتْ

بلوثةٍ منْ غبارِ الذمِّ أذيالي

فاليومَ لا رسني طوعُ القيادِ ، ولاَ

قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ

لَمْ يَبْقَ لِي أَرَبٌ فِي الدَّهْرِ أَطْلُبُهُ

إلاَّ صحابةُ حرٍّ صادقِ الخالِ

وَأَيْنَ أُدْرِكُ مَا أَبْغِيهِ مِنْ وَطَرٍ

وَالصدقُ فِي الدهرِ أعيا كلَّ محتالِ ؟

لا في " سرنديبَ " لي إلفٌ أجاذبهُ

فضلَ الحديثِ ، وَلاَ خلٌّ ؛ فيرعى لي

أبيتُ منفرداً في رأس شاهقةٍ

مثلَ القطاميِّ فوقَ المربِ العالي

إذا تلفتُّ لم أبصرْ سوى صورٍ

فِي الذِّهْنِ، يَرْسُمُها تَقَاشُ آمالِي

تهفو بيَ الريحُ أحياناً ، ويلحفني

بردُ الطلالِ ببردٍ منهُ أسمالِ

فَفِي السَّمَاءِ غُيُومٌ ذَاتُ أَرْوِقَةٍ

وَفي الفضاءِ سيولٌ ذاتُ أَوْشالِ

كَأَنَّ قَوْسَ الْغَمَامِ الْغُرِّ قَنْطَرَةٌ

معقودةٌ فوقَ طامي الماءِ سيالِ

إذا الشعاعُ تراءى خلفها نشرتْ

بَدَائِعاً ذَاتَ أَلْوَانٍ وَأَشْكَالِ

فَلَوْ تَرَانِي وَبُرْدِي بِالنَّدَى لَثِقٌ

لخلتني فرخَ طيرٍ بينَ أدغالِ

غَالَ الرَّدَى أَبَوَيْهِ؛ فَهْوَ مُنْقَطِعٌ

فِي جَوْفِ غَيْنَاءَ، لَا رَاعٍ، وَلَا وَالِي

أَزْيَغَبَ الرأس، لَمْ يبدُ الشكيرُ بِهِ

وَلَمْ يصنْ نفسهُ منْ كيدِ مغتالِ

كَأَنَّهُ كُرَةٌ مَلْسَاءُ مِنْ أَدَمٍ

خَفِيَّةُ الدَّرْزِ، قَدْ عُلَّتْ بِحِرْيَالِ

يظلُّ فِي نصبٍ، حرانَ، مرتقباً

نَقْعَ الصَّدَى بَيْنَ أَسْحَارٍ وآصَالِ

يكادُ صوتُ البزاةِ القمرِ يقذفه

مِنْ وَكْرِهِ بَيْنَ هَابِي التُّرْبِ جَوَّالِ

لا يستطيعُ انطلاقاً منْ غيابتِهِ

كأنما هوَ معقولٌ بعقالِ

فذاكَ مثلي ، وَلَمْ أظلمْ ، وربتما

فضلتهُ بجوى حزنٍ ، وإعوالِ

شَوْقٌ، وَنَأْيٌ، وَتَبْرِيحٌ، وَمَعْتَبَةٌ

يا للحميةِ منْ غذري وإهمالي

أصبحتُ لا أستطيعُ الثوبَ

أسحبهُ

وَقَدْ أَكُونُ وَضَافِي الدِرْعِ سِرْبَالِي

وَلاَ تكادُ يدي شبا قلمي

وَكَانَ طَوْعَ بَنَانِي كُلُّ عَسَّالِ

فَإِنْ يَكُنْ جَفَّ عُودِي بَعْدَ نَضْرَتِهِ

فَالدَّهْرُ مَصْدَرُ إِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ

وَإِنْ غَدَوْتُ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْخَالِ

بِصِدْقِ مَا كَانَ مِنْ وَسْمِي وَإِغْفَالِي

رَاجَعْتُ فِهْرِسَ آثَارِي، فَمَا لَمَحَتْ

بَصِيرَتِي فِيهِ مَا يُزْرِي بِأَعْمَالِي

فَكَيْفَ يُنْكِرُ قَوْمِي فَضْلَ بَادِرَتِي

وَقَدْ سَرَتْ حِكَمِي فِيهِمْ، وَأَمْثَالِي؟

أَنَا ابْنُ قَوْلِي؛ وَحَسْبِي فِي الْفَخَارِ بِهِ

وَإِنْ غَدَوْتُ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْخَالِ

وَلِي مِنَ الشِّعْرِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ

تلوحُ في وجنةِ الأيامِ كالخالِ

ينسى لها الفاقدُ المحزونُ لوعتهُ

ويهتدى بسناها كلُّ قوالِ

فانظرْ لقولي تجدْ نفسي مصورةً

فِي صَفْحَتَيْهِ؛ فَقَوْلِي خَطُّ تِمْثَالِي

وَلَا تغرنكَ في الدنيا مشاكلةٌ

بينَ الأنامِ ؛ فليسَ النبعُ كالضالِ

إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَوْلَا عَقْلُهُ شَبَحٌ

مُرَكَّبٌ مِنْ عِظَامٍ ذَاتِ أَوْصَالِ

قال مفتخراً ((أنا في الشعرِ عريقٌ = لم أرثهُ عنْ كلالهْ))

فتح شاعرنا محمود سامي البارودي عينيه على نغمات ربة الشعر حيث عاش ونما وترعرع في بيئة تعتز باللفظ الرشيق، وتميل إلى ترديد الفخم الجزل من الأبيات التي تعلم الفروسية والبطولة والنخوة والشهامة وكراهية الضيم. وما إن بلغ السابعة من عمره إلا وعانقته ربة الشعر والتحمت بكيانه. . فقد وجد متسعاً من الوقت في بيته ليطالع أمهات الدواوين من الشعر القديم حفظاً وتذوقاً ومعايشة كما وجد في أعمامه وأخواله وأسرته خير معين على تغذية شاعريته المتفجرة .

أَهِلالٌ بَيْنَ هَالَهْ ؟

أَمْ غَزَالٌ فِي غِلالَهْ ؟

صَادَ بِاللَّحظِ فُؤَادِي

أَتَرى الْهُدْبَ حِبَالَهْ ؟

غرني ، ثمَّ تولى

لَيْتَ شِعْرِي، مَا بَدَا لَهْ ؟

أَنَا مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ

واقعٌ بينَ ضلالهْ

أيها الظالمُ ! هبْ لي

مَرّةً مِنْكَ الْعَدَالَهْ

وَارْعَ لِي حَقَّ وِدَادٍ

فيكَ ، لمْ أقطعْ حبالهْ

منطقٌ عذبٌ ، وَمعنى

يبسمُ السحرُ خلالهْ

كُلُّ بَيْتٍ كَنَسِيجِ الرْ

رَوْضِ حُسْناً وَطَلاَلَهْ

أنا في الشعرِ عريقٌ

لَمْ أرثهُ عنْ كلالهْ

كَانَ «إِبْرَاهِيمُ» خَالِي

فيهِ مشهورَ المقالهْ

وَسما جدي "عليٌّ"

يطلبُ النجمَ، فنالهْ

فَهْوَ لِي إِرْثٌ كَرِيمٌ

سَوْفَ يَبْقَى فِي السُّلاَلَهْ

أول قصيدة لامية للشاعر محمود سامي البارودي.

حث محمود البارودي الناس على طلب العدل في الأحكام ،وذم المسئولين المتسلطين الذين أضروا بمصر وشعبها ،فكتب قصيدة بها قافية اللام وهي أول قصيدة في لاميات البارودي.

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حِلْيَةَ الْغَزَلِ
وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ

يأبى لىَ الغىَّ قلب لا يميلُ بِهِ
عَنْ شِرْعَةِ الْمَجْدِ سِحْرُ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

أَهِيمُ بِالْبِيضِ فِي الأَغْمَادِ بَاسِمَةً
عنْ غرةِ النصرِ ، لا بالبيضِ في الكللِ

لَمْ تُلْهِنِي عَنْ طِلابِ الْمَجْدِ غَانِيَةٌ

فِي لَذَّةِ الصَّحْوِ مَا يُغْنِي عَنِ الثَّمَلِ

كَمْ بَيْنَ منتدبٍ يدعو لمكرمةٍ

وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

لَوْلَا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ

مَزِيَّةُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَلْيِ وَالْعَطَلِ

فانهض إلى صهواتِ المجدِ معتلياً

فالبازُ لم يأوِ إلاَّ عاليَ القللِ

ودعْ منَ الأمرِ أدناهُ لأبعدِهِ

في لجةِ البحرِ ما يغنى عنِ الوشلِ

قدْ يظفرُ الفاتكُ الألوى بحاجتِهِ

وَيَقْعُدُ الْعَجْزُ بِالْهَيَّابَةِ الْوَكَلِ

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ تَسْلَمْ، فَرُبَّ فَتًى

أَلقى بِهِ الأمنُ بينَ اليأسِ وَالوجلِ

وَلا يغرنكَ بشرٌ منْ أخى ملقٍ

فرونقُ الآلِ لا يشفى منَ الغللِ

لوْ يعلمُ ما في الناس منْ دخنٍ

لَبَاتَ مِنْ وُدِّ ذِي الْقُرْبَى عَلَى دَخَلِ

فَلا تَثِقْ بِوَدَادٍ قَبْلَ مَعْرِفَةٍ

فَالْكُحْلُ أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَحَلِ

وَاخْشَ النَّمِيمَةَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَائِلَهَا

يصليكَ منْ حرهَا نارًا بلاَ شعلِ

كمْ فريةٍ صدعتْ أركانَ مملكةٍ

وَمَزَّقَتْ شَمْلَ وُدٍّ غَيْرِ مُنْفَصِلِ

فاقبلْ وصاتي ، وَلا تصرفكَ لاغيةٌ

عنى ؛ فما كلُّ رامٍ منْ بنى ثعل

إني امرؤٌ كفنى حلمي ، وأدبني

كرُّ الجديدينِ منْ ماضٍ وَمقتبلِ

فَمَا سَرَيْتُ قِنَاعَ الْحِلْمِ عَنْ سَفَهٍ

وَلاَ مَسَحْتُ جَبِينَ الْعِزِّ مِنْ خَجَلِ

حلبتُ أشطرَ هذا الدهرِ تجربةً

وَذُقْتُ مَافِيهِ مِن صَابٍ، وَمِنْ

عَسَلِ

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الأَيَّامِ بَاقِيَةً

أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ

لكننا غرضٌ للشرِّ في زمنٍ

أَهْلُ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ

قامتْ بِهِ منْ رجالِ السوءِ طائفةٌ

أدهى على النفسْ منْ بؤسٍ على

ثكلِ

منْ كلّ وغدٍ يكادُ الدستُ يدفعهُ

بُغْضاً، وَيَلْفِظُهُ الدّيوانُ مِنْ مَلَلِ

ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ، واضْطَرَبَتْ

قواعدُ الملكِ، حتى ظلَّ في خللِ

وَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ «الْفُسْطَاطِ»

خَاضِعَةً

بَعْدَ الإِبَاءِ، وَكَانَتْ زَهْرَةَ الدُّوَلِ

قومٌ إذا أبصروني مقبلاً وجموا

غَيْظاً، وَأَكْبَادُهُمْ تَنْقَدُّ مِنْ دَغَلِ

فَإِنْ يَكُنْ سَاءَهُمْ فَضْلِي فَلا عَجَبٌ

فَالشَّمْسُ وَهِيَ ضِيَاءٌ آفَةُ الْمُقَلِ

نزهتُ نفسيَ عما يدنيونَ بِهِ

وَنخلةُ الروضِ تأبى شيمةَ الجعلِ

بئسَ العشيرُ، وبئستْ مصرُ منْ بلدٍ

أضحتْ مناخاً لأهلِ الزورِ وَ

الخطلِ

أرضٌ تأثلَ فيها الظلمُ، وانقذفتْ

صواعقُ الغدرِ بينَ السهلِ وَالجبلِ

وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي عَمْيَاءَ مُظْلِمَةٍ

لَمْ يَخْطُ فِيهَا امْرُؤٌ إِلَّا عَلَى زَلَلِ

لَمْ أَدْرِ مَا حَلَّ بِالأَبْطَالِ مِنْ خَوَرٍ

بَعْدَ الْمِراسِ، وَبِالأَسْيَافِ مِنْ فَلَلِ

أَصَوَّحَتْ شَجَرَاتُ الْمَجْدِ، أَمْ

نَضَبَتْ

غدرُ الحميةِ حتى ليسَ منْ رجلِ ؟

لَا يدفعونَ يداعنهمْ ، وَلوْ بلغتْ

مسَّ العفافةِ منْ جبنٍ ، وَمنْ خزلِ

خَافُوا الْمَنِيَّةَ ، فَاحْتَالُوا ، وَمَا عَلِمُوا

أنَّ المنيةَ لَا ترتدُّ بالحيلِ

فَفِيمَ يَتَّهِمُ الإِنسَانُ خالِقَهُ

وَكلُّ نفسٍ لها قيدٌ منَ الأجلِ ؟

هيهاتَ يلقى الفتى أمناً يلذُّ بهِ

مَا لَمْ يَخُضْ نَحْوَهُ بَحْراً مِنَ الْوَهَلِ

فَمَا لَكُمْ لَا تَعَافُ الضَّيْمَ أَنْفُسُكُمْ

وَلَا تَزُولُ غَوَاشِيكُمْ مِنَ الْكَسَلِ ؟

وَتِلْكَ مِصْرُ الَّتِي أَفْنَى الْجِلَادُ بِهَا

لَفِيفَ أَسْلَافِكُمْ فِي الْأَعْصُرِ الْأُوَلِ

قومٌ أقروا عمادَ الحقّ وامتلكوا

أَزِمَّةَ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ

جَنَوْا ثِمَارَ الْعُلَا بِالْبِيضِ، وَاقْتَطَفُوا

مِنْ بَيْنِ شَوْكِ العوالي زهرةَ الأملِ

فَأَصْبَحَتْ مِصْرُ تَزْهُو بَعْدَ كُدْرَتِهَا

فِي يَانِعٍ مِنْ أَسَاكِيبِ النَّدَى خَضِلِ

لَمْ تَنْبُتِ الْأَرْضُ إِلَّا بَعْدَمَا اخْتَمَرَتْ

أقطارها بدمِ الأعناقِ وَالقللِ

شَنُّوا بِهَا غَارَةً أَلْقَتْ بِرَوْعَتِهَا

أمناً يولفُ بينَ الذئبِ وَالحملِ

حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي مَعْقِلٍ أَشِبٍ

يردُّ عنها يدَ العادي منَ الملِلِ

أخنى الزمانُ على فرسانها ، فغدتْ

منْ بعدِ منعتها مطروقةَ السبلِ

فأيَّ عارٍ جلبتمْ بالخمولِ على

ما شادهُ السيفُ منْ فخرٍ على

زحلِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ

فَإِنَّمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَمَلِ

فبادروا الأمرَ قبلَ الفوتِ ، وانتزعوا

شِكَالَةَ الرَّيْثِ، فَالدُّنْيَا مَعَ الْعَجَلِ

وَقلدوا أمركمْ شهماً أخا ثقةٍ

يكونُ رداءً لكمْ في الحادثِ الجللِ

ماضي البصيرةِ ، غلابٌ ، إذا

اشتبهتْ

مسالكُ الرأيِ صادَ البازَ بالحجلِ

إنْ قالَ برَّ ، وَإنْ ناداهُ منتصرٌ

لَبَّى ، وإنْ هَمَّ لَمْ يَرْجِعْ بلا نَفَلِ

يجلو البديهةَ باللفظِ الوجيزِ إذا

عزَّ الخطابُ ، وَطاشتْ أسهمُ

الجدلِ

وَلَا تَلجُّوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لَاحَ لَكُمْ

إِنَّ اللجاجةَ مدعاةٌ إلى الفشلِ

قدْ يدركُ المرءُ بالتدبيرِ ما عجزتْ

عَنْهُ الْكُمَاةُ، وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى بَطَلِ

هَيْهَاتَ، مَا النَّصْرُ فِي حَدِّ الأَسِنَّةِ،

بَلْ

بقوةِ الرأي تمضي شوكةُ الأسلِ

وَطَالِبُوا بِحُقُوقٍ أَصْبَحَتْ غَرَضاً

لِكُلِّ مُنْتَزِعٍ سَهْماً، وَمُخْتَتِلِ

وَلَا تخافوا نكالاً فيهِ منشوكمْ

فالحوتُ في اليمِّ لا يخشى منَ البللِ

عيشُ الفتى في فناءِ الذلّ منقصةٌ

وَالموتُ في العز فخرُ السادةِ النبلِ

لا تتركوا الجدَّ أوْ يبدو اليقينُ لكمْ

فالجدُّ مفتاحُ بابِ المطلبِ العضلِ

طوراً عراكاً ، وأحيانا مياسرةً

رياضةُ المهرِ بينَ العنفِ وَالمهلِ

حتى تعودَ سماءُ الأمنِ ضاحيةً

وَيَرْفُلَ الْعَدْلُ فِي ضَافٍ مِنَ الْحُلَلِ

هذِي نَصِيحَةُ مَنْ لاَ يَبْتَغِي بَدَلاً

بِكُمْ، وهَلْ بَعْدَ قَوْمِ الْمَرْءِ مِنْ بَدَلِ ؟

أَسْهَرْتُ جَفْنِي لَكُمْ فِي نَظْمِ قَافِيَةٍ

مَا إِنْ لَهَا فِي قَدِيمِ الشِّعْرِ مِنْ مَثَلِ

كالبرقِ في عجلٍ ، والرعدِ في زجلٍ

وَالْغَيثِ فِي هَلَلٍ، وَالسَّيْلِ فِي هَمَلِ

غَرَّاءُ، تَعْلَقُهَا الأَسْمَاعِ مِنْ طَرَبٍ

وَتَسْتَطِيرُ بِهَا الأَلْبَابُ مِنْ جَذَلِ

حَوْلِيَّةٌ، صَاغَهَا فِكْرٌ أَقَرَّ لَهُ

بِالْمُعْجِزَاتِ قَبِيلُ الإِنسِ وَالْخَبَلِ

تلوحُ أبياتها شطرينِ في نسقٍ

كالمرفيةِ قدْ سلتْ منَ الخللِ

إِنْ أَخْلَقَتْ جِدَّةُ الأَشْعَارِ أَثَّلَهَا

لَفْظٌ أَصِيلٌ، ومَعْنًى غَيْرُ مُنْتَحَلِ

تفنى النفوسُ، وَتبقى وَهيَ نَاضرةٌ

على الدُّهُورِ بَقَاءَ السَّبْعَةِ الطُوَلِ

وصف البارودي للربيع.

في هذه القصيدة يصف البارودي أيام الربيع ويذكر مواسم اللهو في عصر الشباب.

رَمَتْ بِخُيُوطِ النُّورِ كَهْرَبَةُ الْفَجْرِ

ونَمَّت بأسرار النَّدى شفةُ الزهرِ

وسارت بأنفاسِ الخمائلِ نسمَةٌ

بليلةُ مهوى الذيلِ، عاطرةُ النشرِ

فقم نغتنِم صفوَ البكورِ، فإنّها

غداةُ زهرُها باسِمُ الثغرِ

تَرَى بَيْنَ سَطْحِ الأَرْضِ والْجَوِّ

نِسْبَةً

تُشَاكِلُ مَا بَيْنَ السَّحائِب والْغُدْر

ففى الجوِّ هتّان يسيلُ، وفى الثرى

سيولٌ ترامى بينَ أوديةٍ غزرِ

غَمَامَانِ فيَّاضَانِ: هَذَا بِأُفْقِهِ

يَسِيرُ، وهَذَا فِي طِبَاقِ الثَّرَى يَسْرِي

وقد ماجتِ الأغصانُ بينَ يدِ الصبا

كَمَا رَفْرَفَتْ طَيْرٌ بِأَجْنِحَةٍ خُضْرِ

كَأَنَّ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعٌ

تَجولُ بخدٍّ ، أو جُمانٌ على تبر

إذا غازَلَتها لمعَةٌ ذهبيَّةٌ

مِنَ الشَّمْسِ رَفَّتْ كالشَّرارِ عَلى

الْجَمْرِ

ففى كلِّ مَرعى لحظةٍ وَشىُ ديمَةٍ

وفى كلِّ مرمى خطوةٍ أجرعٌ مثرى

مروجٌ جلاها الزهرُ ، حتَّى كأنَّها

سماءٌ تروقُ العينَ بالأنجمِ الزهرِ

كأنَّ صِحافَ النورِ والطلُّ جامدٌ

مَبَاسِمُ أَصْدَافٍ تَبَسَّمْنَ عَنْ دُرِّ

وقَد شاقنى والصُبحُ فى خدرِ أمّهِ

حَنِينُ حَمَامَاتٍ تَجَاوَبْنَ فِي وَكْرِ

هَتَفْنَ فَأَطرَبْنَ القُلُوبَ، كَأَنَّمَا

تعلَّمنَ أَلحانَ الصَّبَابةِ من شعرى

وقامَ على الجدرانِ أَعرفُ لم يزَل

يبدِّدُ أحلامَ النِّيامِ ولا يدرى

تخايلَ فى موشيَّةٍ عبقريَّةٍ

مُهدَّلَةِ الأردانِ سابِغةِ الأُزرِ

لَهُ كِبْرَةٌ تَبْدُو عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ

مليكٌ عليهِ التَّاجُ ينظرُ عن شزر

فَسَارِعْ إِلى داعِي الصَّبُوحِ مَعَ النَّدَى

لنجمِ بأيدى اللَّهوِ باكورةَ العمرِ

فقد نسَمَت ريحُ الشَّمالِ ، فنبَّهت

عيونَ القمارى وهى فى سنةِ الفجرِ

ونَادَى الْمُنَادِي للصَّلاةِ بِسُحْرَةٍ

فَأَحْيَا الْوَرَى مِنْ بَعْدِ طَيٍّ إِلى نَشْرِ

فبادِر لميقاتِ الصَّلاةِ ، ومِل بنا

إلى القصفِ ما بينَ الجزيرةِ والنَّهرِ

إذا ما قضينا واجِبَ الدّينِ حقَّهُ

فَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْخَلاَعَةِ مِنْ وِزْرِ

أَلا ربَّ يومٍ كانَ تاريخَ صبوةٍ

مضى غيرَ إثرٍ في المخيلةِ أو ذكرِ

عَصَيْتُ بِهِ سُلْطَانَ حِلْمِي،

وَقَادَنِي

إِلى اللَّهْوِ شَيْطَانُ الْخَلاعَةِ والسُّكْرِ

لَدَى رَوْضَةٍ رَيَّا الْغُصُون، تَرَنَّحَتْ

مَعَاطِفُهَا رَقْصاً عَلى نَغْمَةِ الْقُمْرِي

تَدُورُ عَلَيْنَا بِالْمُدَامَةِ بَيْنَها

تَماثِيلُ، إِلاَّ أَنَّها بيننا تجرى

تَرَى كُلَّ مَيْلاءِ الْخِمارِ مِنَ الصِّبَا

هَضِيمَةِ مَجْرَى الْبَنْدِ، نَاهِدَةِ الصَّدْرِ

إِذَا انْفَتَلَتْ فِي حَاجَةٍ خِلْتَ
جُؤْذُرا

أحسَّ بصيَّادٍ فأتلعَ من ذعرِ

لَوَى قَدَّهَا سُكْرُ الْخَلاعَةِ والصِّبَا

فمالت بشطرٍ ، واستقامت على
شطرِ

وعلَّمها وحيُ الدلالِ كهانةً

فإن نطقَت جاءت بشيءٍ منَ السحرِ

أحسَّت بما فى نفسِها من ملاحةٍ

فَتَاهَتْ عَلَيْنَا ، وَالْمَلاَحَةُ قَدْ تُغْرِي

وَأَعْجَبَهَا وَجْدِي بِها ، فَتَكَبَّرَتْ

عَلَيَّ دَلالاً ، وَهْيَ تَصْدُرُ عَنْ أَمْرِي

فَتَاةٌ يَجُولُ السِّحْرُ فِي لَحَظَاتِهَا

مَجَالَ الْمَنَايَا فِي الْمُهَنَّدَةِ الْبُتْرِ

إذا نظَرَت ، أو أقبَلت ، أو تهلَّلت

فويلُ مهاةِ الرملِ ، والغُصن ، والبَدرِ

فَمَا زِلْنَ يُغْرِينَ الطِّلَا بِعُقُولِنا

إلى أن سقطنا لليدينِ وللنَّحرِ

فَمِنْ وَاقِعٍ يَهْذِي، وآخَرَ ذَاهِلٍ

لَهُ جَسَدٌ ما فِيهِ رُوحٌ سِوَى الْخَمْرِ

صَرِيعٌ يَظُنُّ الشُّهْبَ مِنْهُ قَرِيبَةً

فَيَسْدُو بِكَفَّيْهِ إِلَى مَطْلَعِ النَّسْرِ

إذا ما دعوتَ المرءَ دارَ بلحظهِ

إِلَيْكَ، وَغَشَّاهُ الذُّهُولُ عَنِ الْجَهْرِ

بعيدُ عنِ الداعِى وإن كانَ حاضِراً

كَأَنَّ بِهِ بَعْضَ الْهَنَاتِ مِنَ الْوَقْرِ

تحكَّمتِ الصهباءِ فيهِم ، فغيَّرت

شمائلَ ما يأتى بِهِ الجدُّ بالهذرِ

فَيَا سَامَحَ اللَّهُ الشَّبَابَ وَإِنْ جَنَى

علىَّ ، وحيَّا عهدَهُ سَبلُ القطرِ

ملَكتُ بِهِ أمرى ، وجاريتُ

صبوتى

وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ الْحَمِيَّةِ وَالْكِبْرِ

إِذَا أَبْصَرُونِي فِي النَّدِيِّ تَحَاجَزُوا

عنِ القولِ ، واستغنوا عنِ العرفِ

بالنكر

وقالوا فتىً مالَت بهِ نشوةُ الصبا

وليسَ على الفتيانِ فى اللَّهوِ من حجرِ

يخافونَ منّى أن تثورَ حميَّتى

فيبغونَ عطفى بالخديعةِ والمكرِ

أَلا لَيْتَ هَاتِيكَ اللَّيَالِي وَقَدْ مَضَتْ

تعودُ ، وذاكَ العيشُ يأتى على قدرِ

مواسِمُ لذَّاتٍ تقضَّت ، ولم يَزَل

لها أثرٌ يطوى الفؤادَ على أثرِ

إذا اعتورتها ذكرةُ النّفسِ أبصرَت

لها صُورةً تختالُ في صفحةِ الفكرِ

فذِلكَ عصرٌ قد مَضى لسبيلِهِ

وخلفني أرعى الكواكِبَ في عصرِ

لَعَمْرُكَ مَا في الدَّهْرِ أَطْيَبُ لَذّةً

مِنَ اللَّهْوِ في ظِلِّ الشَّبِيبَةِ والْيُسْرِ

قصيدة البارودي في الحكمة.

مهما كانت قوة الإنسان العلمية، ونياته الصالحة – فلن ينهض بنفسه إلا إذا انتهز الفرص السانحة له.

بادرِ الفرصةَ ، واحذر فوتَها

فَبُلوغُ الْعِزِّ في نَيْلِ الْفُرَصْ

واغْتَنِمْ عُمْرَكَ إِبَّانَ الصِّبَا

فهو إن زادَ مع الشيبِ نقَص

إِنَّمَا الدُّنيَا خَيَالٌ عَارِضٌ

قلَّما يبقى ، وأخبارٌ تُقصْ

تارةً تَدجو ، وطوراً تنجلِى

عادةُ الظِلِّ سجا ، ثمَّ قلص

فَابْتَدِرْ مَسْعَاكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ

بادرَ الصيدَ معَ الفجرِ قنصْ

لَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ بِالْعَجْزِ الْمُنَى

إِنَّما الفوزُ لمنْ هَمَّ فنَصْ

يَكدحُ العاقلُ فى مأمنهِ

فإذا ضاقَ بهِ الأمرُ شخَصْ

إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ مَا لَمْ يَغْتَرِبْ

عن حماهُ مثلُ طيرٍ فى قفصْ

وليكن سَعيَكَ مجداً كلُّهُ

إنَّ مرعَى الشرِّ مكروهٌ أحص

وَاتْرُكِ الْحِرْصَ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ

قلَّما نالَ مُناهُ من حرَصْ

قد يضرُّ الشئُ ترجو نَفعهُ

رُبَّ ظَمْآنَ بِصَفْوِ الْمَاءِ غَصْ

مَيِّزِ الأشياءَ تَعرفْ قدرها

لَيْستِ الْغُرَّةُ مِنْ جِنْسِ الْبَرَصْ

واجتنب كُلَّ غبيٍّ مائقٍ

فَهْوَ كَالْعَيْرِ، إِذَا جَدَّ قَمَصْ

إِنَّمَا الْجَاهِلُ فِي الْعَيْنِ قَذًى

حيثُما كانَ، وفى الصدرِ غصَصْ

واحْذَرِ النَّمَّامَ تَأْمَنْ كَيْدَهُ

فَهْوَ كَالْبُرْغُوثِ إِنْ دَبَّ قَرَصْ

يَرْقُبُ الشَّرَّ، فَإِنْ لاَحَتْ لَهُ

فُرْصَةٌ تَصْلُحُ لِلْخَتْلِ فَرَصْ

سَاكِنُ الأَطْرَافِ، إِلاَّ أَنَّهُ

إن رأى منشبَ أُظفورٍ رقَص

وَاخْتَبِرْ مَنْ شِئْتَ تَعْرِفْهُ، فَمَا

يَعْرِفُ الأَخْلاَقَ إِلاَّ مَنْ فَحصْ

هذه حكمةُ كهلٍ خابرٍ

فاقتنصها ، فهى نِعمَ المقتنصْ

قصيدة البارودي (لأَيِّ خَلِيلٍ فِي الزَّمَانِ أُرَافِقُ):

عندما تم تجريد البارودي من جميع القابه و مناصبه و أمواله و أملاكه لم يشعر بالوطأة أكثر من شعوره المؤلم من بعض الرفاق الذين بسببهم وصل به الأمر الى هذا الحال . فهم بين منافق و أحمق و فاسق وليس فيهم بحق من صادق.

و هذا ما كان يرهق البارودي و غيره من زعماء الثورة.

لأَيِّ خَلِيلٍ فِي الزَّمَانِ أُرَافِقُ

وأكثرُ من لاقيتُ خبٌّ مُنافِقٌ ؟

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا ، فَلَمْ أَرَ صَادِقاً

فَأَيْنَ لَعَمْرِي الأَكْرَمُونَ الأَصَادِقُ ؟

أُحاوِلُ أمراً قَصَّرت دونَهُ النُهى

وشابَت ولَم تَبلُغْ مَداهُ المَفارِقُ

وأعظَمُ ما تَرجوهُ ما لا تَنالُهُ

وأكثرُ مَنْ تَلقاهُ مَنْ لا يوافِقُ

وَمَا كُلُّ مَنْ حَدَّ الرَّوِيَّةَ حَازِمٌ

وَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّوِيَّةَ فَارِقُ

أَضَعْتُ زَمَانِي بَيْنَ قَوْمٍ لَوَانَّنِي

بِهِم غَيرَهُم ما أرهَقَتنى البَوائقُ

فإن أكُ مُلقَى الرَحلِ فيهِم فإنّنى

لَهُمْ بالْخِلالِ الصّالِحاتِ مُفَارِقُ

مَعَاشِرُ سادُوا بِالنِّفَاقِ، وَمَا لَهُمْ

أُصُولٌ أَظَلَّتْهَا فُرُوعٌ بَوَاسِقُ

فَأَعْلَمُهُمْ عِنْدَ الْخُصُومَةِ جاهِلٌ

وأَتْقَاهُمُ عِنْد الْعَفَافَةِ فَاسِقُ

طَلاقَةُ وَجْهٍ تَحْتَهَا الْغَيْظُ كَاشِرٌ

وَنَغْمَةُ وُدٍّ بَيْنَهَا الْغَدْرُ نَاعِقُ

وأخلاقُ صِبيانٍ إذا ما بَلوتَهُم

عَلِمْتَ بِأَنَّ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ نَافِقُ

تَعَلَّمتُ كَظمَ الغيظِ فيهِم ، وإنَّهُ

لَحِلمٌ ، ولَكِن لِلحَفيظةِ ماحِقُ

دَعونِي إلى الجُلَّى ، فَقُمتُ مُبادِراً

وإنِّي إلى أمثالِ تلكَ لَسابِقُ

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الْجِدُّ سَاقُوا حُمُولَهُمْ

إلى حيثُ لو يَبلُغهُ حادٍ وسائقُ

فَلا رَحِمَ اللهُ امرأً باعَ دِينَهُ

بِدُنيا سِواهُ وهوَ لِلحقِّ رامِقُ

عَلَى أَنَّنِي حَذَّرْتُهُمْ غِبَّ أَمْرِهِمْ

وأنذرتهم لو كان يفقهُ مائقُ

وَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا عَنِ الشَّرِّ تَغْنَمُوا

فَلِلشرِّ يومٌ -لامَحالةَ- ماحِقُ

فَظَنُّوا بِقولِي غَيرَ ما فِي يَقينِهِ

عَلَى أَنَّنِي فِي كُلِّ مَا قُلْتُ صَادِقُ

فَهَلْ عَلِمُوا أَنِّي صَدَعْتُ بِحُجَّتِي

وَقَدْ ظَهَرَتْ بَعْدَ الْخَفَاءِ الْحَقَائِقُ؟

فتبًّا لَهُم مِن مَعشَرٍ ليسَ فيهمً

رَشِيدٌ، وَلَا مِنْهُمْ خَلِيلٌ مُصَادِقُ

ظَنَنْتُ بِهِمْ خَيْراً، فَأُبْتُ بِحَسْرَةٍ

لَها شجنٌ بينَ الجوانحِ لاصِقُ

فياليتنِى راجَعتُ حِلمِى ، ولم أكن

زعيماً ، وعاقَتنِى لِذاكَ العوائقُ

وَيَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ فِي رَأْسِ

شَاهِقٍ

ولم أرى ما آلت إليهِ الوثائقُ

هُمُ عَرَّضُونِي لِلْقَنَا ، ثُمَّ أَعْرَضُوا

سِراعاً ولم يَطرُق منِ الشرِّ طارِقُ

وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا ، فَمَا بَدَا

سنا الفجرِ إلَّا وَالنِساءُ طَوالِقُ

مَضَوْا غَيْرَ مَعْذُورِينَ، لَا النَّقْعُ

سَاطِعٌ

وَلَا الْبيضُ فِي أَيْدِي الْكُمَاةِ دَوَالِقُ

وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبْأَةٌ ، فَتَفَرَّقُوا

كَمَا انْقَضَّ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ

فَكَمْ آبِقٍ تَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ طَارِدٍ

وَكَم وَاقِفٍ تَلقاهُ والعقلُ آبِقُ

إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصاً يَقُولُونَ جَحْفَلٌ

وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ

أُسودٌ لَدى الأبياتِ بينَ نسائِهِمْ

وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَانِقُ

إذا المرءُ لم يَنهَض بقائمِ سَيفِهِ

فيا ليتَ شِعرِي ، كيفَ تُحمَى الحقائقُ

؟

مرثية البارودي في صديقه أحمد فارس الشدياق.

عندما طالت سنوات النفي و بدأت الأخبار المفجعة تغدو إليه مثل : وفاة زوجته ثم بعض من ابناءه و اصدقاءه ، فكان يرثيهم بقصائد تخص كل واحد منهم و منها قصيدته التي نظمها في صديقه الأديب اللغوي أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤–١٨٨٨) .

مَتَى يَشْتَفِي هَذَا الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ

وفى كلِّ يومٍ راحلٌ ليس يَرجِعُ ؟

تَمِيلُ مِنَ الدُّنيَا إِلَى ظِلِّ مُزْنَةٍ

لَهَا بَارِقٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ

وكيف يَطيبُ العيشُ والمرءُ قائمٌ

على حذَرٍ مِنْ هَولِ ما يتوقَّعُ ؟

بِنَا كُلَّ يَوْمٍ لِلْحَوَادِثِ وَقْعَةٌ

تَسِيلُ لَهَا مِنَّا نُفُوسٌ وَأَدْمُعُ

فَأَجْسَادُنَا فِي مَطْرَحِ الأَرْضِ هُمَّدٌ

وَأَرْوَاحُنَا فِي مَسْرَحِ الجَوِّ رُتَّعُ

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّا نُسَاءُ وَنَرْتَضِي

وَنُدْرِكُ أَسْبَابَ الفَنَاءِ وَنَطْمَعُ

وَلَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ عُقْبَانَ أَمْرِهِ

لَهَانَ عَلَيْهِ مَا يَسُرُّ وَيَفْجَعُ

تَسِيرُ بِنَا الأَيَّامُ، وَالْمَوْتُ مَوْعِدٌ

وَتَدْفَعُنَا الأَرْحَامُ، وَالأَرْضُ تَبْلَعُ

عفاءٌ على الدُّنيا ، فما لِعداتِها

وَفَاءٌ، وَلَا فِي عَيْشِهَا مُتَمَتَّعُ

أَبعدَ سميرِ الفضلِ " أحمدَ فارسٍ "

تَقِرُّ جُنُوبٌ، أَوْ يُلائِمُ مَضْجعُ ؟

كَفى حَزناً أنَّ النوى صَدَعَتْ بِهِ

فؤاداً مِنَ الحِدثانِ لا يَتَصدَّعُ

وَمَا كُنْتُ مِجْزَاعاً ، وَلَكِنَّ ذَا الأَسَى

إِذَا لَمْ يُسَاعِدْهُ التَّصبُّرُ يَجْزَعُ

فَقدناهُ فِقدانَ الشَّرابِ على الظما

فَفِي كُلِّ قَلبٍ غُلَّةٌ ليسَ تُنقَعُ

وأىُّ فُؤادٍ لَمْ يَبِتْ لِمُصابِهِ

عَلَى لَوْعَةٍ، أَوْ مُقْلَةٍ لَيْسَ تَدْمَعُ؟

إذا لَمْ يَكُنْ لِلدَمعِ فى الخَدِّ مَسربٌ

رَوِيَّ فَمَا لِلْحُزْنِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعُ

مَضَى، وَوَرِثْنَاهُ عُلُوماً غَزِيرَةً

تَظَلُّ بِها هِيمُ الخَواطِرِ تَشرَعُ

إذا تُلِيَتْ آياتُها فى مَقامة

تَنافَسَ قَلبٌ فى هَواها ومِسمَعُ

سَقَى جَدَثاً فى أرضِ "لُبنانَ"

عارِضٌ

مِنَ الْمُزْنِ فَيَّاضُ الْجَداوِلِ مُتْرَعُ

فَإِنَّ بِهِ لِلْمَكْرُمَاتِ حُشَاشَةً

طَوَاهَا الرَّدَى ، فَالْقَلْبُ حَرَّانُ

مُوجَعُ

فَإِنْ يَكُنِ «الشِّدْيَاقُ» خَلَّى مَكَانَهُ

فَإِنَّ ابْنَهُ عَنْ حَوْزَةِ الْمَجْدِ يَدْفَعُ

وما ماتَ مَن أبقى عَلى الدَهرِ فاضِلاً

يُؤَلِّفُ أَشْتَاتَ الْمَعَالِي وَيَجْمَعُ

رَزِينُ حَصاةِ الحِلمِ ، لا يَستَخِفهُ

إِلَى اللَّهْوِ طَبْعٌ ، فَهْوَ بِالْجِدِّ مُولَعُ

تَلوحُ عَلَيهِ من أَبيهِ شَمائِلٌ

تَدُلُّ عَلَى طِيبِ الْخِلَالِ ، وَتَنْزِعُ

فَصبراً جَميلاً "يا سليمُ" فإنّما

يُسِيغُ الْفَتَى بِالصَّبْرِ مَا يَتَجَرَّعُ

إذا المرءُ لَمْ يَصبِر على ما أصابهُ

فماذا تُراهُ فى المُقَدَّرِ يَصنَعُ ؟

وَمِثْلُكَ مَنْ رَازَ الأُمُورَ بِعَقْلِهِ

وَأَدْرَكَ مِنْهَا مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

فَلاَ تُعْطِيَنَّ الْحُزْنَ قَلْبَكَ، وَاسْتَعِنْ

عَلَيهِ بِصبرٍ، فَهوَ فى الحُزنِ أنجَعُ

وَهَاكَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبَةً

إِلَى النَّفْسِ، يَدْعُوهَا الْوَفَاءُ فَتَتْبَعُ

رَعَيْتُ بِهَا حَقَّ الْوِدَادِ عَلى النَّوَى

وِللحَقِّ فى حُكمِ البَصيرةِ مَقطَعُ

قصيدة البارودي السياسيه لمصر وأهلها.

بدأت قصائد البارودي السياسية وهو على وشك الثلاثين من العمر .

عندما كانت مصر تعاني من ثقل الديون الأجنبية التي كبلها بها الخديوي إسماعيل (١٨٣٠-١٨٩٥) أثناء فترة كمه ما بين (١٨٦٣-١٨٧٩) مما أدى إلى خلعه عن العرش . حيث كانت كل من فرنسا وبريطانيا تضغطان على مصر وتتدخلان في شؤونها . وفي هذه الفترة السافرة من التدخل جعلت البارودي أن يترك حياة الدعة واللهو وما يتعلق بذلك من شعر الغزل والخمر والجيد الحسان، لينظم شعراً يجابه به مشاكل الواقع، وفي هذا الصدد يقول :

متى أنتَ عَن أحموقةِ الغىِّ نازِعُ

وفى الشَّيبِ للنَّفسِ الأبيَّةِ وازِعُ ؟

أَلَا إِنَّ فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً

لِكُلِّ أَخِي لَهْوٍ عَنِ اللَّهْوِ رَادِعُ

فحتامُ تصبيكَ الغوانى بدلِّها

وتَهْفُو بِلِيتَيْكَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ ؟

أما لكَ فى الماضينَ قبلكَ زاجرٌ

يَكُفُّكَ عن هذا ؟ بلى ، أنتَ طامِعُ

وَهَلْ يَسْتَفِيقُ الْمَرْءُ مِنْ سَكْرَةِ الصِّبَا

إذا لم تُهذِّب جانبيهِ الوقائعُ ؟

يَرَى الْمَرْءُ عُنْوَانَ الْمَنُونِ بِرَأْسِهِ

ويذهبُ يُلهى نفسَهُ ويصانِعُ

أَلا إِنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي عَقَارِبٌ

تَدِبُّ، وَهَذَا الدَّهْرُ ذِئْبٌ مُخَادِعُ

فلا تحسبنَّ الدَّهرَ لعبةَ هازلٍ

فما هوَ إلَّا صرفهُ والفجائعُ

فَيَا رُبَّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهْوَ آمِنٌ

وأصبحَ قَد سُدَّت عليهِ المطالِعُ

ففيمَ اقتناءُ الدِّرعِ والسَّهمُ نافِذٌ ؟

وَفِيمَ ادِّخَارُ الْمَالِ وَالْعُمْرُ ضَائِعُ ؟

يَودُّ الفتى أن يَجمعَ الأرضَ كُلَّها

إليهِ ، ولَمَّا يدرِ ما اللهُ صانِعُ

فَقَدْ يَسْتَحِيلُ الْمَالُ حَتْفاً لِرَبِّهِ

وَتَأْتِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَطَامِعُ

أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا

فَيُحْرَمُ ذُو كَدٍّ، وَيُرْزَقُ وَادِعُ

فَلَا تَقْعُدَنْ لِلدَّهْرِ تَنْظُرْ غِبَّهُ

عَلَى حَسْرَةٍ، فَاللَّهُ مُعْطٍ وَمَانِعُ

فَلَوْ أَنَّ مَا يُعْطَى الْفَتَى قَدْرُ نَفْسِهِ

لَمَا بَاتَ رِئْبَالُ الشَّرَى وَهْوَ جَائِعُ

وَدَعْ كُلَّ ذِي عَقْلٍ يَسِيرُ بِعَقْلِهِ

يُنَازِعُ مِنْ أَهْوَائِهِ مَا يُنَازِعُ

فما النَّاسُ إلاَّ كالَّذى أنا عالمٌ

قَدِيماً ، وَعِلْمُ الْمَرْءِ بالشَّيءِ نَافِعُ

ولستُ بِعلاَّمِ الغيوبِ ، وإنَّما

أَرَى بِلحَاظِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعُ

وَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ، إنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ

لَهُمْ بَيْنَهَا عَمَّا قَلِيلٍ مَصَارِعُ

فَلَوْ عَلِمَ الإِنسَانُ مَا هُوَ كَائِنٌ

لما نامَ سُمَّارٌ ، ولا هبَّ هاجِعُ

وما هذِهِ الأجسامُ إلاَّ هياكلٌ

مُصوَّرَةٌ ، فيها النُّفوسُ ودائعُ

فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الْأَقْدَمُونَ تَسَنَّمُوا

قِلَالَ الْعُلَا؟ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بَلَاقِعُ

مَضَوْا، وَأَقَامَ الدَّهْرُ، وَانْتَابَ بَعْدَهُمْ

مُلُوكٌ، وَبَادُوا، وَاسْتَهَلَّتْ طَلَائِعُ

أَرَى كُلَّ حَيٍّ ذَاهِباً بِيَدِ الرَّدَى

فَهَلْ أَحَدٌ مِمَّنْ تَرَحَّلَ رَاجِعُ؟

أُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ، أَسْأَلُ عَنْهُمُ

فَهَلْ أَنْتَ يَا دَهْرَ الْأَعَاجِيبِ سَامِعُ

؟

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ نِدَاءً، وَلَمْ تُحِرْ

جَوَاباً، فَأَيُّ الشَّيْءِ أَنْتَ أُنَازِعُ؟

خيالٌ لَعمرى ، ليسَ يُجدى طِلابهُ

وَمَأْسَفَةٌ تُدْمَى عَلَيْهَا الأَصَابعُ

فَمَنْ لِي وَرَوْعَاتُ الْمُنَى طَيْفُ حَالِمٍ

بِذِي خُلَّةٍ تَزْكُو لَدَيْهِ الصَّنَائعُ ؟

أُشاطِرُهُ وِدِّى ، وأُفضى لِسمعِهِ

بِسرِّى ، وأُمليهِ المُنى وهو رابِعُ

لَعَلِّى إذا صادفتُ فى القولِ راحةً

تَضَحْتُ غَلِيلاً مَا رَوَتْهُ الْمَشَارِعُ

لَعَمْرُ أَبِي ، وهْوَ الَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ

لما اختالَ فخَّارٌ ، ولا احتالَ خادِعُ

لما نازعتنى النّفسُ فى غيرِ حقّها

ولَا ذَلَّلَتْنِي لِلرِّجَالِ الْمطَامِعُ

ومَا أَنَا والدُّنْيَا نَعِيمٌ ولَذّةٌ

بِذِي تَرَفٍ تَحْنُو عَلَيْهِ الْمَضَاجِعُ

فلا السيفُ مَفلولٌ، ولا الرَّأْىُ

عازبٌ

ولَا الزَّنْدُ مَغْلُولٌ، ولَا السَّاقُ ظَالِعُ

ولَكِنَّنِي فِي مَعْشَرٍ لَمْ يَقُمْ بِهِمْ

كَرِيمٌ، ولَمْ يَرْكَبْ شَبَا السَّيْفِ خَالِعُ

لواعبُ بالأسماءِ يبتدِرونها

سَفَاهاً، وبالألقابِ، فهى بضائعُ

وهلْ فِي التَّحَلِّي بِالْكُنَى مِنْ فَضِيلَةٍ

إذا لم تزيَّن بالفعالِ الطبائعُ ؟

أُعاشِرُهُمْ رَغْماً ، وَوُدِّي لَوَانَّلي

بِهِمْ نَعَما أَدْعُوبِهِ فَيُسَارِعُ

فيا قومُ ، هبُّوا ، إنَّما العُمرُ فرصةً

وفى الدهرِ طُرقٌ جَمَّةٌ ومنافِعُ

أَصَبْراً عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمُ

عديدُ الحصى ؟ إنِّى إلى اللهِ راجِعُ

وَكَيْفَ تَرَوْنَ الذُّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ

وذلكَ فضلُ اللهِ فى الأرضِ واسِعُ

أرى أرؤساً قَد أينعتْ لِحصادِها

فَأَينَ وَلا أَينَ السُّيُوفُ القَواطِعُ ؟

فكونوا حصيداً خامدينَ ، أوِ افزعوا

إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَدْفَعَ الضَّيْمَ دَافِعُ

أهبتُ ، فعادَ الصَوتُ لم يَقضِ حاجةً

إلىَّ ، ولبَّانى الصَدى وهوَ طائعُ

فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللَّه صوَّرَ قَبْلَكُمْ

تماثيلَ لم يُخلَقْ لَهُنَّ مسامِعُ

فلا تَدعوا هَذى القلوبَ ، فإنَّها

قوارِيرُ مَحنىٌّ عليها الأضالِعُ

وَدُونَكُمُوهَا صَعْدَةً مَنْطِقِيَّةً

تَفُلُّ شَبَا الأَرْمَاحِ وَهْيَ شَوَارِعُ

تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ

وتلتفُّ من شوقٍ إليها المجامعُ

فَمِنْهَا لِقَوْمٍ أَوْشُحٌ وَقَلَائِدٌ

ومنها لِقومٍ آخرينَ جوامعُ

أَلَا إِنَّهَا تِلْكَ الَّتِي لو تنزَّلت

على جبلٍ أهوت بهِ، فهو خاشِعُ

قصيدة البارودي بعد هجره للسياسة.

بعد ما أصاب البارودي اليأس والقنوط تجاه ما وصلت وآلت إليه حياته، حيث لم يحقق ما كان يرنو ويتمناه في الحكم من الحرية والديموقراطية وبسط العدل والمساواة؛ كما وأنه قد دفع ثمن كبيراً جراء اشتراكه في الثورة العرابية. لذلك قرر هجر السياسة تماماً، لاسيما وأن توسلاته المتكررة بالعودة إلى الوطن قد خابت وتلاشت. وهكذا اعتكف على كتابة الأشعار التي جعلها مسرحاً يعرض فيها أمجاده الماضية تارة. وهجومه الهجائي الحاد على رجال السلطة تارة أخرى. وما بين هذا وذاك فقد كان البارودي يترنح حزناً وألماً وضيقاً :

لِمَ يَهْفُو بِحِلْمِكَ الطَّرَبُ ؟

أبعد خمسين فى الصبا أربُ ؟

هيهات ولى الشبابُ، واقتربتْ

سَاعَةُ وِرْدٍ دَنَا بِها الْقَرَبُ

فليس دون الحِمامِ مبتعدٌ

وَلَيْسَ نَحْوَ الحَياةِ مُقْتَرَبُ

كلُّ امرئٍ سائرٌ لمنزلةٍ

لَيْسَ لَهُ عَنْ فِنائِها هَرَبُ

وساكنٌ بينَ جيرةٍ قذَفٍ

لا نَسَبٌ بَيْنَهُمْ، ولا قُرَبُ

فِي قَفْرَةٍ لِلصِّلالِ مُزْدَحَفٌ

فِيها، وِللضّارِياتِ مُضْطَرَبُ

وشاهدٌ موقفاً يُدانُ بِهِ

فَالوَيْلُ لِلظَّالِمِينَ والْحَرَبُ

فارباً يفاعاً ، أو اتّخذ سرباً

إنْ كانَ يُغْنِي الْيَفَاعُ والسَّرَبُ

لا الْبَازُ يَنْجُو مِنَ الْحِمامِ، ولاَ

يخلُصُ منهُ الحمامُ والخربُ

مسلَّطٌ فى الورىَ : فلا عجمٌ

يَبْقَى عَلَى فَكِّهِ، ولاَ عَرَبُ

فَكَمْ قُصُورٍ خَلَتْ، وكَمْ أُمَمٍ

بادت ، فغصَّت بجمعها التُّربُ

فمنزلٌ عامرٌ بقاطنِهِ

ومنزلٌ بعدَ أهلِهِ خربُ

يغدو الفتى لاهياً بعيشتهِ

وليس يدري ما الصّابُ والضربُ

ويقتني نبعةً يصيدُ بها

ونبعُ من حاربَ الرّدى غربُ

لا يبْلُغُ الرّيحَ أوْ يفارِقَهُ

كما تحِ خانَ كفَّهُ الكربُ

يا وارِداً لا يملُّ مَوْرِدَهُ

حذارِ من أن يصيبكَ الشّربُ

تَصْبُو إلى اللّهْوِ غيْرَ مُكْتَرِثٍ

واللّهوُ فيهِ البوارُ والتّربُ

وتتركُ البرَّ غيرَ محتسبٍ

أجراً ، وبالبرِّ تُفتَحُ الأربُ

دَعِ الحُمَيَّا ، فَلِابْنِ حانَتِهَا

من صدمَةِ الكأسِ لهذمٌ ذرِبُ

تَرَاهُ نُصْبَ الْعُيُونِ مُتَّكِئاً

وعقلهُ فى الضلال مغتربُ

فبئستِ الخمرُ من مخادعةٍ

لسلمها فى القلوبِ محترِبُ

إِذا تَفَشَّتْ بِمُهْجَةٍ قَتَلَتْ

كما تفشّى فى المبركِ الجرَبُ

فتب إلى الله قبلَ مندَمَةٍ

تَكْثُرُ فيها الْهُمُومُ والْكُرَبُ

واعْتَدْ عَلَى الْخَيْرِ، فَالْمُوَفَّقُ مَنْ

هذَّبَهُ الاعتيادُ والدَّرَبُ

وجد بما قَدْ حوَتْ يداكَ، فمَا

ينفَعُ تَمَّ اللُّجينُ والغرَبُ

فَإِنَّ لِلدَّهْرِ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ

قَوْساً مِنَ الْمَوْتِ سَهْمُهَا غَرَبُ

قال في الغزل:

إطربتْ، وَلولاَ الحلمُ أدركني الجهلُ

وَعَاوَدَنِي مَا كَانَ مِنْ شِرَّتِي قَبْلُ

فَرُحْتُ، كَأَنِّي خَامَرَتْنِي سَبِيئَةٌ

مِنَ الرَاحِ، منْ يعلقْ بها الدهرَ لا يسلو

سَلِيلَةُ كَرْمٍ، شَابَ فِي المَهْدِ رَأْسُهَا

وَدبَّ لَها نسلٌ، وَما مسها بعلُ

إِذَا وَلَجَتْ بَيْتَ الضَّمِيرِ، رَأَيْتَهَا

وراءَ بناتِ الصدرِ، تسفلُ، أو تعلو

كَأَنَّ لَهَا ضِغْناً عَلَى الْعَقْلِ كَامِناً

فَإِنْ هِيَ حَلَّتْ مَنْزِلاً رَحَلَ الْعَقْلُ

تعبرُ عنْ سرِّ الضميرِ بألسنٍ

منَ السكرِ مقرونٍ بصحتها النقلُ

مُحَبَّبَةٌ لِلنَّفْسِ، وَهْيَ بَلاؤُها

كَمَا حُبِّبَتْ فِي فَكِّهَا الأَعْيُنُ النُجْلُ

يَكَادُ يَذُودُ اللَّيْثَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ

إِذَا ما تَحَسَّى كَأْسَهَا الْعَاجِزُ الْوَغْلُ

تَرَى لِخَوَابِيهَا أَزِيزاً، كَأَنَّهَا

خَلَايَا تَغَنَّتْ فِي جَوَانِبِهَا النَّحْلُ

سَوَاكِنُ آطَامٍ، زَفَتْهَا مَعَ الضُّحَى

يدا عاسلٍ يشتارُ، أَوْ خابطٍ يفلو

دنا ، ثمَّ ألقى النارَ بينَ بيوتها

فطارتْ شعاعاً ، لا يقرُّ لها رحلُ

مروعةٌ ، هيجتْ ، فضلتْ سبيلها

فَسَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا ، كَمَا انْتَشَرَ

الرِّجْلُ

فبتُّ أداري القلبَ بعضَ شجونِهِ

وأَزْجُرُ نَفْسِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا الْهَزْلُ

وَما كنتُ أدري – وَالشبابُ

مطيةٌ

إلى الجهلِ – أنَّ العشقَ يعقبُهُ الخبلُ

رمى اللهُ هاتيكَ العيونَ بما رمتْ

وَحاسبها حسبانَ منْ حكمهُ العدلُ

فَقَدْ تَرَكَتْنِي سَاهِيَ الْعَقْلِ، سَادِراً

إِلَى الغَيِّ، لاَ عَقْدٌ لَدَيَّ، وَلاَ حَلُّ

أَسِيرُ، وَمَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَنْتَهِي

بِيَ السَّيْرُ، لَكِنِّي تَلَقَّفَنِي السُّبْلُ

فَلاَ تَسْأَلَنِّي عَنْ هَوَايَ؛ فَإِنَّنِي

وَرَبِّكَ أَدْرِي كَيْفَ زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ؟

فَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ نَظَرْتُ فُجَاءَةً

بِحلوانَ حيثُ انهارَ، وَانعقدَ الرملُ

إِلَى نِسْوَةٍ مِثْلِ الْجُمَانِ، تَنَاسَقَتْ

فرائدهُ حسناً، وَألفهُ الشملُ

منَ الماطلاتِ المرءَ ما قدْ وعدنهُ

كذاباً ؛ فلا عهدٌ لهنَّ ، وَلاَ إلُّ

تكنفنَ تمثالاً منَ الحسنِ رائعاً

يُجَنُّ جُنُوناً عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْعَقْلُ

فكانَ الذي لولاهُ ما درتُ هائماً

أَرُودُ الْفَيَافِي ، لاَ صَدِيقٌ ، وَلاَ خِلُّ

فويلمها منْ نظرةٍ مضرجيةٍ

رُمِيتُ بِهَا مِنْ حَيْثُ وَاجَهَنِي الأَثْلُ

رُمِيتُ بِهَا وَالْقَلْبُ خِلْوٌ مِنَ الْهَوَى

فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ شُغْلُ

لقدْ علقتْ ما ليسَ للنفس دونها

غَنَاءٌ، ولاَ مِنْهَا لِذِي صَبْوَةٍ وَصْلُ

فَتَاةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ في قَسَمَاتِهَا

لها منظرٌ منْ رائدِ العينِ لا يخلو

لَطِيفَةُ مَجْرَى الرُّوحِ، لَوْ أَنَّهَا مَشَتْ

عَلَى سَارِبَاتِ الذَّرِّ مَا آذَهُ الْحِمْلُ

لها نظرةٌ سكرى، إذا أرسلتْ بها

إلى كبدٍ ؛ فالويلُ منْ ذاكَ وَالثكلُ

تُريقُ دِمَاءً حَرَّمَ اللهُ سَفْكَهَا

وتَخْرُجُ مِنْهَا، لاَ قِصَاصٌ، ولا عَقْلُ

لنا كلَّ يومٍ في هواها مصارعٌ

يهيجُ الردى فيها ، وَيلتهبُ القتلُ

مصارعُ شوقٍ ، ليس يجري بها دمٌ

وَمرمى نفوسٍ لا يطيرُ بِهِ نبلُ

هنيئاً لها نفسي ، على أنَّ دونها

فوارسَ ، لا خرسُ الصفاحِ ، وَلا عزلُ

مِنَ الْقَوْمِ ضَرَّابِي الْعَرَاقِيبِ وَالطُّلَى

إِذَا اسْتَنَّتِ الْغَارَاتُ ، أَوْ فَغَرَ الْمَحْلُ

إِذَا نَامَتِ الأَضْغَانُ عَنْ وَتَرَاتِهَا

فَقَوْمِي قَوْمٌ لا يَنَامُ لَهُمْ ذَحْلُ

رجالٌ أولو بأسٍ شديدٍ ونجدةٍ

فقَوْلُهُمُ قَوْلٌ، وفِعْلُهُمُ فِعْلُ

إذَا غَضِبُوا رَدُّوا إلَى الأُفْقِ شَمْسَهُ

وَسالَ بدفاعِ القنا الحزنُ والسهلُ

مساعيرُ حربٍ، لا يخافونَ ذلةً

ألا إنَّ تهيابَ الحروبِ هوَ الذلُّ

إذا أطرقوا أبصرتَ، بالقومِ خيفةً

لإطراقهمْ، أوْ بينوا ركدَ الحفلُ

وَإنْ زلتِ الأقدامُ في درْكِ غايةٍ

تَحَارُبَهَا الأَلْبَابُ كَانَ لَهَا الْحَصْلُ

أولئكَ قومي ، أيَّ قومٍ وعدةٍ

فلا ربعهمْ محلٌ ، وَلاَ ماؤهمْ ضحلُ

يَفِيضُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيْضاً ، فَلَيْسَ

فِي

عطائهمُ وعدٌ ، وَلاَ بعدهُ مطلُ

فزرهمْ تجدْ معروفهمْ دانيَ الجنى

عَلَيْكَ، وَبابَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ قُفْلُ

تَرَى كُلَّ مَشْبُوبِ الْحَمِيَّةِ ، لَمْ يَسِرْ

إِلَى فِئَةٍ إِلاَّ وَطَائِرُهُ يَعْلُو

بَعِيدُ الْهَوَى ، لاَ يَغْلِبُ الظَّنُّ رَأْيَهُ

وَلاَ يتهادى بينَ تسراعهِ المهلُ

تصيحُ القنا مما يدقُّ صدورها

طِعَاناً، وَيَشْكُو فِعْلَ سَاعِدِهِ النَّصْلُ

إِذَا صَالَ رَوَّى السَّيْفُ حَرَّ غَلِيلِهِ

وَإِنْ قَالَ أَورَى زَنْدَهُ الْمَنْطِقُ الْفَصْلُ

لَهُ بَيْنَ مَجرى القولِ آياتُ حكمةٍ

يَدُورُ عَلَى آدَابِهَا الْجِدُّ وَالْهَزْلُ

تلوحُ عليهِ منْ أبيهِ وجدهِ

مَخَايِلُ سَاوَى بَيْنَهَا الْفَرْعُ وَالأَصْلُ

فَأَشْيَبُنَا فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ أَمْرَدٌ

وَأَمردنا في كلّ معضلةٍ كهلُ

لَنَا الْفَصْلُ فِيمَا قَدْ مَضَى ، وَهْوَ

قَائِمٌ

لَدَيْنَا ، وَفِيمَا بَعْدَ ذَاكَ لَنَا الْفَضْلُ

قصيدة مَضَى اللَّهْوُ، إِلَّا أَنْ يُخَبِّرَ سَائِلُ.

مَضَى اللَّهْوُ، إِلَّا أَنْ يُخَبِّرَ سَائِلُ

وَوَلَّى الصِّبَا إِلَّا بَوَاقِ قَلَائِلُ

بَوَاقٍ تَمَارِيهَا أَفَانِينُ لَوْعَةٍ

يُورِثُهَا فِكْرٌ عَلَى النَّأْيِ شَاغِلُ

فَلِلشَّوْقِ مِنِّي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ

وَخَبْلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّونَ خَابِلُ

أَلِفْتُ الضَّنَى إِلْفَ السُّهَادِ، فَلَوْ

سَرَى

بِيَ الْبُرْءُ غَالَتْنِي لِذَاكَ الْغَوَائِلُ

فللهِ هذا الشوقُ ! أيَّ جراحةٍ

أسالَ بنا ؟ حتى كأنا نقاتلُ

رضينا بحكمِ الحبِّ فينا ، وَإننا

للدٌّ إذا التفتْ علينا الجحافلُ

وَإِنّا رِجَالٌ تَعْلَمُ الْحَرْبُ أَنَّنَا

بنوها ، وَيدري المجدُ ماذا نحاولُ

إذا ما ابتنى الناسُ الحصونَ ، فمالنا

سِوَى الْبِيضِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ مَعَاقِلُ

فما للهوى يقوى عليَّ بحكمِهِ ؟

أَلَمْ يَدْرِ أَنِّي الشَّمَّرِيُّ الْحُلاَحِلُ ؟

وَإِني لثبتُ الجأشِ ، مستحصدُ

القوى

إذا أخذتْ أيدي الكماةِ الأفاكلُ

إِذَا مَا اعْتَقَلْتُ الرُّمْحُ وَالرُّمْحُ

صاحِبِي

عَلَى الشَّرِّ قَالَ الْقِرْنُ: إِنِّي هَا زِلُ

لَطَاعَنْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ مُطَاعِنٍ

وَنَازَلْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَازِلُ

وَشَاغَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنِّي بِعَزْمَةٍ

أَرَتْنِي سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالْغَيُّ حَائِلُ

إذا أنتَ أعطتكَ المقاديرُ حكمها

فأضيعُ شيءٍ ما تقولُ العواذلُ

وَمَا الْمَرْءُ إِلاَّ أَنْ يَعِيشَ مُحَسَّدَاً

تَنَازَعُ فِيهِ النَّاحِذَيْنِ الْأَنَامِلُ

لَعَمْرُكَ مَا الأَخْلاَقُ إِلاَّ مَوَاهِبٌ

مقسمةٌ بينَ الورى، وفواضلُ

وَما الناسُ إِلاَّ كادحانِ: فعالمٌ

يسيرُ على قصدٍ، وَآخرُ جاهلُ

فذو العلمِ مأخوذٌ بأسبابِ علمهِ

وَذُو الْجَهْلِ مَقْطُوعُ الْقَرِينَةِ جَافِلُ

فلا تطلبنْ في الناس مثقالَ ذرةٍ

مِنَ الْوُدِّ؛ أُمُّ الْوُدِّ فِي النَّاسِ هابِلُ

منَ العارِ أن يرضى الفتى غيرَ طبعِهِ

وَأَنْ يَصْحَبَ الإِنْسَانُ مَنْ لاَ يُشَاكِلُ

بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طُرّاً، فَلَمْ يَكُنْ

سوى "المرصفيِّ" الحبرِ في الناس

كاملُ

همامٌ أراني الدهرَ في طيِّ بردِه

وَفَقَّهَنِي حَتَّى اتَّقَتْنِي الأَمَاثِلُ

أَخٌ حينَ لا يبقى أَخٌ، ومجاملٌ

إذا قلَّ عندَ النائباتِ المجاملُ

بعيدُ مجالِ الفكرِ، لوْ خالَ خيلةً

أَرَاكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الدَّهْرُ فَاعِلُ

طَرَحْتُ بَنِي الأَيَّامِ لَمَّا عَرَفْتُهُ

وَما الناسُ عندَ البحثِ إلَّا مخايلُ

فلوْ سامني ما يوردُ النفسَ حتفها

لأَوْرَدْتُهَا؛ وَالْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ

فَلَا بَرِحَتْ مِنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ

تناقلها عني الضحى والأصائلُ

وَلا زالَ غضَ العمرِ، ممتنعَ الذرا

مَرِيعَ الْفِنَا، تُطْوَى إِلَيْهِ الْمَرَاحِلُ

قال البارودي واصفاً :-

قال البارودي هذه القصيدة يصف روضة المقياس بالروضة بمصر ويشتاق لها :

هَل فى الخلاعةِ والصِبا من باسِ
بيْنَ الْخَلِيجِ وَرَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ ؟

أرضٌ كساها النيلُ مِن إبداعهِ
وِلباسِهِ الْمَوْشِيِّ أَيَّ لباسِ

فَكَأَنَّمَا هَوَتِ الْمجرَّةُ بَيْنَهَا
فتشكلت فى جُملةِ الأغراسِ

يَتَلَهَّبُ النُّوَّارُ فِي أَطْرَافِها
فَتَخَالُهُ قَبَساً مِنَ الأَقْبَاسِ

لَوْلاَ مِسَاسُ الظِّلِّ أَحْرَقَ ضَوْؤُهُ

ديلَ الخمائلِ : رَطِبِها والعاسى

تَصْبُو الْعُيُونُ إِلَى سَنَاهُ، فَتَرْتَمِي

مَهوى الفراشةِ لامِعُ النبراسِ !

تَوشامَ بَهجتها وحُسنَ رُوائها

فيما أَظنُّ لحارَ عقلُ إِياسِ

مَلْهَى أَخِي طَرَبٍ، وَمَلْعَبُ صَبْوَةٍ

وَتَرَى بُلَهْنِيَةٍ، وَدَارُ أُناسِ

مَا كُنْتُ فِي عُمْرِي لأَغْدُو نَحْوهَا

حَتى أَبِيتَ بِها صَرِيعَ الْكَاسِ

يا ساقيّ ، تنبّها ، فلقدْ بدَا

فَلَقُ الصّبَاحِ، ولاَتَ حِينَ نُعَاسِ

طُوفَا عَلَيَّ بِها ، فَقَدْ نَمَّ الصّبَا

أَثْنَاءَ رَوْحَتِهِ بِسِرِّ الآسِ

مِنْ خَمْرَةٍ أَفْنَى الزّمَانُ شَبَابَهَا

فِي مُخْدَعٍ بِقَرَارَةِ الدّيْمَاس

حُبِسَتْ عَنِ الأَبصَارِ، حَتَّى إِنَّهَا

لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الدّيْرِ والشّماس

يَنْزُو لِوَقْعِ الْمَاءِ دُرُّ حَبَابِها

نَزْوَ المَعَابِلِ طِرْنَ عَنْ أَقواس

فَإِذَا تَعَاوَرَهَا الْمِزَاجُ تَوَجَّسَتْ

حَذَرَ الْمَهَانَةِ أَيَّمَا إِيجَاسِ

تَشْتَفُّ مِن تَحْتِ الحَبَاب، كَأَنَّها

يَاقُوتَةٌ قَدْ رُصِّعَتْ بِالْمَاسِ

مَا حُلَّ بَيْنَ القَوم عَقْدُ وِكَائِها

لِلشُّرْبِ إِلَّا آدَبَتْ بِعُطَاسِ

لَا يَخْدَعَنَّكَ فِي الْمُدَامَةِ جَاهِلٌ

إِنَّ الْمُدَامَةَ نُهْزَةُ الْأَكْيَاسِ

إِنَّ الْمُدَامَ أَسَاسُ كُلِّ طَرِيفَةٍ

فَاجْعَلْ بِنَاءَ اللَّهْوِ فَوْقَ أَسَاسِ

لَا تجمعُ الأَيامُ كيْفَ تَصرَّفتْ

فى القَلب بَينَ الخَمْرِ والوَسواس

فَاسْتَوْثِقَا أَخَوَيَّ مِنْ شَأْنَيْكُمَا

وَذَرَا الْمَطِيَّ تَمُورُ بالإِحْلَاسِ

إِنَّ الْفَلَاةَ لَهَا رِجَالٌ غَيْرُنَا

يبغونَ نيلَ اليُسرِ بالإفلاسِ

إنَّ الغنى والفَقرَ فى هَذا الورى

لَمُقَدَّرٌ ، واللهُ ذو قِسطاسِ

فَعلامَ يُبلى المرءُ جدَّةَ عُمرِه

مُتَقَلِّباً بَيْنَ الرَّجَا وَالْيَاسِ ؟

أَوَلَيْسَ أَنَّ الْعَيْشَ لُبْسُ عَبَاءَةٍ

وَسِدَادُ مَسْغَبَةٍ، وَغُبْبَةُ حَاسِي؟

تاللهِ لو عِلمَ الرِجالُ بِمكرِها

عِلمي لباعوها بِغيرِ مِكاسِ

هِيَ سَاعَةٌ تَمْضِي، وَتَأْتِي سَاعَةٌ

والدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ بِهَذَا النَّاسِ

فَخُذَا مِنَ الأَيَّامِ مَا سَمَحَتْ بِهِ

لِلنَفْسِ قَبْلَ تَعَذُّرٍ وَشِماسِ

وَإِذَا أَرَابَكُمَا الزَّمَانُ بِوَحْشَةٍ

فاستمخِضاهُ اليُسرَ بالإيناسِ

إنَّ الروائمَ لا تدرُّ لَبونُها

إلاَّ بلينِ المسحِ والإبساسِ

فلَرُبَّ صَعْبٍ عادَ سَهْلاً بَعْدَمَا

قُطِعَتْ عَلَيْهِ مَرائِرُ الأَنفاسِ

ما كُلُّ ما طلبَ الفتى هوَ مُدركٌ

إنَّ الأُمورَ بِحِكْمَةٍ وقِياسِ

عَصَيْتُ نَذِيرَ الْحِلْمِ فِي طَاعَةِ الْجَهْلِ

في هذه الأبيات ، يريد البارودي ان يقول بأنه عصى عقله الذي يحذره بشيء مخيف حقا ، وهو إطاعة الجهل وإتباع الهوى . . ويردف بأن فعله هذا قد أغضب عقله المتزن ولكنه يظن بأنه قد يرضي من هواهم من عقله وهي المحبوبة.

عَصَيْتُ نَذِيرَ الْحِلْمِ فِي طَاعَةِ

الْجَهْلِ

وَأَغْضَبْتُ فِي مَرْضَاةِ حُبِّ الْمَهَا

عَقْلِي

وَنَازَعْتُ أَرْسَانَ الْبَطَالَةَ وَالصِّبَا

إِلَى غَايَةٍ لَمْ يَأْتِهَا أَحَدٌ قَبْلِي

فَخُذْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِ لَومِي، فَإِنَّنِي

بِحُبِّ الْغَوَانِي عَنْ مَلَامِكَ فِي شُغْلِ

إِذَا كَانَ سَمْعُ الْمَرْءِ عُرْضَةَ أَلْسُنٍ

فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْخَدِيعَةِ وَالْخَتْلِ

رُوَيْدَكَ، لَا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ

أَصَابَ هَوَى نَفْسٍ؛ فَفِي الدَّهْرِ مَا يُسْلِي

فليستْ بعارٍ صبوةُ المرءِ ذي

الحجا

إذا سلمتْ أخلاقهُ من أذى الخبلِ

وإنّي وإنْ كُنْتُ ابْنَ كَأْسٍ ولَذّةٍ

لَذُو تُدْرإيَوْمَ الْكَرِيهَةِ والْأَزْلِ

وقُورٌ، وأَحْلامُ الرِّجالِ خَفِيفَةٌ

صبورٌ، ونارُ الحربِ مرجلها يغلي

إذَا راعَتِ الظَّلْماءُ غيْري، فإنّما

هلالُ الدجى قوسي، وأنجمهُ نبلي

أنا ابنُ الوغى، والخيلِ، والليلِ،

والظبا

وسُمْرِ الْقَنَا، والرَّأْيِ، والْعَقْدِ، والْحَلِّ

فَقُلْ لِلَّذِي ظَنَّ الْمَعَالي قَرِيبَةً

رويداً ؛ فليسَ الجدُّ يدركُ بالهزلِ

فَمَا تَصْدُقُ الآمَالُ إلَّا لِفَاتِكٍ

إذا همَّ لَمْ تعطفهُ قارعةُ العذلِ

لَهُ بِالْفَلا شُغْلٌ عَنِ الْمُدْنِ وَالْقُرَى

وفي رائداتِ الخيلِ شغلٌ عنِ الأهلِ

إذا ارتابَ أمراً ألهبتهُ حفيظةٌ

تميتُ الرضا بالسخطِ ، والحلمَ بالجهلِ

فَلا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ خَوْفَ مَنِيَّةٍ

فَإِنَّ احْتِمَالَ الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْقَتْلِ

وَلَا تَلْتَمِسْ نَيْلَ الْمُنَى مِنْ خَلِيقَةٍ

فَتَجْنِيَ ثِمَارَ الْيَأْسِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ

فما الناسُ إلَّا حاسدٌ ذو مكيدةٍ

وَآخرُ محنيٌّ الضلوعِ على دخلِ

تِبَاعُ هَوًى، يَمْشُونَ فِيهِ كَمَا مَشَى

وسماعُ لغوٍ، يكتبونَ كما يملى

وَمَا أَنَا وَالْأَيَّامُ شَتَّى صُرُوفُهَا

بِمُهْتَضِمٍ جَارِي، وَلَا خَاذِلٍ خِلِّي

أَسِيرُ عَلَى نَهْجِ الْوَفَاءِ سَجِيَّةً

وكلُّ امرئٍ في الناسِ يجري على

الأصلِ

تَرَكْتُ ضَغِينَاتِ النُّفُوسِ لأَهْلِهَا

وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي أَنْ أَبِيتَ عَلَى ذَحْلِ

كذلكَ دأبي منذُ أبصرتُ حجتي

وليداً ؛ وَحبُّ الخيرِ منْ سمةِ النبلِ

وَربَّ صديقٍ كشفَ الخبرُ نفسهُ

فعاينتُ منهُ الجورَ في صورةِ العدلِ

وَهَبْتُ لَهُ مَا قَدْ جَنَى مِنْ إِسَاءَةٍ

وَلَوْ شِئْتُ، كَانَ السَّيْفُ أَدْنَى إِلَى

الْفَصْلِ

وَمستخبرٍ عني ، وما كانَ جاهلاً

بشأني ، وَلَكنْ عادةُ البغضِ للفضلِ

أَتَى سَادِراً، حَتَّى إِذا قَرَّ أَوجَسَتْ

سويداؤُهُ شراً ؛ فأغضى على ذلّ

وَمَنْ حَدَّثَتْهُ النَّفْسُ بِالْغَيِّ بَعْدَ مَا

تَنَاهَى إِلَيْهِ الرُّشْدُ سَارَ عَلى بُطْلِ

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي مِنَ الْمَجْدِ أَنْ أُرَى

صَرِيعَ مَرَامٍ لا يَفُوزُ بِهَا خَصْلِي

أقولُ وأتلو القولَ بالفعلِ كلما

أَرَدْتُ؛ وَبِئْسَ الْقَوْلُ كَانَ بِلا فِعْلِ

أَرَى السَّهْلَ مَقْرُوناً بِصَعْبٍ، وَلا

أَرَى

بغيرِ اقتحامِ الصعبِ مدركَ السهلِ

وَيومٍ كأنَّ النقعَ فيهِ غمامةٌ

لها أثرٌ منْ سائلِ الطعنِ كالوبلِ

تَقَحَّمْتُهُ فَرْداً سِوَى النَّصْلِ وَحْدَهُ

وَحَسْبُ الْفَتَى أَنْ يَطْلُبَ النَّصْرَ

بِالنَّصْلِ

لَوَيْتُ بِهِ كَفِّي، وَأَطْلَقْتُ سَاعِدِي

وَقُلْتُ لِدَهْرِي: وَيْكَ! فَامْضِ عَلى

رِسْلِ

فما يبعثُ الغاراتِ إلاَّ مهندى

وَلا يركبُ الأخطارَ إلاَّ فتىً مثلي

قصيدة يَا نَاصِرَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ :-

يَا نَاصِرَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ !

خذْ لي بحقي منْ يديْ ماصلي

جَارَ عَلَى ضَعْفِي بِسُلْطَانِهِ

وَمَا رَثَى لِلْمَدْمَعِ الْهَاطِلِ

أجرجني عما حوتهُ يدي

مِنْ كَسْبِيَ الْحُرِّ بلا نَاطِلِ

مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ، سِوَى مَنْطِقٍ

ذي رونقٍ، كالصارمِ القاطلِ

أتلو بِهِ الحقَّ، وأرمي بِهِ

نَحْرَ الْعِدَا فِي الرَّهَجِ السَّاطِلِ

فإنْ أكنْ جردتُ منْ ثروتي

ففَضْلُ رَبِّي حَلْيَةُ الْعَاطِلِ

داعي الأشواق.

القصيدة فيها رسم جوّ التوق والحنين إلى الوطن والأهل ، أهاج مشاعر الشاعر هو الشوق والحنين إلى الوطن.

يتمنّى الشّاعر العودة إلى الوطن وذلك بعيد المنال لأنّ الشّاعر في منفاه.

و فيها يصوّر الشاعر حاله قبل المنفى (النعيم) ، وفي المنفى بسر نديب (البؤس والشّقاء)

لَبَّيْكَ يَا دَاعِيَ الأَشْوَاقِ مِنْ داعِي

أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأْتَ

أَسْمَاعِي

مُرنِي بِما شِئتَ أَبلُغْ كلَّ ما وَصَلتْ

يَدِي إِلَيْهِ، فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي

فلا وربِّكَ ما أُصغِي إلى عَذَلٍ

وَلَا أُبِيحُ حِمَى قَلْبِي لِخَدَّاعِ

إِنِّي امْرُؤٌ لَا يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرَتِي

وَلَا تَفُلُّ شَبَاةُ الْخَطْبِ إِزْمَاعِي

أجرِي عَلى شِيمةٍ فِي الحُبِّ

صادِقةٍ

لَيْسَتْ تُهُمُّ إِذَا رِيعَتْ بِإِقْلَاعِ

لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُوذُ بِهِ

مِن غَدرِ كلِّ امرِئٍ بالشرِّ وقَّاعِ

بَذَلتُ فى الحبِّ نَفسى وهى غاليةٌ

لِبَاخِلٍ بِصَفَاءِ الْوُدِّ مَنَّاعِ

أَشْكُو إِلَيْهِ، وَلَا يُصْغِي لِمَعْذِرَتِي

مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِي

وَيْلاهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامَ بِهَا

قَلْبِي، وَقَصَّرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا بَاعِي

أسعى لَها وهى مِنّى غيرُ دانِيةٍ

وكيفَ يَبلغُ شأوَ الكوكبِ الساعِى

؟

يا حبَّذا جُرعَةٌ مِن ماءِ مَحنيةٍ

وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ!

وَنَسْمَةٌ كَنَسِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلَتْ

رَيَّا الأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ

يا هَل أَرانِي بِذاكَ الحيِّ مُجتَمِعاً

بِأَهلِ وُدِّي من قومي وأشياعِي ؟

وهَل أَسوقُ جَوادِي لِلطرادِ إلى

صَيْدِ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ؟

مَنَازِلٌ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلَهْنِيَةٍ

مُمَتَّعاً بَيْنَ غِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي

إِذَا أَشَرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا

قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلْمَاعِي

يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرَتِي

وَيُرعَدُ الجيشُ باسمِي قَبلَ إيقاعِي

فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لاَ سَهْمِي بِذِي

صَرَدِ

إِذَا رَمَيْتُ، وَلاَ سَيْفِي بِقَطَّاعِ

أَبِيتُ فِي قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ

هامَ السِماكِ، وفائَتْهُ بِأبواعِ

يَستقِيلُ المُزنَ لِيتِيها بِوابِلِهِ

وتصدِمُ الرِيحُ جَنبيها بِزعزاعِ

يَظَلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْساً، وَأَسْفَلُهَا

مكلَّلاً بالنَدى يَرعى بِهِ الراعِي

إِذَا الْبُرُوقُ ازْمَهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا

شَهماً تدرَّعَ من تبرٍ بأدراعِ

تَكَادُ تَلْمِسُ مِنْهَا الشَّمْسَ دَانِيَةً

وَتَحْبِسُ الْبَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلاَعِ

أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِساً

نَابِي المضاجعِ من همٍّ وأوجاعِ

لا فى "سرنديبَ" خِلٌّ أستعينُ بِهِ

عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ، وَلاَ رَاعِي

يَظُنُّنى من يرانى ضاحِكاً جَذِلاً

أَتى خَلِيٌّ، وهَمّى بينَ أضلاعِى

ولا، وربِّكَ ما وَجدِي بِمُندرِسٍ

على البِعادِ ولا صَبرِي بِمطواعِ

لَكنَّنِي مالِكٌ حَزمِي، ومُنتَظِرٌ

أَمْراً مِنَ اللَّهِ يَشْفِي بِرْحَ أَوْجَاعِي

أَكُفُّ غَرْبَ دُمُوعِي وَهْيَ جَارِيَةٌ

خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي حِدُّ مُلْتَاعِ

فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي، وَغَادَرَنِي

رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاعِ

فَإِنَّ فِي مِصرَ إِخوانًا يَسُرُّهُمُ

قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي

من قصائد البارودي (إِنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو طَبَائِعَ أَرْبَعٍ)

إِنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو طَبَائِعَ أَرْبَعٍ

مَجموعَةِ الأَجزاءِ فى أَخلاقِهِ

تَبْدُو فَوَاعِلُهَا عَلَى حرَكَاتِهِ

فى بَطشِهِ وسُكونِهِ ونِزاقِهِ

فَإِذَا تَغَلَّبَ وَاحِدٌ مِنْهَا عَلَى

أَقْرَانِهِ أَدَّى إِلى إِقْلاقِهِ

بَيْنَا تَرَاهُ كَالزُّلَالِ لَطَافَةً

أَلْفَيْتَهُ كَالنَّارِ فِي إِحْرَاقِهِ

أَوْ كَالتُّرَابِ يَهِيلُ مِنْ عَقَدَاتِهِ

أَوْ كَالْهَوَاءِ يَجُولُ فِي آفَاقِهِ

فَإِذَا تَعَادَلَ جَمْعُها، وتَوَازَنَتْ

حَرَكَاتُهَا كَانَتْ دَلِيلَ وِفَاقِهِ

وَالْمَرْءُ مَهْمَا كَانَ فِي أَفْعَالِهِ

لَا يَنْتَهِي إِلَّا إِلَى أَعْرَاقِهِ

من روائع البارودي :: لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى الزَّمَانِ؛ فَرُبَّمَا ::

لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى الزَّمَانِ؛ فَرُبَّمَا

خدعتْ مخيلتُهُ الفؤادَ الغافلا

وَاصبرْ على ما كانَ منهُ؛ فكلما

ذهبَ الغداةَ أتى العشيةَ قافلا

كَفَلَ الشقاءَ لمنْ أناخَ بربعِهِ

وَكفى ابنَ آدمَ بالمصائبِ كافلا

يَمْشِي الضَّرَاءَ إِلَى النُّفُوسِ، وَتَارَةً

يسعى لها بينَ الأسنةِ رافلا

لَا يَرْهَبُ الضِّرْغَامَ بَيْنَ عَرِينِهِ

بَأْسَاً، وَلَا يَدَعُ الظِّبَاءَ مَطَافِلَا

بينا ترى نجمَ السعادةِ طالعا

فوقَ الأهلةِ إِذْ تراهُ آفلا

فَإِذَا سَأَلْتَ الدَّهْرَ مَعْرِفَةً بِهِ

فاسألْ لتعرفهُ النعامَ الجافلا

فَالدَّهْرُ كَالدُّولَابِ، يَخْفِضُ عَالِياً

مِنْ غَيْرِ مَا قَصْدٍ، وَيَرْفَعُ سَافِلَا

لكَ الحَمدُ ، إنَّ الخيرَ مِنكَ ، وإنَّنى = لِصُنعِكَ يا ربَّ السَموات شاكِرُ

لكَ الحَمدُ ، إنَّ الخيرَ مِنكَ ، وإنَّنى

لِصُنعِكَ يا ربَّ السَموات شاكِرُ

فأنتَ الَّذى أوليتنى كُلَّ نعمَةٍ

وَهَذَّبْتَنِي حَتَّى اصْطَفَتْنِي الْعَشَائِرُ

فقرِّب لى الخيرَ الَّذى أنا راغِبٌ

وباعِدْنِي الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَاذِرُ

فليسَ لِمَن تُقصيهِ فى النَّاس نافِعٌ

وَلَيْسَ لِمَنْ تُدْنِيهِ فِي النَّاسِ ضائِرُ

وَلَا لِامْرِئٍ أَلْهَمْتَهُ الرُّشْدَ خَاذِلٌ

وَلَا لامْرِئٍ أَوردْتَهُ الْغَيَّ نَاصِرُ

فَإِنْ أَدْرَكَتْ نَفْسِي الْمَرَامَ، وَلَمْ أَقُمْ

مقامَ ضليعٍ بالَّذى أنتَ آمرُ

فلا لاحَ لى فى ذُروةِ المجدِ كَوكَبٌ

وَلَا طَارَ لِي فِي قُنَّةِ الْعِزِّ طَائِرُ

كَمْ غادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ= وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوَ مُقَدَّمِ

كَمْ غادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ

وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوَ مُقَدَّمِ

فِي كُلِّ عَصْرٍ عبْقَرِيٌّ، لَا يَنِي

يفرى الفرَّ بكلِّ قولٍ محكمِ

وَكفاكَ بي رجلا إذا اعتقلَ النهى

بِالصَّمْتِ، أَوْ رَعَفَ السِّنَانُ بِعَنْدَمِ

أَحْيَيْتُ أَنْفَاسَ الْقَرِيضِ بِمَنْطِقِي

وَصرعتُ فرسانَ العجاجِ بلهذمي

وَفرغتُ ناصيةَ العلا بفضائلٍ

هُنَّ الْكَوَاكِبُ فِي النَّهَارِ الْمُظْلِمِ

سَلْ مِصْرَ عَنِّي إِنْ جَهِلْتَ مَكَانَتِي

تُخْبِرْكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أَقْدَمِ

بَلَهُ، نَشَأْتُ مَعَ النَّبَاتِ بِأَرْضِهَا

وَلَثَمْتُ ثَغْرَ غَدِيرِهِ الْمُتَبَسِّمِ

فنسيمها روحي، ومعدنُ تربها

جِسْمِي، وَكَوْثَرُ نِيلِهَا مَحْيا دَمِي

فإذا نطقتُ فبالثناءِ على الذي

أَوْلَتْهُ مِنْ فَضْلٍ عَلَيَّ وَأَنْعُمِ

أَهْلِي بِها، وأَحِبَّتِي، وكَفى بِهِمْ

إِنْ كانَتِ الأَبناءُ خُورَ الأَعْظُمِ

وَأَحَقُّ دارٍ بِالْكَرامَةِ مَنْزِلٌ

للقلبِ فيهِ علاقةٌ لم تصرمِ

هِيَ جَنَّةُ الْحُسْنِ الَّتِي زَهَراتُها

حورُ المها، وهزارُ أيكتها فمي

ما إنْ خلعتُ بها سيورَ تمائمي

حتى لبستُ بها حمائلَ مخذمي

وَغَنِيتُ عَنْ قُلَّتِي بعَامِلِ أَسْمَرٍ

وَسَلَوْتُ عَنْ مَهْدِي بِصَهْوَةِ أَدْهَمِ

وَفجرتُ ينبوعَ البيانِ بِمنطقٍ

عذبٍ، رويتُ بِهِ غليلَ الحرمِ

وَلكمْ أثرتُ غيابةً منْ قسطلٍ

بمهندي، وَحللتُ عقدةَ مبرمِ

أختالُ طوراً فوقَ ذروةِ منبر

وأكرُّ طوراً فوقَ نهدٍ شيظمِ

حتى ربأتُ منَ المعالي هضبةً

شماءَ تزلقُ أخمصَ المتسنمِ

نشأتْ بطبعي للقريضِ بدائعٌ

لَيْسَتْ بِنحْلَةِ شَاعِرٍ مُتَقَدِّمِ

يصبوبها "الحكميُّ" صبوةَ عاشقٍ

وَتخفُّ منْ طربٍ عريكةُ "مسلمِ"

قَوَّمْتُهُ بَعْدَ اعْوِجَاجِ قَنَاتِهِ

وَالرمحُ ليسَ يروقُ غيرَ مقومِ

فقرٌ يكادُ السحرُ يبلغُ بعضَ ما

فِي طَيِّهَا لَوْكَانَ غَيْرَ مُحَرَّمِ

مُتَشَابِهُ الطَّرَفَيْنِ، يُنبِيءُ صَدْرُهُ

عما تلاحقَ؛ فهوَ بادي المعلمِ

أحكمتُ منطقهُ بلهجةِ مفلقٍ

يَقِظِ الْبَدِيهَةِ، فِي الْقَرِيضِ مُحَكَّمِ

يبتدُّ أهبةَ كلّ فارسِ بهمةٍ

ويَزُمُّ شِقْشِقَةَ الْفَتِيقِ الْمُقْرَمِ

ذللتُ منهُ غواربًا لا تمتطى

وخَطَمْتُ مِنْهُ مَوَارِنًا لَمْ تُخْطَمِ

شعرٌ جمعتُ بِهِ ضروبَ محاسنٍ

لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلِي لِحَيٍّ مُلْهَمِ

فإذا نسبتُ فتنتُ كلَّ مقنعٍ

وَإِذَا نَأَمْتُ دَعَرْتُ كُلَّ مُلَثَّمِ

كَالرَّوْضِ تَسْمَعُ مِنْهُ نَغْمَةَ بُلْبُلِ

وَالْغِيلِ تَسْمَعُ مِنْهُ زَأْرَةَ ضَيْغَمِ

أَدْرَكْتُ قَاصِيَةَ الْمَحَامِدِ وَالْعُلَا

وَشَأَوْتُ فِيهَا كُلَّ أَصْيَدَ مُسْنِمِ

فَأَنَا ابْنُ نَفْسِي إِنْ فَخَرْتُ، وَإِنْ أَكُنْ

لِأَغَرَّ مَنْ سَلَفِ الْأَكَارِمِ أَنْتَمِي

وَالْفَخْرُ بِالْآبَاءِ لَيْسَ بِنَافِعٍ

إِنْ كَانَتِ الْأَبْنَاءُ غُيْرَ الْأَعْظَمِ

هَذَا، وَرُبَّتَ لَذَّةٍ بَاشَرْتُهَا

فِي ظِلِّ أَخْضَرَ بِالْعَرَارِ مُنَمْنَمِ

طفقَ النسيمُ يحوكُ بردهِ

بأناملٍ تمرى خيوطَ المرزمِ

فَبِكُلِّ أُفْقٍ مُزْنَةٌ فَيَّاضَةٌ

وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَدْوَلٌ كَالأَرْقَمِ

هَاتِيكَ تَجْرِي فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا

سُفُنٌ، وَهَذَا فِي الْخَمَائِلِ يَرْتَمِي

فالروضُ بينَ موشحٍ وَمؤزرٍ

وَالزهرُ بينَ مدنرٍ وَمدرهمِ

طَلْقُ الْجَبِينِ، تَبَسَّمَتْ أَزْهَارُهُ

عنْ دُرِّ قطرٍ كالعقودِ منظمِ

عبقُ الإزارِ، كأنما جرتِ الصبا

فِيهِ بجُؤْنَةِ عَنْبَرٍ لَمْ تُخْتَمِ

صبح الغمامُ غصونهُ؛ فترنحتْ

طَرَبًا لِرَجْعِ الطَّائِرِ الْمُتَرَنِّمِ

فنسيمهُ أَرِجٌ، وطائرُ أيكهِ

هَزِجٌ، وَجَدْوَلُهُ بَرُودُ الْمَبْسِمِ

يَسْتَوْقِفُ الأَلْبَابَ حُسْنُ رُوَائِهِ

وَيصيدُ عينَ الناظرِ المتوسمِ

وَالمرءُ طوعُ يدِ الزمانِ، يقودهُ

قَوْدَ الْجَنِيبِ لِغَايَةٍ لَمْ تُعْلَمِ

فلكٌ يدورُ ، وَأنجمٌ لا تأتلي

تَبْدُو وتَغْرُبُ فِي فَضَاءٍ أَقْتَمِ

صُوَرٌ إِذَا نَادَيْتَها لَمْ تَسْتَجِبْ

أَوْ رُمْتَ مِنْهَا النُّطْقَ لَمْ تتكَلَّمِ

فدعِ الخفيَّ ، وخذْ لنفسكَ حظها

مِمَّا بَدَا لَكَ؛ فَهْوَ أَهْنَأُ مَغْنَمِ

لَا يستطيعُ المرءُ يبلغَ ما نأى

عَنْهُ، وَلَوْ صَعِدَ السَّمَاءَ بِسُلَّمِ

بينا يشقُّ بِهِ الجواءَ ترفعا

أهوى بِهِ في كسرِ بيتٍ مظلمِ

إِنَّ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ

غَرَضاً لِإِمْرَةِ ظَالِمٍ لَمْ يَرْحَمِ

لَا أَرْتَضِي عَيْشَ الْجَبَانِ، وَلَا أَرَى

فَضْلاً لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقْدِمِ

وَلَرُبَّ مَلْحَمَةٍ سَرَيْتُ قِنَاعَهَا

عَنْ وَجْهِ نَصْرٍ بِالْغُبَارِ مُلَثَّمِ

لَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ بِالَّذِي

فِي الْغَيْبِ لَمْ يَفْرَحْ، وَلَمْ يَتَنَدَّمِ

فَدَعِ الْأُمُورَ إِلَى مُدَبِّرِ شَأْنِهَا

وَارْغَبْ عَنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِكَ تَسْلَمِ

قصيدة " ماذَا عَلى قُرَّةِ العَيْنَيْنِ لَوْ صَفَحَتْ"

ماذَا عَلى قُرَّةِ العَيْنَيْنِ لَوْ صَفَحَتْ

وعَاوَدَتْ بِوِصالٍ بَعْدَ ما صَفَحَتْ

بايَعْتُها الْقَلْبَ إِيجاباً بِما وَعَدَتْ

فيالَها صفقةً فى الحبِّ ما رِبحَت

قد يزعمُ النَّاسَ أنَّ البخلَ مقطعةٌ

فما لقلبى يهواها وماسَمحَتْ ؟

خوطيَّةُ القدِّ ، لو مرَّ الحمامُ بها

لم يَشْتَبِهْ أنَّها مِنْ أيكِهِ انْتَزَحَتْ

خفَّت معاطفها ، لكن روادفُها

بِمِثْلِ ما حَمَّلَتْنِي في الهَوَى رَجَحَتْ

وَيْلاهُ مِنْ لَحْظِها الْفَتَّاكِ إِنْ نَظَرَتْ

وَآهِ مِنْ قَدِّها الْعَسَّالِ إِنْ سَنَحَتْ

يَمُوتُ قَلْبِي وَيَحْيَا حَيْرَةً وَهُدىً

فِي عالَمِ الْوَجْدِ إِنْ صَدَّتْ وَإِنْ

جَنَحَتْ

كَالْبَدْرِ إِنْ سَفَرَتْ، وَالظَّبْيِ إِنْ

نَظَرَتْ

وَالْغُصْنِ إِنْ خَطَرَتْ، وَالزَّهْرِ إِنْ

نَفَحَتْ

وَاخَجْلَةَ الْبَدْرِ إِنْ لاحَتْ أَسِرَّتُها

وَحيرةَ الرشإِ الوسنانِ إِن لمحَت

لها رَوابِطُ لا تَنْفَكُّ آخِذَةً

بعُروةِ القلبِ إن جدَّت ، وإن

مزحَتْ

يا سَرْحَةَ الأَمَلِ الْمَمْنُوعِ جَانِبُهُ

ويا غَزَالَةَ وادِي الْحُسْنِ إِنْ سَرَحَتْ

ترفَّقي بفؤادٍ أنتِ منيَتُه

ومقلةٍ لسوى مرآكِ ما طمحَتْ

حاشاكِ أن تسمعي قولَ الوشاةِ بنا

فإنَّها رُبَّمَا غَشَّتْ إِذَا نَصَحَتْ

أفسدتُ في حبِّكُم نفسي جوىً

وأسىً

والنفسُ في الحبِّ مهما أُفسِدَت صلَحَتْ

ما زِلتُ أسحرُها بالشعرِ تسمعهُ

مِن ذاتِ فهمٍ، تُجيدُ القولَ إن

شرَحتْ

حتَّى إذا عِلمَت ما حلَّ بى، ورأَّت

سُقْمِي، وخَافَتْ عَلى نَفسٍ بها

افْتَضَحَتْ

حنَّت رثَّت عطفَت مالَت صبَت

عزَمتْ

همَّت سرَتْ وصلَتْ عادَت دنَتْ

منَحَتْ

فبتُّ فى وصلِها فى نعمَةٍ عَظُمَت

ما شِئتُ، أَوْ جنَّةٍ أَبوابُهَا فُتِحَتْ

أنالُ من ثغرِها الدُّرِّيِّ ما سألَتْ

نَفْسِي، ومِنْ خَدِّهَا الْوَرْدِيِّ ما

اقْتَرَحَتْ

في رَوْضَةٍ بَسَمَتْ أَزْهارُهَا،

ونَمَتْ

أَفْنانُهَا، وسَجَتْ أَظْلالُهَا، وضَحَتْ

تَكَلَّلَتْ بِجُمَانِ الْقَطْرِ، وائْتَزَرَتْ

بسُنْدُسِ النبتِ والريحانِ،

وانْتَشَحَتْ

ترنحَّ الغصنُ مِن أشواقِهِ طرباً

لَمَّا رأى الطَّيرَ في أوكارِها صدَحَتْ

صَحَّ النَّسِيمُ بها وَهْوَ العَلِيلُ، وَقَدْ

مَالَتْ بِخَمْرِ النَّدَى أَغْصَانُها،

وَصَحَتْ

وَلَيْلَةٍ سالَ فِي أَعْقَابِهَا شَفَقٌ

كَأَنَّهَا بِحُسَامِ الْفَجْرِ قَدْ ذُبِحَتْ

طَالَتْ، وَقَصَّرَهَا لَهْوِي بِغَانِيَةٍ

إِن أَعرضَتْ قَتَلَتْ، أَو أَقبلَتْ

فضَحَتْ

هيفاءُ، إِن نطقَت غنَّتْ، وإِن

خطَرَتْ

رنَّتْ، وإِن فوَّقَت ألحاظها جرَحَتْ

دارت علينا بها الكاساتُ مُترعةً

بخمرةٍ لو بدَت في ظلمةٍ قدحتْ

حَمْرَاءَ سَلْسَلَهَا الإِبْرِيقُ في قَدَحٍ

كَشُعْلَةٍ لَفَحَتْ في ثَلْجَةٍ نَصَحَتْ

رُوحٌ إِذَا سَلَكَتْ في هَامِدٍ نَبَضَتْ

عروقهُ، أو دنتْ من صخرةٍ

رشحَتْ

طارتْ بألبابنا سُكراً، ولا عجَبٌ

وهي الكُميتُ إذا في حلبَةٍ جمَحَتْ

حتَّى بدا الفجرُ مِن أطرافِ ظلمتِها

كغرةٍ في جوادٍ أدهمٍ وضحِتْ

فيا لَها ليلةً ما كانَ أَحسنَها

لو أنها لِبِتّت حَولاً وما بِرِحَتْ

قصيدة سَلِ الفَلَكَ الدوّارَ إن كانَ يَنطِقُ

سَلِ الفَلَكَ الدوّارَ إن كانَ يَنطِقُ

وكيفَ يُحيرُ الهوى أخرَسُ مُطرِقُ

؟

تُسائِلُهُ عَنْ شَأْنِهِ وَهْوَ صَامِتٌ

وَتَخْبُرُ مَا فِي نَفْسِهِ وهْوَ مُطْبَقُ

فلا سِرُّهُ يَبدو ، ولا نحنُ نَرعَوِي

وَلا شَأْوُهُ يَدنُو، وَلا نَحْنُ نَلْحَقُ

وكَيفَ تنالُ النفسُ مِنهُ لُبانةً

وَأَقْرَبُ مَا فِيهِ عَنِ الظَّنِ أَسْحَقُ؟

فَضاءٌ يَرُدُّ العينَ حَسرى، ومَسرحٌ

يَقُصَّ جَنَاحَ الْفِكْرِ وَهْوَ مُحلِّقُ

أقامَ على رَغمِ الفَناءِ، وكلُّ ما

تَرَاهُ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ يَنْفُقُ

فَكَمْ تَلَّ عَرْشاً، وَاسْتَبَاحَ قَبِيلَةً

وفَرَّقَ جَمعاً وهوَ لا يتفرَّقُ

تَحسَّى مراراتِ الكُبودِ، فَلم تَزلْ

بِهِ صِبغَةٌ من لَونِها، فهوَ أزرقُ

نَهارٌ ولَيلٌ يَدأبانِ، وأنجمٌ

تَغيبُ إلى مِيقاتِها، ثُمَّ تَشرقُ

تَرِفُّ كَزَهرٍ طوَّحتهُ عواصِفٌ

بِلجَّةِ ماءٍ، فَهوَ يَطفو ويَغرقُ

سوابِحُ لا تَنفَكُّ تَجرِي لِغايةٍ

يُقَصِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ الْمُتَعَمِّقُ

فَيَأَيُّهَا السَّارِي عَلَى غَيْرِ هُدْيَةٍ

رُويداً، فإنَّ البابَ دُونَكَ مُغلَقُ

أتَحسِبُ أنَّ الظَنَّ يُدرِكُ بَعضَ ما

تُحَاوِلُهُ والظَّنُّ لِلْمَرْءِ مُوبِقُ؟

وَكَيْفَ يَنَالُ الْحِسُّ وَهْوَ مُحَدَّدٌ

سَرِيرَةَ غَيْبٍ دُونَهَا الْحِسُّ يُصْعَقُ؟

فَلا تَتَّبِعْ رِيبَ الظُّنونِ، فَكُلُّ ما

تَصَوَّرُهُ الإِنسانُ وَهمٌ مُلَفَّقُ

وَلا تَحسبَنَّ الحَدسَ يُدرِكُ ما نأى

فَمَا كُلَّ حِينٍ قَائِفُ الْحَدْسِ يَصْدُقُ

وَأَيْنَ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِدْرَاكُ حِكْمَةٍ

بِهَا يُنْشِيءُ اللَّهُ الْقُرُونَ وَيَمْحَقُ؟

فَلَوْ عَلِمَ الإِنسَانُ حَالَةَ نَفْسِهِ

كَفَاهُ، وَلَكِنَّ ابنَ آدَمَ أَخرَقُ

إذا المرءُ لم يَملك بوادرَ وَهمهِ

عنِ القولِ فيما لم يُفِد فهوَ أحمَقُ

فَإِيَّاكَ وَالدُّنيَا ، فَإِنَّ نَعِيمَهَا

يَزُولُ، وَمَلْبُوسُ الْجَدِيدَيْنِ يَخْلُقُ

فَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللِّيَانَ فَإِنَّهَا

سَتَخشنُ من بَعدِ اللَّيانِ وتَخرقُ

فلا وُدُّها يَبقَى ، ولا صَفوُ عَيشِها

يَدُومُ، وَلَا مَوْعُودُهَا يَتَحَقَّقُ

فَكم أخلَفَت وعداً ، ومَلَّت صَحابة

وخانت وَفِيًّا ، فَهِيَ بَلهاءُ تَنزَقُ

وكيفَ يعيشُ الدهرَ خِلواً منَ الأسى

سَقيمٌ يُغادِي بالهمومِ ويُطرَقُ ؟

لَعَمْرُ أَبِي إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ صَفَتْ

مَسافةَ يومٍ – فَهوَ صَفْوٌ مُرنَّقُ

فَفِيمَ يَوَدُّ الْمَرْءُ طُولَ حَيَاتِهِ

وفى طُولِها شَملُ الهناءِ مُفرَّقُ ؟

وما الدهرِ إلاَّ مُستَعِدٌّ لِوثبَةٍ

فَحِذْرَكَ، مِنْهُ، فَهْوَ غَضْبَانُ مُطْرِقُ

كَأَنَّ هِلالَ الأُفْقِ سَيْفٌ مُجَرَّدٌ

عَلَيْنَا بِهِ، والنَّجْمَ سَهْمٌ مُفَوَّقُ

أبادَ بنيهِ ظَالِماً غَيرَ راحمٍ

فَيَا عَجَبَا مِنْ وَالِدٍ لَيْسَ يُشْفِقُ

فَلا تبتئس بالأمرِ تَخشَى وُقوعَهُ

فَقَدْ يَأْمَنُ الإِنسَانُ مِنْ حَيْثُ يُفْرَقُ

فَمَا كُلُّ مَا تَهْوَاهُ يَأْتِيكَ بِالْمُنَى

وَلَا كُلُّ مَا تَخْشَاهُ فِي الدَّهْرِ يَطْرُقُ

وكُن واثِقاً باللهِ فى كلِّ محنَةٍ

فَللَّهُ أَوْلَى بِالْعِبادِ وَأَرْفَقُ

ما الدهرُ إلاَّ ضوءُ شمس علا

ما الدهرُ إلاَّ ضوءُ شمس علا

وَكوكبٌ غامَ، وَنبتٌ بقلْ

وَراحلٌ أعقبهُ نازلٌ

مَا قِيلَ قَدْ خَيَّمَ حَتَّى اسْتَقَلْ

عَمَايَةٌ يَخْبِطُ فِيهَا النُّهَى

عَجْزاً، وَلَا تُبْصِرُ فِيهَا الْمُقَلْ

فبادرِ النقلةَ، وَاعملْ لها

ما شئتَ؛ فالدهرُ سريعُ النقلْ

وَاصْمُتْ عَنِ الشَّرِّ إِذَا لَمْ تُطِقْ

دَفْعاً، وَإِنْ صَادَفْتَ خَيْراً فَقُلْ

وَسرْ إذا ما عرضتْ فرصةٌ

فالبدرُ قدْ ينمو إذا ما انتقلْ

مَنْ طلبَ الأمرَ بأسبابِهِ

ساعدهُ المقدورُ إما عقلْ

قَدْ يَجْبُنُ الأعْزَلُ وَهْوَ الفَتَى

وَيَشْجُعُ النِّكْسُ إِذَا مَا اعْتَقَلْ

لأمرٍ ما تحيرتِ العقولُ= فهلْ تدري الخلائقُ ما تقولُ ؟

لأمرٍ ما تحيرتِ العقولُ

فهلْ تدري الخلائقُ ما تقولُ ؟

تغيبُ الشمسُ ، ثمَّ تعودُ فينا

وتَذْوي، ثُمَّ تَخْضَرُّ الْبُقُولُ

طَبَائِعُ لاَ تُغِبُّ، مُرَدَّدَاتٍ

كَمَا تَعْرَى وَتَشْتَمِلُ الْحُقُولُ

فَسِيَّانِ الْجهُولُ إِذَا تَنَاهَتْ

بِهِ الأيامُ، وَالفطنُ العقولُ

يَزُولُ الْخَلْقُ طَوْراً بَعْدَ طَوْرٍ

وَتَخْتَلِفُ الْحقَائِقُ وَالنُّقُولُ

فَمَا جَرَتِ الظُّنُونُ عَلَى يَقِينٍ

تفيءُ بِهِ، وَلاَ صحَّ المقلُ

قصيدة رَأَيتُ بِصَحْرَاءِ الْقَرافَةِ نِسْوَةً

رَأَيتُ بِصَحْرَاءِ الْقَرافَةِ نِسْوَةً

نوازِعَ، لا يأوينَ حزناً إلى بيتِ

يَنُحْنَ عَلى مَيْتٍ سَيَتْبَعْنَ إِثْرَهُ

وَمِنْ عَجَبٍ مَيْتٌ يَنُوحُ عَلى مَيْتِ

قصيدة أليلَى ! ما لِقلبِكِ ليسَ يَرثى

أليلَى !ما لِقلبِكِ ليسَ يَرثى

لِما ألقاهُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ ؟

كَتَمْتُ هَوَاكِ حَتَّى تَمَّ دَمْعِي

وَذَابَتْ مُهْجَتِي مِمَّا أُلاقِي

وَرَقَّتْ لِي قُلُوبُ النَّاسِ حَتَّى

بَكى لِي كلُّ ساقٍ فَوقَ ساقِ

تَلُومِيني عَلَى عَبَراتِ عَيْنِي ؟

وَلَوْلاَ الْحُبُّ لَمْ تَجْرِ الْمَآقِي

وَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى يَا لَيْلُ أَنِّي

فَنِيتُ صَبَابَةً وَهَوَاكِ بَاقِي

وَمَا إِنْ عِشْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلاَّ

لِما أرجوهُ مِن وشكِ التّلاقِى

ولَولا أنّنى فى قَيدِ سُقمٍ

لَطِرْتُ إِلَيْكِ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقِي

كلمات رائعة تصف حال الغريب عن دياره.

ظل في المنفى أكثر من سبعة عشر عاماً يعاني الوحدة والمرض والغربة أنقلها لكم ،، لتعرفوا حال المغترب عن وطنه ، فسجّل كل ذلك في شعره النابع من ألمه وحنينه.

النازح عن أهله وأصحابه ،، أقرانه وأترابه:

هَل مِن طبيبٍ لِداءِ الحُبِّ ، أو راقِى

؟

يَشفِى عَليلاً أخا حُزنٍ وإيراقِ

قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقاً

حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ، فَاسْتَوْلَى عَلَى

الْبَاقِي

حُزنٌ بَرانِى ، وأشواقٌ رَعَت كَبِدِى

يا وِيحَ نَفسِى مِن حُزنٍ وأشواقِ

أُكلِّفُ النَفسَ صَبراً وهى جازِعةٌ

والصَّبْرُ فِي الْحُبِّ أَعْيَا كُلَّ مُشْتَاقِ

لافى "سَرَنديبَ" لِى خِلٌّ ألوذُ بِهِ

ولا أنيسٌ سِوَى هَمّى وإطراقِى

أبيتُ أرعَى نَجومَ اللَّيلِ مُرتَفِقاً

فِي قُنَّةٍ عَزَّ مَرْقَاهَا عَلَى الرَّاقِي

تَقَلَّدَت مِنْ جُمانِ الشُهبِ مِنطَقَةً

مَعقودةً بِوشاحٍ غَيرِ مِقلاقِ

كأنَّ نَجمَ الثُرَيّا وهوَ مضطرِبٌ

دُونَ الْهِلالِ سِراجٌ لاحَ فِي طَاقِ

ولا بَرِحتِ مِنَ الأوراقِ فى حُلَلٍ

مِن سُندُسٍ عَبقَرِيِّ الوَشيِ بَرّاقِ

يا حَبَّذا نَسَمٌ مِنْ جَوِّها عَبِقٌ

يَسرِي عَلى جَدولٍ بِالماءِ دَفّاقِ

بَل حَبَّذا دَوحَةٌ تَدعو الهَديلَ بِها

عِندَ الصَّباحِ قَمارِيٌّ بِأطواقِ

مَرعَى حِيادِى ، ومَأوى حِيرتِى ،

وَحِمى

قَوْمِي، وَمَنْبِتُ آدَابِي وَأَعْرَاقِي

أصبو إليها عَلى بُعدٍ ، ويُعجِبُنى

أنِى أعيشُ بِها فى ثَوبِ إملاقِ

وكيفَ أنسى دِيارًا قد تَركتُ بِها

أَهْلاً كِراماً لَهُمْ وُدِّي وَإِشْفَاقِي ؟

إذا تَذكَّرتُ أيّاماً بِهِم سَلَفتْ

تَحَدَّرت بِغروبِ الدَّمعِ آماقِى

فَيا بريدَ الصَّبا بَلِّغ ذَوى رَحِمِى

أنِى مُقيمٌ على عَهدِى ومِيثاقِى

وَإِنْ مَرَرْتَ عَلى «الْمِقْيَاسِ» فَاهْدِ
لَهُ

مِنِّى تَحِيَّةَ نَفسٍ ذاتِ أعلاقِ

وأنتَ يا طائراً يَبكِى على فَنَنٍ

نَفْسِي فَدَاؤُكَ مِنْ سَاقٍ عَلَى سَاقِ

أذكرتني ما مضى والشملُ مجتمعٌ

"بمصر" زالحربُ لم تنهضْ على
ساقِ

أَيَّامَ أَسْحَبُ أَذْيَالَ الصِّبَا مَرِحاً

فِي فِتْيَةٍ لِطَرِيقِ الْخَيْرِ سُبَّاقِ

فيا لَها ذُكرةً ! شَبَّ الغرامُ بِها

نارًا سَرَتْ بينَ أردَانِى وأطواقِى

عَصرٌ تَوَلَّى ، وأبقَى فى الفؤادِ هَوَى

يَكَادُ يَشْمَلُ أَحْشَائِي بِإِحْرَاقِ

والمَرءُ طَوعُ اللَّيالِى فى تَصَرُّفِها

لَا يَمْلِكُ الأَمْرَ مِنْ نُجْحٍ وإِخْفَاقِ

عَلَيَّ شَيْمُ الْغَوَادِي كُلَّمَا بَرَقَتْ

وما عَلَيَّ إذا ضَنَّتْ بِرَقْراقِ

فَلَا يَعِبنِى حَسودٌ أن جَرَى قَدَرٌ

فَلَيْسَ لِي غَيْرُ مَا يَقْضِيهِ خَلَّاقِي

أسلَمتُ نَفسِى لمولًى لا يخيبُ لَهُ

راجٍ عَلَى الدَهرِ ، والمولى هو الواقى

وهوّن الخطبَ عندى أنّني رجلٌ

لاَقٍ مِنَ الدّهْرِ مَا كُلُّ امْرِىءٍ لاَقِي

يا قَلبُ صَبراً جَميلاً ، إنّهُ قَدَرٌ

يَجرِي عَلى المَرءُ مِنْ أسرٍ وإطلاقِ

لابُدَّ لِلضيقِ بَعدَ اليأسِ من فَرَجٍ

وكُلُّ داجِيةٍ يَوماً لإشراقِ

قصيدة إِذَا افْتَقَرَ الْمَرْءُ اسْتَهَانَ بِفَضْلِهِ :-

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرْءُ اسْتَهَانَ بِفَضْلِهِ

ذَوُو قُرْبِهِ، وَاسْتَهْجَنَتْهُ الأَبَاعِدُ

فإن قالَ حقّاً كَذّبوهُ ، وإن أبَى

مُجارَاتَهُم فى الغىّ ؛ قالوا مُعانِدُ

فحُجَّتُهُ مَطلولةٌ ؛ وهى حقَّةٌ

وَمَنْطِقُهُ مُسْتَكْرَهٌ، وَهْوَ قَاصِدُ

فحَافِظْ عَلَى ما نِلْتَ بِالسَّعْيِ مِنْ غِنَى

فَبِالْمَالِ لا بِالْفَضْلِ تَعْنُو الْمَقَاصِدُ

أُترى الحمامَ ينوحُ من طربٍ معى

أُترى الحمامَ ينوحُ من طربٍ معى

وَبَدَى الْغَمَامَةِ يَسْتَهِلُّ لِمَدْمَعِي ؟

مَا لِلنَّسِيمِ بَلِيلَةٍ أَذْيَالُهُ ؟

أَتُرَاهُ مَرَّ عَلَى جَدَاوِلِ أَدْمُعِي ؟

بل ما لِهذا البرقِ مُلتهبَ الحشا ؟

أَسَمَتْ إِلَيْهِ شَرَارَةٌ مِنْ أَضْلُعِي ؟

لم أدرِ هل شعرَ الزمانُ بلوعتى

فرثى لَها ، أم هاجتِ الدُنيا مَعى ؟

فالغيثُ يَهمى رِقَّةً لِصبابتى

وَالطَّيْرُ تَبْكِي رَحْمَةً لِتَوَجُّعِي

خَطَرَاتُ شَوْقٍ، أَلْهَبَتْ بَجَوَانِحِي

نَارًا يَدِبُّ أَزِيزُهَا فِي مِسْمَعِي

وَجَوًى كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ، لَمْ يَدَعْ

لِلصَّبْرِ بَيْنَ مَقِيلِهِ مِنْ مَفْزَعِ

يأهلَ ذا النادى ! أليسَ بكم فتىً

يَرثى لويلاتِ المشوقِ المولعِ ؟

أَبْكِي، فَيَرْحَمُنِي الْجَمَادُ، وَلَا أَرَى

خِلًّا يَرِقُّ إِلَى شَكَاتِي، أَوْ يَعِي

فَإِذَا دَعَوتَ بِصَاحِبٍ لَمْ يَلْتَفِتْ

وَإِذَا لَجَأتَ إِلَى أَخٍ لَمْ يَنْفَعِ

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي أَشْكُو الْهَوَى

وَالذَّنْبُ لِي فِي كُلِّ مَا أَنَا مُدَّعِي

قَدْ طَالَمَا يَا قَلْبُ قُلْتُ لَكَ احْتَرِسْ

أَرَأَيْتَ كَيْفَ يَخِيبُ مَنْ لَمْ يَسْمَعِ؟

أَوْقَعْتَ نَفْسَكَ فِي حَبَائِلِ خُدْعَةٍ

لَا تُسْتَقَالُ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعِ

يا ظبيةَ المقياس ! هذا مَدمعى

فرِدِى ، وهذا روضُ قلبى فارتعى

إن كانَ لا يرضيكِ إلاَّ شِقوتى

فلقد بلغتِ مُناكِ مِنها ، فاقنَعى

أنا منكِ بينَ صبابةٍ لا تنقضِى

أيّامها ، وغوايةٍ لم تُقلعِ

فِثقى بما تمليهِ ألسنةَ الهوى

وَهْيَ الدُّمُوعُ، فَحَقُّهَا لَمْ يُدْفَعِ

لا تحسبى قولى خديعةَ ماكرٍ

إِنَّ الْوَفِيَّ بِعَهْدِهِ لَمْ يَخْدَعِ

إِنِّي لَأَقْنَعُ مِنْ هَوَاكِ بِنَظْرَةٍ

وَأَعُدُّهَا صِلَةً إِذَا لَمْ تَمْنَعِي

هَذِي مُنَايَ، وَحَبَّذَا لَوْ نِلْتُهَا

عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، فَهْيَ أَكْبَرُ مُقْنِعِ

كما كُتبت عن البارودي مقالات والتي سأوردها هنا في طيات البحث

ومنها :

"محمود سامي البارودي والقصة الشعرية ١"

يقول محمد حسين هيكل في التقديم لديوان البارودي.

١ هذه المقالة نقلتها عن موقع د.أحمد الخاني http://www.alukah.net/web/alkhani/0/89357/

شعر البارودي حياته، فكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم، والديوان في مجموعه للعصر الذي عاش فيه.

١- القصة الشعرية لدى البارودي:

جاء في حاشية قصيدته البائية التي اشتملت على الأسلوب القصصي ما يلي:

أُرسل الشاعر إلى إنجلترا في بعثة عسكرية، وهناك دعاهم أحد النبلاء إلى رحلة صيد على ظهور الخيل....

سواي بتحنان الأغاريد يطرب

وغيري باللذات يلهو ويلعب

وما أنا ممن تأسر الخمر لبه

ويملك سمعيه اليراع المثقب

إذا أنا لم أعط المكارم حقها

فلا عزني خال ولا ضمني أب

إلى أن يقول:

فبينا نرود الأرض بالعين إذ رأى

ربيئتنا سرباً فقال: ألا اركبوا

فقمنا إلى خيل كأن متونها

من الضمر خوط الضيمران المشذب

فلما انتهينا حيث أخبر أطلقت

بزاة وجالت في المقاود أكلب

فما كان إلا لفتة الجيد أن غلت

قدور وفار اللحم وانفض مأرب

وقلت لساقينا : أدرها فإنما

قصارى بني الأيام أن يتشعبوا

فقام إلى راقود خمر كأنه

إذا استقبلته العين أسود مغضب

فلم نأل أن دارت بنا الأرض دورة

وحتى رأينا الأفق ينأى ويقرب

فرحنا نجر الذيل تيهاً لمنزل

به لأخي اللذات واللهو ملعب

مسارح سكير ومربض فاتك

ومخدع أكواب به الخمر تسكب

يعجب الدارس وهو يقرأ هذه القصيدة، يقول في بدايتها: أنا لا أشرب الخمر، ثم ينقض كلامه في نهايتها!

المحاكاة:

واضح أن القالب الفني لهذه القصة هو قصيدة امرئ القيس الطردية.

في بدايات الشاعر، نسج على منوال الشعر القديم فقال:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب ♦♦♦ وغيري باللذات يلهو ويلعب

وقال الكميت بن زيد الأسدي:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ♦♦♦ ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

وقال الشريف الرضي:

لغير العلا مني القلى والتجنب ♦♦♦ ولولا العلا ما كنت في الحب أطرب

وحتى المضمون؛ هناك التشابه الكبير بين القصيدتين قصيدة امرئ القيس وهذه القصيدة، وكأنهما أصل وصورة، مع أن المعاناة واضحة في هذه القصيدة.

****

محمود سامي البارودي . . مصر بين الحنين والوجع [٢]

نفي الثّائر إلى سَرَنْديب سبعة عشر عامًا وقتَ أُغلقَت أبواب الوطن في وجهه ظلمًا فصرخ: "لم أقترف ذنبًا" . تساءل عما إذا كان الدِّفاع عن الوطن ذنبًا يُعاقَب المرء عليه وما أجيب إلا بالإبعاد وما اقتنع . فالقضية الّتي آمن بها وعمل مِن أجلها قضية دفاع عن وطن تدخل فيه الأجنبي بشكل سافر:

راجعْتُ فِهْرِسَ آثاري فما لَمَحَتْ

بصيرتي فيه ما يُزري بأَعمالي

---

٢ هذه المقالة كتبتها د. إيمان بقاعي

ولما كانت القضية قضية ظلم، فإن شاعرنا يتألم غاية الألم، فتمضي الأيام والشّهور والسّنوات، وتتدهور صحته، ويكاد الشّوق والشّعور بالاضطهاد يقضي عليه.

تتالت عليه المصائب وكان أكبرها الضّعف النّاتج عن الشّيخوخة، فيخف نظره وسمعه وتوهن أعصابه، فيتوجع منه القلب والجسد معًا:

كيفَ لا أندُبُ الشّباب وقد أص

بحْتُ كهْلاً في مِحْنةٍ واغترابِ

أخلَقَ الشّيبُ جِدَّتي وكَساني

خِلْعَةً منه رثّةَ الجِلبابِ

ولَوى شَعْرَ حاجِبَيَّ على عيْ

نيَّ حتّى أطلّ كالهُدّابِ

لا أرى الشَّيءَ حينَ يسنَحُ إلا

كخيالٍ كأنَّني في ضبابِ

وإذا ما دُعيتُ حِرْتُ كأنِّي

أسمعُ الصَّوتَ مِن وراءِ حجابِ

كلَّما رُمْتُ نهضةً أقعدتْني

وَيَّةٌ لا تُقِلُّها أَعْصابي

تلك الصّورة النّاطقة المتحركة لكهل يعاني مِن تراجع قوة الجسد عضوًا فعضوًا يدعمها بصورة أخرى يصور فيها نفسه يشبه فرخ طير صغير ضعيف لا حول له ولا قوة:

أُزَيْغِبَ الرَّأسِ لم يَبْدُ الشّكيرُ به

ولم يصُنْ نفسَهُ مِن كيدِ مُغتالِ

الفرخ الّذي كان نسرًا هدّته الأيام وطحنته المحنة وأوجعه الاغتراب، فما عاد يقدر على حمل قلمه هو الّذي طالما كتب بغزارة وحارب ببسالة أيام الشّباب:

ولا تكادُ يدي تُجري شبا قلَمي

وكانَ طوعَ بناني كلُّ عسّالِ

أما وقد اجتاحته الشّيخوخة وحُكم عليه بالنّفي، فهو يصف حاله بعيدًا مُضطَهدًا مظلومًا ومتشوقًا:

لكلِّ دمعٍ مِنْ مُقلة سببُ

وكيف يملِكُ دمعَ العينِ مُكتئِبُ

لولا مكابدةُ الأشواقِ ما دَمِعَتْ

عينٌ ولا باتَ قلبٌ في الحشا يجِبُ

لكنه – رغم الأسباب القوية – يحاول أن يتمالك نفسه فلا تُرى دموعُه جارية وهو الّذي كان له تاريخ مِن الشَّجاعة والبأس والقوة:

أستنجدُ الزَّفَرات وهي لوافحٌ

وأُسَفِّهُ العَبَراتِ وهي بَوادي

يحاول أن يتمالك:

أَكُفُّ غَرْبَ دموعي وهي جاريةُ

خوفَ الرَّقيبِ وقلبي حِدُّ مُلتاعِ

وعندما يحل الظَّلام وتغفو عين الرقيب، يخلد إلى البكاء المصحوب بالوجع:

أَبِيتُ أَرْعى الدُّجى بعينٍ

غذاؤُها مَدْمَعٌ وسُهْدُ

وهو في سَرَنْديب حزين ساهر أرق:

أَبيتُ حَزينًا في "سَرَنْديب" ساهرًا

طوالَ اللَّيالي والخَلِيّون هُجَّدُ

أحاولُ ما لا أستطيعُ طِلابَهُ

كذا النّفسُ تهوى غيرَ ما تملكُ اليدُ

هو في سَرَنْديب غريبٌ، بائسٌ، ساهرٌ، أرِقٌ:

أظلُّ فيها غريبَ الدّارِ مبتئسًا

نابي المضاجع مِنْ هَمٍّ وأَوْجاعِ

هو في سَرْنْديب يعاني كل ما يمكن للمرء أن يعاني:

شوقٌ ونأيٌ وتبريحٌ ومعتبةٌ

يا لَلْحَمِيَّةِ مِن غَدري وإِهمالي

وهو في سَرْنْديب يعاني مِن كل ما يجلب إلى الإنسان الوجع:

عناءٌ ويأسٌ واشتياقٌ وغربةٌ

أَلا شَدَّ ما ألقاهُ في الدَّهرِ مِن غُبْنِ

إن الغربة في سَرَنْديب غربتان: بُعد عن وطن وبُعد عن خل وصديق ورفيق يخفف وحدته ومعاناته:

لا في "سَرَنْديب" خِلٌّ أسْتعينُ به

على الهمومِ إذا هاجَتْ ولا راعي

فالصَّديق حاجة ملحة، فهو وطنٌ حين لا يكون الوطن موجودًا، فماذا لو لم يكونا موجودين معًا ؟

لا في "سَرَنْديبَ" لي خِلٌّ ألوذُ به

ولا أنيسٌ سوى همّي وإطراقي

يصرخ وهو يعرف أهمية ما يفتقد إليه مِن هذا اللَّوذ وهذا اللّجوء وهذه الاستعانة وهذا البوح الّذي يحتاج إلى أن يبوحه فلا يجد شيئًا مما يطلب،

فيعتكف ويعود إلى ذاته منهزمًا وقد زادت مواجعه، فيتحدث إلى أوراقه ويبكي ليلاً: يبكي دمعًا وحبرًا:

لا في "سَرَنْديبَ" لي إلفٌ أُجاذِبُه

فضْلَ الحديثِ ولا خِلٌّ فيرعَى لي

إنه يعيش القحل والغربة في أبهى مشاهدهما ويعيش الوجع في أدق تفاصيله؛ فالإبعاد جرح والظُّلم جرح والغربة جرح والشّيخوخة جرح، والوطن هو: الجرح الأكبر.

إن الملاحظ في صورة الوطن عند شاعرنا أنها صورة مشرقة رغم كلِّ الآلام الّتي يعانيها، إذ لم تستطع كل هذه الجروح أن تلون الصُّورة بالدَّم القاني المتدفق من الجرح المفتوح، بل ظلت صورة مشمسة متفائلة، فالوطن عند شاعرنا هو وطن الذّاكرة التي تفجرت بالبعد والغربة.

الوطن، عنده مرتبط بصورة الشّباب التي يتشوق فيها إليه وقت يرثي صديقيه الشيخ حسينًا المَرصفي وعبد الله باشا فكري:

أين أيامَ لذتي وشبابي؟

أتراها تعودُ بعد الذّهابِ؟

ذاكَ عهدٌ مضى وأبعدُ شيءٍ

أن يَرُدَّ الزّمانُ عهدَ التّصابي

الوطن مرتبط بأيام القوة والفتوة أيضًا:

بلادٌ بها حلَّ الشّبابُ تمائمي

وناطَ نجادُ المَشْرِفيِّ بعاتقي

فالوطن هو أرض الطّفولة وأرض النّشأة الأولى الّتي لا تلبث أن تسلِّم المرء إلى النَّشأة الثّانية أو نشأة الشّباب وقتَ كان شباب شاعرنا مليئًا بالبطولات والحروب المشرِّفة:

ما إنْ خلعْتُ بها سُيُورَ تَمائمي

حتَّى لَبِسْتُ بها حَمَائلَ مِخْذَمي

ويعود ليحدد معنى الوطن، فهو يعني – إلى جانب المراحل الّتي نشأ فيها وشب – كل ما يرتبط به من شجاعة وفروسية وحياة أسرية وعلمية:

هو مَرْمَى نَبْلي ومَلْعَبُ خَيلي

وَحِمَى أُسْرَتي ومركزُ بَنْدي

هو يعني الجيرة والقوم والآداب والأعراق:

مَرعى جِيادي ومَأوى جِيرتي وحِمى

قَوْمي ومَنْبِتُ آدابي وأَعْراقي

ويؤكد البارودي على كرم الأهل المتروكين جبرًا في الوطن إذ يؤكد على روابطه القوية بهم:

وكيفَ أُنسى دِيارًا قد تركْتُ بها

أهلاً كرامًا لهم وُدّي وإِشْفَاقي

لا ينسى:

تركْتُ بها أهلاً كرامًا وجيرةً

لهم جيرةٌ تعتادُني كلَّ شارقِ

إنه، يفتقد في الوطن: الإلفة الّتي يشكل مجموع ما ذكره منها طمأنينة لقلبه وسعادة، انظر إلى كلمات النّعيم في حديثه عنه:

منازلُ كلَّما لاحَتْ مَحَايلُها

في صفحةِ الفكرِ منّي هاجَني الطَّرَبُ

فالوطن – رغم بعده القسري عنه – كلما ذكر، أثار الطّرب في نفسه وكان ذكره هو الدّواء من الوجع:

خليليَّ هذا الشّوقُ لا شكَّ قاتلي

فميلا إلى "المقياس" إنْ خِفْتُما فقْدي

ففي ذلكَ الوادي الّذي أنبَتَ الهَوى

شِفائي مِن سُقمي وبُرئيَ مِن وَجْدي

وانظر إلى كلماته المشرقة عن الوطن – الذاكرة:

ديارٌ يعيشُ المرءُ فيها منعّمًا

وأطيبُ أرضِ اللهِ حيثُ يُعاشُ

الوطن يرتبط بالسّعادة الّتي هي عكس حاله في غربته في سرنديبَ؛ لذا يستدعيه فنتخيله باسمًا وهو يكتب عنه مستنبطاً صفاته:

لبّيْكَ يا داعيَ الأشواقِ مِنْ داعي

أسمعْتَ قلبي وإنْ أخطأْتَ أسْمَاعي

مُرْني بما شئتَ أَبلغْ كلَّ ما وصلَتْ

يدي إليه فإني سامعٌ واعي

منازلُ كنْتُ منْها في بُلْهَنِيَةٍ

مُمَتَّعًا بين غِلماني وأَتْبَاعي

وقد صار إلى ما لم يكن إليه فيه، فما مِن أتباع في هذه الغربة ولا مِن غلمان ولا مِن أهل ولا مِن جيرة ولا مِن هوى.

إنها الغربة الّتي يحاول شاعرنا بنفس إيجابية – رغم كل الضُّغوط – أن يجد له منها منفذًا ما يخترق فيه جدارها المرتفع عاليًا في وجهه مانعًا إياه مِن نسمات الهواء الآتية مِن مزيج مشاعره الطّيبة الّتي يحافظ عليها فيسوّرها ويبقيها في الذّاكرة وطناً.

****

صور لشاعرنا :-

صورة لشاعر السيف و القلم
بالمتحف الحربي

طابع بريدي يحمل
صورة البارودي

تمثال نصفي
لمحمود سامي البارودي
بالمتحف الحربي
بقلعة صلاح الدين

صورة للبارودي من (أرابي ميوزيوم)
وأبيات من قصيدة يقول فيها

***

أبيت عليلا في سرنديب ساهـرا
أعالج ما ألقاه من لوعتي وحدي
قد طال شوقي إلى الديار ولكن
أين من معي من أقام بكانـــدي

صور لأحمد عرابي والضباط الستة
المنفيون إلى سرنديب و فيهم محمود
البارودي (رحمهم الله أجمعين)
الصورة مأخوذة من (أرابي ميوزيوم)
في سيريلانكا (سردنيب قديماً)

محاكمة ثوار
الثورة العرابية
و منهم محمود سامي البارودي
و أحمد عرابي قائد الثورة
العرابية و مؤسسها

قائمة المراجع :

- موقع أدب . . الموسوعة العالمية للشعر العربي محمود سامي البارودي .
- محمود سامي البارودي – ويكيبديا ، الموسوعة الحرة.
- الثورة العرابية – ويكيبديا – الموسوعة الحرة.
- كشف الغمة في مدح سيد الأمة – روح المساء.
- كشف الغمة في مدح سيد الأمة – محمود سامي البارودي nwf.com
- قلعة صلاح الدين (المتحف الحربي) الجزء الثاني – فتكات
- صحيفة ٢٦ سبتمبر – محمود سامي البارودي في ميزان النقد .
- يحث في شعر محمود البارودي – شبكة الفصيح.
- البارودي . . فارس السيف والقلم. mexat -
- رثاء الزوجات في الشعر العربي قديما وحديثا – منتدى ازياء

- شرح كشف الغمة في مدح سيد الامة . . الكاتب محمد فوزي حمزة
- محمود سامي البارودي – ديوان العرب.
- القصة السورية . . البارودي . بوابة الشعراء – بوابتك لعالم الشعر
- الموسوعة العربية
- محمود سامي البارودي – ديوان البارودي – تحقيق علي الجارم
- .
- ومحمد شفيق معروف – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة (١٩٩٢.(
- نفوسة زكريا – البارودي حياته وشعره – القاهرة (١٩٩٢)
- علي الحديدي – محمود سامي البارودي شاعر النهضة – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة (١٩٦٩م)

- شوقي ضيف – البارودي رائد الشعر الحديث – دار المعارف – القاهرة (١٩٨٨م)
- عمر الدسوقي – في الأدب الحديث – دار الفكر العربي – القاهرة – (١٩٤٨م)

المواقع الإلكترونية :

١- الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا .

٢- منتدى عروس ، خيمة الشعراء .

http://forums.3roos.com

٣- موقع د . أحمد الخاني

http://www.alukah.net/web/alkhani

****

الخاتمة

أرجو من الله تعالى أن أكون قد وُفقتُ في جمع تلك المادة العلمية البحثية عن هذا الشاعر والشخصية التاريخية ، ولا أرجو شيئًا سوى تحقيق النفع لي ولغيري من طالبي العلم في كل أرجاء الأرض وأرجو إن كان هنالك قصور أو نقص في تلك المادة ، أن يأتي غيري ليكمل على ما جئت به ، لتحقيق الإفادة للجميع ، وأرجو في نهاية الأمر ألا أكون قد نسيتُ شيئًا لكن النسيان صفة أساسية في الإنسان .

أحمد خالد